٣

شَرْحُ ثَلَاثَةِ الأُصُولِ وَأَدِلَّتِهَا

(الشَّرْحُ الثَّالِثُ)

تَصْنِيفُ الإِمَامِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيِّ

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

شَرْحُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ

مُحَمَّد مُحَمَّدِي بْنِ مُحَمَّد جَمِيل النُّورْسْتَانِي

حَفِظَهُ اللهُ

الشَّيْخُ لَمْ يُرَاجِعِ التَّفْرِيغَ

النُّسْخَةُ الأُولَى

(الشَّرحُ الثَّالثُ)

سبعة عشر مجلسا

شَرحُ
ثلاثةِ الأُصولِ وأدِلَّتِها

٣

شرح

ثلاثة الأصول وأدلتها

(الشرح الثالث)

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني

حفظه الله

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى

مُقدمة المشرفين على التفريغ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلي الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن من نعم الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن جعل فيها علماء ربانيين وأئمة في الدين، ورثوا من علم النبوة على قدر ما قسم الله لهم من ذلك الميراث العظيم الذي لا يعادله شيء من متاع الدنيا الفاني.

ومن رحمة الله بعباده: أنه كلما اشتدت حاجتهم إلى أمر من الأمور كلما يسر الله سبل تحصيله، ونوع لهم الطرائق الموصلة إلى نيله وبلوغه، ولما كان العلم أعظم ما يحتاجه العباد وليس لهم عنه غنى طرفة عين، ولا سيما علم العقيدة والتوحيد الذي هو أشرف العلوم وأزكاها، وأجلها قدرًا وأسناها، والذي قد زادت الحاجة إليه في هذه الأزمنة المتأخرة، بسبب انتشار الأهواء والبدع، وكثرة المخالفين

للتوحيد والمعتقد، والمجانبين للسنة والأثر.

ولما كان الأمر كذلك رأينا منة الله علينا في هذه الأعصر بوسائل كثيرة لحفظ العلم ونشره لم تكن متيسرة لمن قبلنا، وإن من تلك الوسائل حفظ الدروس في تسجيلات صوتية ومقاطع مرئية، تنقل العلم لفظًا ومعنى.

وكان من تمام نعمة الله علينا أن هيأ وسائل حديثة لحفظ هذا العلم، وهو ما يعرف بـ "التفريغات" والتي تنقل علم الشيوع من مسموع إلى مقروء، فتعين الطالب على توفير وقته وجهده، وتدعوه لجمع قلبه وعقله على حفظ العلم وضبطه، وتساعد على انتشاره عبر وسائل التواصل والتقنيات الحديثة، مما يهيئ السبل للانتفاع به، وتداوله بيسر وسهولة من قبل الدارسين والمتعلمين، بل والأساتذة والمدرسين في أحيان كثيرة.

ومن هنا جاءت فكرة المساهمة في تفريغ دروس فضيلة الشيخ الدكتور محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني حفظه الله تعالى.

وقد يسر الله تعالى الخطوة الأولى لهذه المرحلة وهي إنشاء قناة للشيخ علي الشبكة، وكذا إنشاء حساب لدروسه في اليوتيوب، والتليجرام، كل ذلك حرصًا على الحفاظ على ما تيسر الحصول عليه من مجالس ودروس فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى، وكان الذي فات منها وضاع إن لم يفق الموجود كثرة فلا يقل عنه عددًا، وعزاؤنا فيه أن الله يعلمه، وأن الملائكة كتبته، ونسأل الله ﷻ أن يتقبل ذلك من الشيخ وأن يجعله في موازين حسناته، ومن تلك الكتب التي لم نقف على تسجيلاتها:

- خلق أفعال العباد للبخاري.
- الرد على الجهمية للدرامي.
- نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، للدرامي.
- القاعدة المراكشية.

وغيرها كثير[١].

وجاءت المرحلة الثانية هذه، وهي سلسلة التفريغات الصوتية للدروس العلمية للشيخ محمد محمدي النورستاني حفظه الله تعالى، وستكون شاملة لجميع دروسه المسجلة، وهي على الترتيب التالي:

١- الأصول الثلاثة (**الشرح الأول ٨ مجالسًا**).

٢- الأصول الثلاثة (**الشرح الثاني ١١ مجلسًا**).

٣- الأصول الثلاثة (**الشرح الثالث ١٧ مجلسًا**).

٤- القواعد الأربع (**الشرح الأول مجلس واحدًا**).

٥- القواعد الأربع (**الشرح الثاني مجلسان**).

٦- القواعد الأربع (**الشرح الثالث مجلسان**).

٧- نواقض الإسلام.

٨- كشف الشبهات.

٩- كتاب التوحيد (**ولا زال مستمرًّا**).

١٠- العقيدة الواسطية (**الشرح الأول**).

١١- العقيدة الواسطية (**الشرح الثاني**).

١٢- العقيدة الواسطية (**الشرح الثالث**).

١٣- لمعة الاعتقاد.

١٤- العقيدة الطحاوية (**أربعون مجلسًا**).

١٥- القصيدة الحائية لابن أبي داود (**ثلاث مجالس**).

١٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.

---

(١) ونجد هذا الموضع فرصة لحث الإخوة من طلاب الشيخ ممن قد تبلغهم هذه التفريغات، ممن حضروا للشيخ مجالس في السابق وسجلوا شيئًا منها أن يتواصلوا معنا، فحفظهم لعلم الشيخ أقل ما يجب للشيخ علينا وعليهم، وهو من بر التلاميذ بمعلميهم والذي لا يقل أهمية عن بر الأبناء بآبائهم متى اقترن بالنية الصالحة.

١٧- الفتوى الحموية (٢٣ مجلسًا).

١٨- الجواب على الاعتراضات المصرية.

١٩- العقيدة التدمرية (الشرح الأول).

٢٠- **العقيدة التدمرية** (الشرح الثاني، ولا زال مستمرًّا).

٢١- نقض المنطق "الانتصار لأهل الأثر"، لابن تيمية (٢٣ مجلسًا).

٢٢- الإبانة الصغرى "الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة" لابن بطة (٣٨ مجلسًا).

٢٣- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم. (ولا زال مستمرًّا).

٢٤- **شرح ابن أبي العز الحنفي على الطحاوية** (ولا زال مستمرًّا).

٢٥- **شرح القصيدة النونية "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" لابن القيم الجوزية** (ولا زال مستمرًّا).

٢٦- **شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية** (لم يكتمل).

٢٧- رسالة القضاء والقدر لابن عثيمين (مجلسان).

٢٨- رسالة قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات، لابن تيمية.

٢٩- رسالة الأفعال الاختيارية من العباد لابن تيمية.

٣٠- فصل في الكلام على الاتحادية، لابن تيمية.

٣١- مسألة في حياة الخضر وادعاء لقائه، لابن تيمية.

٣٢- فصل في معنى الحي القيوم، لابن تيمية.

٣٣- **الإخنائية، لابن تيمية** (ولا زال مستمرًّا).

٣٤- محاضرات في العقيدة والتوحيد.

٣٥- مجالس تفسير سورة العنكبوت.

٣٦- مجالس تفسير سورة الأحزاب.

٣٧- مجالس تفسير سورة الزمر.

٣٨- المنظومة البيقونية (٤ مجالس).

٣٩- نزهة النظر (الشرح الأول ١٦ مجلسًا).

٤٠- نزهة النظر (الشرح الثاني، لازال مستمرًا).

٤١- المداخل إلى كتب السنة.

٤٢- التعليق على كتاب المدخل إلى صحيح البخاري (٥ مجالس).

٤٣- عقيدة الرازيين.

٤٤- صريح السنة للطبري.

٤٥- السنة للمزني.

٤٦- الأصول الستة.

٤٧- **سلسلة الحوار العلمي عن علم الكلام** (لازال مستمرًا).

٤٨- **الصفات المعنوية.**

٤٩- **قضية التفويض.**

وننبه هنا إلى أن هذه التفريغات معينة ومساعدة، إلا أنها لا تغني عن الدروس الصوتية والمرئية، ولا تكفي عن الاستماع إليها.

وما هذه التفريغات إلا جهد من بعض طلاب الشيخ حفظه الله تعالى، رغبوا في المشاركة في الخير، والمساهمة في خدمة العلم وأهله، فكتب الله أجورهم وشكر سعيهم، والشيخ حفظه الله تعالى لم يراجع هذه التفريغات.

وفي الختام: فإننا ندعو الله ﷻ أن يبارك للشيخ في علمه وعمله، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يبارك له في إتمام ما بقي، ونسأل الله له المزيد من فضله، وأن يمتعنا بعلمه، وأن يطيل عمره على طاعته، وأن يتقبل ذلك منه، وأن يكون ذخرًا له ورفعة وشرفًا يوم لقاء مولاه، ورؤيته سبحانه وحلول رضاه.

وشكر الله للإخوة القائمين على هذا المشروع وكتب أجرهم، وجعله من العلم الذي ينتفع به، وتجري لهم به الحسنات، وتضاعف بسببه الدرجات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه

أجمعين.

للتواصل وإرسال الملحوظات والتصويبات

t.Shoroh.dr.alnorstany@tmail.com

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضَلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

الرسالة التي نتدارسها -بإذن الله- هي «ثلاثة الأصول وأدلتها» للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مولده: الشيخ مُحَمَّد بن عَبْد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وُلِد سنة ألفٍ ومائةٍ وخمسة عشر.

وفاته: وتوفي سنة ألف ومائتين وستة.

والشيخ محمد لا يحتاج إلى أن نُترجم له، فهو علمٌ من أشهر الأعلام، ومُجددٌ من أشهر المُجددين، وخاصةً في العصور الأخيرة، **بل لا أكون مُبالغًا إذا قلت**: أنه مُجدد قرنِهِ بلا مُنازع، نفع الله ﷻ وبكتبه ورسائله نفعًا عظيمًا جدًا.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُهتمًا بالدعوة وهو في أوائل طلب العلم في مراحله الأولى كان مُهتمًا بالدعوة إلى التوحيد، ورحل لطلب العلم إلى مكة والمدينة وإلى بعض مُدن العراق، وبعد أن حصَّل ما كُتب له من العلم رجعَ إلى بلدهِ وبدأ الدعوة هناك وأُوذي في هذا السبيل كثيرًا إلى أن وجد من يُناصره ويُساعده ويُعاضده فيما هو في الدعوة إليه، وكان لذلك من الفائدة والنفع ما لا يخفى، والشيخ محمد ألف كُتبًا ورسائل كبيرة من أنفعها هذه الرسالة التي نتدارسها، وكان الشيخ محمد نفسه يُدرس هذه الرسالة، كان يُدرسها ويُحفظها للطلاب كان مُهتمًا بها جدًا.

موضوع هذه الرسالة: مما يستدعي ذلك الاهتمام.

أَلَّف هذه الرسالة ليكون عند المسلم جوابٌ مختصرٌ مُركز عن الأسئلة الثلاثة التي توجه إلى كل مكلفٍ في قبره، جميع المُكلفين ستوجه إليهم هذه، وجهت أو ستوجه إليهم هذه الأسئلة الثلاثة:

1. مَن ربُّك
2. ما دينك؟
3. من نبيُّك؟

وما يعمله المسلم، وما يتعلمه وما يُحصله، وما يعمله في حياتِهِ هو الذي سيكون -بفضل الله وبتوفيقه- سيكون مُساعدًا له على هذه الأجوبة الثلاثة.

وهذه الأسئلة أول ما تحتاج تحتاج إلى علم.

وليس كل الناس متساوون في تحصيل العلم، فهناك مَنْ هو بحسبه مشغول في أمور الدُّنيا قد لا يجد فُرصةً للتعلم، أو لم تُهيئ له الفرص للتعلم، وهناك من وفقه الله ﷻ لطلب العلم، فلذلك الناس يتفاوتون في تحصيلهم للعلم، مع هذا كله هناك أمور لابد أن يتعلمها الجميع، وما ذكره الشيخ في هذه الرسالة هو من هذا القبيل، هذا أقل القليل الذي يجب أن تعرفه عن هذه الأسئلة الثلاثة:

مَن ربُّك؟

ما دينُك؟

مَن نبيك؟

ما ذكره الشيخ هنا شيء مُركز جدًا ومختصر، هذا أقل ما تتعلمه حول هذه الأمور الثلاثة.

ولذلك أنا أدعوكم وأُشجعكم على حفظ هذا المتن.

ومما يُحتم حفظ هذا المتن: أن بعض الأمور التي وردت هنا بهذا التركيز والاختصار لا تجدونها في كتبٍ أُخرى.

هناك كتاب آخر للشيخ محمد نفسه اسمه: «الأصول الثلاثة» هذا كتاب آخر، والأصول الثلاثة

مختصرٌ لـ«**ثلاثة الأصول وأدلتها**» وهذا الذي نتدارسه، الأصول الثلاثة كتابٌ آخر، وهو مختصرٌ لهذا المختصر.

مَن حفظ هذا المتن حصَّل - بإذن الله - علمًا نافعًا يكفيه للتصور العام حول هذه الموضوعات الثلاثة.

أنواع العبادة التي ذكرها هنا مع أدلتها بهذا الاختصار قد لا تجده في كتابٍ آخر.

وأيضًا ما يتعلق بمعرفة الدِّين الإسلام، وما يتعلق بمعرفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأمور التي ذكرها هنا هي مختصرة ومُركزة جدًا، فلذلك أنا أدعوكم وأحثكم وأشجعكم على حفظ هذا المتن، فأكثر ما فيه الأدلة، تحفظ هذا المتن تستفيد فائدتين:

- **الفائدة الأولى**: المسائل.

- **الفائدة الثانية**: الدلائل.

لأن الدين عبارة عن مسائل ودلائل، مسألة وعليها دليل، منهج الشيخ محمد أنه لا يذكر شيئًا أو لا يكاد يذكر شيئًا إلا ويذكر له الدليل من الكتاب والسنة، فأنت لما تحفظ هذا المتن تكون قد حفظت نصوصًا كثيرةً جدًا حول هذه الموضوعات الثلاثة.

إذًا المسائل والدلائل من الكتاب والسنة وبعض الآثار أحيانًا يذكر بعض الآثار -وهي قليلة- التي في هذه الرسالة هي خيرٌ عظيم، وأنا أُكرر الدعوة إلى حفظها، وبإذن الله سيكون فيه نفعٌ عظيم.

هذه الرسالة ستبدأ من قوله: (**فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَا الأُصُوْلُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟**).

من هنا تبدأ الرسالة.

وهناك رسائل أكثر اختصارًا من «ثلاثة الأصول» و«ثلاثة الأصول» كما قلنا: رسالة مختصرة جدًا، هناك ثلاث رسائل، وهي أكثر اختصارًا منها أُلحقت بهذه الرسالة.. إلى ذلك الموضع هناك ثلاث رسائل في مُقدمة الكتاب، وهي كلها للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكلها تتمحور حول موضوعات الرسالة، أُلحقت بالرسالة لتكون مُقدمةً تُمهد لما سيأتي في الرسالة.

الرسالة الأولى: فيها وجوب تعلُّم أربع مسائل، الثلاثة الأصول فيها ثلاث مسائل، ونحن سنبدأ بأربع مسائل، وهذه الرسالة هي رسالة مستقلة.

ألَّفها الشيخ حول سورة الإنسان سورة العصر، كما سنقرأ، هذه الرسالة الأولى.

والرسالة الثانية: في توحيد الربوبية والألوهية، والولاء والبراء.

سنعرف أن الشيخ محمد في «ثلاثة الأصول» في الأصل الأول الذي هو (معرفة الرب سبحانه) ركَّز فيه على توحيد الألوهية، ولم يذكر من توحيد الربوبية إلا شيئًا قليلًا، أما توحيد الأسماء والصفات فلم يذكرها، مع أن معرفة الله ﷻ لا تتم إلا بمعرفة التوحيد، والتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام.

سنذكر هناك لماذا سلك الإمام محمد هذا المسلك، لماذا لم يُعطنا تصورًا وافيًا، أو مختصرًا عن أنواع التوحيد الثلاثة، وركّز على توحيد الألوهية لماذا؟

الرسالة الثانية هنا من الرسائل المُلحقة: هي في توحيد الربوبية والألوهية والولاء والبراء.

الذي ألحق هذه الرسالة بـ«ثلاثة الأصول» سواءً كان هذا من تلاميذ الشيخ، أو كان الشيخ نفسه، الرسائل هي للشيخ، ولكن من ألحقها؟

ذكر الشيخ الدكتور عبد المحسن القاسم أن الذي ألحقها بعض تلاميذه، وسواءً كانوا بعض تلاميذه أو الشيخ محمد نفسه، فهذه الرسالة الرسالة الثانية التي هي في توحيد الربوبية والألوهية، والولاء والبراء، هذه تُكمل النقص الذي، أو الاختصار الذي في الأصل الأول، وهو معرفة الله ﷻ.

الرسالة الثالثة: في بضعة أسطر، في بيان أعظم أمرٍ في هذا الدِّين، وبيان أخطر أمرٍ في هذا الدِّين، هذه الرسالة هي أخصر هذه الرسائل.

ونبدأ بالرسالة الأولى:

يقول الشيخ: (بسم الله الرحمن الرحيم) البداية ببسم الله هكذا بدأ الله ﷻ كتابه الكريم، وكان النبي ﷺ يبدأ رسائله بها، وهكذا أهل العلم، نبدأ هذه الدراسة قراءة هذا الكتاب وهذه الرسالة بالاستعانة بالله ﷻ.

(بِسم الله) الباء: من حروف الجر، وهي للاستعانة.

(اسم) مُضاف ولفظ الجلالة مُضاف إليه.

والاسم المُفرد المُضاف يُفيد العموم.

والمعنى هنا: أستعينُ بالله ﷻ بذكر جميع أسمائه.

هذا العموم أخذناه من إضافة المُفرد: (**بسم الله**) وأسماء الله ﷻ كثيرة:

ورد في الحديث: «**أن من أحصاها دخلَ الجنَّة**» وإحصاؤها بالألفاظ، ومعرفةُ معانيها، والتعبُّد بها، وهي غير محصورةٍ في العدد الذي ورد في الحديث الذي أخرجه الإمام الترمذي في «جامعه» وغيرُهُ العدد تسعة وتسعين.

وأيضًا ما ورد في الحديث: «**إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنَّة**»، هذا ليس لبيان الحصر، بل هذا لبيان الفضل لهذا العدد.

إذًا (بِسم الله) نستعين بالله ﷻ بِذكر جميع أسمائه.

(الرَّحمن الرَّحيم) اسمان كريمان من أسماء الله ﷻ لهما مناسبة هُنا، لأننا نبدأ طبعًا (الباء) من حروف الجر، والباء مع المجرور تحتاج إلى مُتعلق، والمُتعلق إما أن يكون مصدرًا، أو أن يكون فعلًا، والأحسن أن يكون فعلًا، لأن الفعل هو الأصل في العمل، إما أن يكون قبله أو يكون بعده، فنحنُ على رأي جمهور العلماء نُقدره بعده: (**بسم الله نقرأ**).

ونُقدره فعلًا مناسبًا للعمل، نحن الآن نقرأ: (**بسم الله نقرأ، بسم الله نكتب**) حسب الفعل.

لفظ الجلالة العَلم على الذات المُقدسة اسمٌ من أسماء الله ﷻ، ومعناه: المألوه، الله هو في الأصل الإله، والإله: هو فِعَال مثل كِتاب بمعنى مكتوب.

والإله: بمعنى المألوه، والمألوه: هو الذي يُعبد بالمحبةِ والذُّل والتَّعظيم.

(الرَّحمن الرَّحيم) اسمان كريمان وُصف بهما هذا الاسم (الله)، هذا الاسم عمومًا يأتي موصوفًا يوصف ببقية الأسماء في الغالب يأتي موصوفًا.

(الرَّحمن الرَّحيم) **كلاهما** من أسماء الله ﷻ يدلان على اتصاف الله ﷻ بالرحمة.

(الرحمن) هذا اسم يدل على اتصافه بالرحمة الواسعة.

والرحيم: يدل على اتصافه بالرحمة الواصلة، رحمته واسعة الله ﷻ يرحم بها عباده: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾[الأحزاب]، فـ(الرحمن) يدل على الاتصاف، و(الرحيم) يدل على تعلق هذه الرحمة بالمرحومين.

هذا من الفروق التي ذُكرت بين هذين الاسمين: هذا الفرق ذكره الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتبعه كثيرٌ من العلماء.

(**بسم الله الرحمن الرحيم**) هذا الابتداء نحن لما نبدأ ونستعين بالله ﷻ، نستعين بمن ليس لقدرته حدود، ما نستعين بأستاذ وإلا شيخ وإلا ملك، بل نستعين بمن بيده كل شيء، ونتوسَّل إليه بأسمائه التي تدل على رحمته بعباده، الله ﷻ هو الذي يُذكرنا بهذه، لم يقل: (بسم الله المُنتقم، بسم الله العزيز)، وإنما ذكَّرنا بهذه الأسماء التي فيها بيان سعة رحمته، وأنه رحيمٌ بعباده، فنستعين به، ونسأل الله أن يُعيننا، ونسأل الله أن يوفقنا دون توفيق الله ﷻ لا يحصل شيء، حتى ولو حصل يكون عديم البركة، وبالتالي نستعين بالله ﷻ في قراءة هذه الرسالة، وتعلمها ومدارستها، ونسأل الله أن ينفعنا بهذه القراءة إلى الأبد، هكذا الشيخ محمد عمومًا في بداية رسائله يُنبه: (**اعْلَم**) طريقته هكذا.

(**رحمك الله**) في عموم رسائله يدعو لقراء كُتبه ورسائله، هذا من التلطف إلى طُلاب العلم، هذا دعاءٌ شامل مَن رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﷻ ما الذي بقي له؟ ما الذي لم يأخذه، ما الذي لم يُحصله؟

أما مَن لم يكن من أولئك، فما الذي حصَّله، فهذا دعاءٌ عظيم، ونسأل الله أن نكون ممن استُجيبت دعوة المؤلف فيه.

قوله: (اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللَّه-أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ).

طبعًا الوجوب والاستحباب والحُرمة والكراهة هذه أحكام تكليفية، وهذه الأحكام تحتاج إلى

أدلة، ليس كل واحد يقول: يجب عليك هذا، ما هو الدليل؟ سيذكر الدليل.

(يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأُوْلَى: العِلْمُ، وَهُوَ مَعرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ).

وهذا هو موضوع ثلاثة الأصول، هذا الذي سنتعلمه في ثلاثة الأصول وأدلتها.

وأنا أشرت أن العلم ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما يجب تعلُّمه على الأعيان، وهذا واجبٌ وجوبًا عينيًا، لا يُعذر أحدٌ بجهله، وهو ما لا يستقيم الدِّين إلا به، مثل أركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة، والمسائل التي تتعلق بأذكار الإسلام وغيرها، شخص يُريد أن يُزكي لابد أن يعرف مسائل الزَّكاة التي يُريد أنْ يؤديها، يُريد أن يحج لابد أن يتعلم أحكام الحج، مَنْ لم يجب عليه الحج تعلم مسائل الحج بالنسبة له واجبٌ ولكن وجوبًا كفائيًا، أما مَن أراد الحج فيجب عليه أن يتعلم مسائل الحج وجوبًا عينيًا، وكذلك الصلاة وكذلك الزكاة وغيرها.

والقسم الثاني: ما زاد عن ذلك من الأحكام الشرعية التي تحتاجها الأمة بمجموعها، وقد لا يحتاجه كل أحدٍ بعينه مثل: أحكام البيع، والمواريث، والأوقاف، والوصايا والأنكحة.. وغيرها.

ما سيذكره الشيخ في «ثلاثة الأصول» من القسم الأول.

إذا لم تتعلم عن الله ﷻ ما هو العبادة، ما هي أنواع العبادة، وكيف تؤديها ما الذي تعلمته، وكيف ؟...

وكذلك إذا لم تتعلم عن دينك هذا الاختصار أيضًا فما الذي تعلَّمته، وكذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسمه ونسبه المختصر الذي ذكر هنا وبماذا أُرسل، هذا الذي سيُركز عليه الشيخ، بماذا أُرسل؟ ما الذي كانت الأمة بحاجة إليه حتى أُرسل هذا الرسول الكريم، وما هي حدود وظيفته، ما الذي أداه إلى أمته؟ هذا أقل القليل مما يجب عليك تعلمه مما يتعلق بالأصل الثالث.

هذا كلُّه يدل على أن ما سيذكره الشيخ في «ثَلاثَة الأصُوْل» من القسم الأول الذي هو الواجب

وجوبًا عينيًا.

والقسم الثاني: الواجب وجوبًا كفائيًا.

يجب على الأمة بمجموعها لا ينبغي أن تخلو الأمة ممن تعلم هذه المسائل الثلاث حتى يكون مرجعًا، وهذه وظيفة العلماء، أما من أراد أن يؤدي عبادةً مُعينة يجب عليه تعلُّم ما يتعلق بأدائهم هذه العبادة.

(**الأُوْلَى: العِلْمُ، وَهُوَ مَعرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ**) زاد هنا كلمة: (**بِالأَدِلَّةِ**)، هذه الزيادة مهمة جدًا بالنسبة للشيخ محمد، وبالنسبة لمنهجه، وبالنسبة للمنهج الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم، لابد أنْ يكون على علمٍ بالأدلة وخاصةً في مثل هذه المسائل، ما يأتي شخص ويقول: أنت وهَّابي هات الدليل إذا عندك دليل آخر من الكتاب والسنة، فأنعم به وأكرِم، قد أكون أسأت الفَهم تفضل ماذا عندك؟ الذي عندي قال الشيخ الفلاني، هل هذا دليل؟ قال الولي الفلاني، هل هذا دليل؟ أقول لك: قال الله وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول لي: أنت ما تقبل الولي؟ ما أقبله ولا كرامة لهذا الولي الذي عنده أشياء تُخالف الكتاب والسنة هذا ولي؟ سبحان الله! هذا كثير.

فلذلك حتى تُحصن نفسك وتتحصن من أولئك الشياطين لابد أن تتعلم الأدلَّة، لأن ما سيذكره هذا هو الدِّين، وإلا الشيخ محمد يقول لنا: يجب عليك أن تتعلم أربع مسائل ولم يذكر الدليل ليس هو نبينا، نحن في حلٍ من كلامه إذا لم يأت بالدليل، نحن نعرف أنه إمامٌ مُجدد وكل ما سنذكره قد يكون قليلًا في شأنه، مع ذلك كلَّه ليس حجة، بل وليس كلام منهو أكبر منه الحجة في كلام الله ﷻ، وفي كلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي كلام السَّلَف الذين يأخذون من الكتاب والسنة أبدًا.

لذلك يقول الشيخ هنا: (**وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ**)، مع أن هذه الرسائل مختصرة، مع ذلك يُعلمنا هنا أن نتعلَّق بالأدلة، وإلا لو كان مثل المتون المختصرة التي نجدها يذكر لنا هذه المسائل وعلينا أن نبحث عن الأدلة كما نجد في الكتب المختصرة، هذا أيضًا اجتهاد يُلخص لك المسائل ويصوغها في

عباراتٍ محكمةٍ مختصرةٍ حتى يسهل حفظها، هذه أيضًا طريقة، ولكن الشيخ محمد حتى ولو كانت الرسالة مختصرة يذكر الأدلة.

بعد هذا كله شخص يأتي ويقول: أنت وهَّابي؟ نعم أنا وهَّابي، بمعنى أنا أتبع الدَّليل.

(وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ)، لا تنسوا هذه الكلمة (بِالأَدِلَّةِ)، وسترون في واقع هذه الرسائل كيف يُطبقها الشيخ محمد، الأدلة من الكتاب والسنة.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العلمُ قال الله قال رسولُهُ ... قال الصَّحابة هم أولوا العِرفانِ

ما العلم نصبك للخلاف سفاهةً ... بين الرَّسول وبين رأي فلانِ

نعم الحديث صحيح، ولكنْ الإمام الفلاني يقول: كيت وكيت، طيب كيف أجمع؟ أستغفر الله، هذا خلل في الترتيب، كيف أجمع بين هذا؟ لا لا، هذا حديث، هذا كلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأي تعارض بين كلامه وبين كلام غيرِه أبدًا كيف ما هو التعارض أصلًا؟

ما العلم نصبك للخلاف سفاهةً ... بين الرَّسول وبين رأي فلانِ

فُلان هذا من العلماء الكبار الأجلاء الذين بأقوالهم نستضيء للوصول إلى الحق لفهم كلام الله وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس معنى هذا أن فلان له نصيب أبدًا، فلذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ دائمًا يذكر أن التوحيد: هناك توحيد المُرسِل وتوحيد المرسَل: (**لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله**) لا إله إلا الله: هذا توحيد المُرسِل، وهو الله ﷻ.

(**محمدٌ رسول الله**) هذا توحيد المُرسَل، فليس لنا طريقٌ إلى رضا الله ﷻ إلا هذا الرسول.

قوله: (بِالأَدِلَّةِ).

طبعًا المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأ بهذه المسألة، وهي مسألة العلم، لأنها هي الأساس، العلم هو الأساس يُبدأ بالعقيدة وبالأساس بالتعلم والتعليم، ثم يكون العمل حسب العلم، ثم تكون الدعوة، ثم يكون الصبر على هذا وأنت مطمئن، ما تكون قد تعلمت البدع ودعوت إليها ثم صبرت، ما هذا الصبر؟

العلم الصحيح، ثم العمل الصالح، ثم الدعوة إلى ذلك والصبر عليه وأنت مُطمئن، أن ما يُصيبك هو في سبيل الله ﷻ.

المسألة الأولى من المسائل التي يجب تعلُّمها هي: (العِلْمُ).

المسألة الثانية: (العَمَلُ بِهِ).

لماذا نتعلم؟ هل نتعلم حتى نُعلم؟ لا لا، نتعلَّم حتى نعمل، التعليم مرتبة ثالثة، وهي المسألة الثالثة هنا:

(الثَالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ)، هذا هو التعليم، كيف تدعو الناس إليه؟ تُعلمهم، تُبين لهم أن توحيد الله ﷻ لا يتحقق إلا بأن الإيمان بالله ﷻ لا يتحقق إلا بالتوحيد، وتوحيد الله ﷻ لا يتحقق إلا بتوحيده وإفرادِهِ في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.. هكذا تُعلم بعدما تعلَّمت.

إذًا الهدف من التعلُّم العمل أولًا.

الثاني: العملُ به.

إذا تجاوزت هذه المسألة وبدأت بالمسألة الثالثة: تعلَّمت، ثم دعوة إلى ما دون أن تعلم، دون أن تعمل فالعلم حجة عليك، ولذلك أولًا تتعلَّم.

ثانيًا: تعملْ به.

ثالثًا: تدعو إليه.

كيف تدعو إليه؟ تُعلم الناس وتدعوهم إليه.

طبعًا بالعلم والعمل تُكمل نفسك.

بالدَّعوة إليه والصبر عليه: تُكمل الآخرين، لأن هذه الغنيمة التي حصَّلتها، وهذه السعادة التي حصلتها -بتوفيق الله ﷻ العلم والعمل لابد أنَّ تُحب الناس وتدعوهم إلى هذا، هذا أولًا مُقتضى علمك وعملك.

ثانيًا: هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو واجب، وقد يكون واجبًا عينيًا، وقد يكون

واجبًا كفائيًا.

أنت داخل بيتك يجب عليك وجوبًا عينيًا من يدخل البيت أنت هذه مسؤوليتك.

في المسجد بالنسبة للإمام يجب عليه وجوبًا عينيًا غيره وجوب كفائي.

وهكذا كلٌ في مجاله، يختلف بعض الناس يظن أن الدعوة إلى التوحيد، والدعوة إلى العلم، هذا فقط مسؤولية فلان وعلان من المشايخ لا لا، أنت مسؤول، «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته**»، وكُلنا ذلك المُقصر والله المستعان.

(**الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ**).

يتحدث عن المسألة الرابعة كأن الأذى قد وقع، وكأن الأذى سيتحقق -وهذا هو الواقع- فلذلك الله ﷻ يقول: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾[العصر]، مع العلم الصحيح، والعمل الصالح الموافق للسنة، والدعوة إلى العلم الصحيح، ستتصادم مع رغباتك كثير من الناس، وبالتالي توقع الأذى، ما هو الحل؟ تصبر، والصبر في مَقام الدعوة: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾[فصلت] هذه مرتبة الكبار الذين يعرفون للمسألة قدرها.

أمثالنا إذا توقع شيئًا وقبل ذلك بمراحل يقف، لو أدعو قد يحصل كذا وقد يحصل كذا، أستغفر الله ما هذا؟ من هوان المسألة عليه، ومن هوان الدعوة عليه، ليس معنى هذا أن تُخاطر، ولكن الأذى لا يُمكن أن تنفك منه.

يقول الشيخ: طبعًا الصبر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولًا: صبرٌ على طاعة الله ع زوجل.

هذا النوع ترى ليس سهلًا، وأنت نائم على الكذا الوفير، ويرفع المؤذن: (الله أكبر) الذي يقوم هنا ويتذكر فِعلًا يتذكر أن الله أكبر يحتاج إلى صبر، الصبر على طاعة الله ﷻ، تجد مساجدنا سبحان الله ما شاء الله بالذات هذا البلد الكريم هذه المساجد والله من نِعم الله ﷻ تدخل المسجد، وما شاء الله مُجهز

بكل الإمكانيات، ولكن أين عُمَّاره؟ فالدعوة إلى الله ﷻ تحتاج إلى صبر. هذا النوع الأول.

النوع الثاني: صبرٌ عن محارم الله ﷻ -وما أكثرها- تحتاج إلى صبر.

والصَّـــبر كالصِّـــبر مُـــرٌ مذاقتـــه لكـــن نتائجـه أعلـى مـن العسـلِ

القسم الثالث: صبرٌ على أقدار الله تعالى المؤلمة، ولما يُذكر الصبر عمومًا يُراد هذا القسم، ما كتبه الله عليك تصبر إذا مرضت فاعلم أن الله ﷻ ليس بحاجة إلى مرضك أبدًا، إذًا هناك شيء فاغتنم المرض للتقرب إلى الله ﷻ بالصبر.

هذه أنواع الصبر.

والدليل قوله تعالى: ثم ذكر السورة، إن شاء الله نأخذها في الدرس القادم بإذن الله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هذه الثَّلَاثِ مَسَائِلَ، وَالعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً؛ فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَارَ.

وَالدَلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

الثَانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنَّ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴿١٨﴾﴾ [الجن].

الثَالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَسُوْلَ وَوَحَدَ اللهَ لَا يَجُوْزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيْبٍ.

وَالدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

قال الشّارح وفّقه الله:

الرسألة هذه فيها ثلاث مسائل.

المسألة الأولى: توحيد الربوبية.

والمسألة الثانية: توحيد الألوهية.

والمسألة الثالثة: الولاء والبراء.

مسألة الولاء والبراء تتعلق بتوحيد الألوهية، أيضًا لها تعلقٌ بتوحيد الربوبية، بالنظر إلى حق الله ﷻ،

هذه المسألة من توحيد الألوهية والربوبية.

وبالنظر إلى عمل الإنسان من توحيد الألوهية.

في المسألة الأولى: يقول الشيخ: هذه المسائل تعلُّمها والعملُ بها واجب، ونحنُ ذكرنا سابقًا أن الوجوب ينقسم إلى قسمين:

- **وجوب كفائي.**

- **ووجوب عيني.**

فما هو ذلك الوجوب هنا؟ هذه المسائل مما لا يتم الإيمان إلا بها، ونحن ذكرنا أن مثل هذه المسائل هي واجبة على الجميع.

قد يكون العامي غافلًا عن هذه التقسيمات المعينة، ولكنَّ صُلب المسائل معرفتها واجبة على الجميع، يجب على الجميع أن يعتقد أنَّ الله ﷻ واحدٌ في ربوبيته، وأنَّ من توحيده في ربوبيته أنَّه أنعم علينا بنعمٍ كثيرة: منها: إرسال الرُّسل، وأن رُسل الله ﷻ هم الطريق الوحيد إلى الله ﷻ، لابد أن يؤمن بهذا ويعتقد.

كذلك يجب أن يؤمن الجميع ويعتقدوا أن العبادة لا يستحقها غير الله ﷻ، العبادة بأنواعها لا يستحقها أحدٌ غير الله ﷻ، وأن من صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله ﷻ فهو مشرك، وشركُه الشرك الأكبر المُخرج من الملة. هذه المسألة الثانية.

المسألة الثالثة: تتعلق بمدى إيمانك بالتوحيد، كيف إيمانك بالتوحيد؟ إذا كان إيمانك بالتوحيد بأنواعه الثلاثة إيمانًا جازمًا وقويًا، فلابد أنْ يكون حُبك لله ﷻ، ولكل من أمرنا الله ﷻ بحبه لابد أن يكون هذا راسخًا في قلبك.

وكذلك بُغضك لمن يُعادي الله ﷻ، وبُغضك لأعدائه لابد أن يكون راسخًا في قلبك. هذا من مقتضيات (لا إله إلا الله).

وهذه المسألة مسألة (الولاء والبراء) توالي الله ﷻ وتوالي فيه، الولاء: هو الحُب، والبراء: تتبرأ من

الكفار، وتتبرأ من دينهم، وتُبغضهم، وتعتقد أن بُغضهم دين، تعتقد هذا.

كيف يكون بُغضك وحُبك وكم يكون هذا بحسب الإيمان؟ فمن كان إيمانه ضعيفًا يكون مترددًا في هذه الأمور:

- قد يحب الكافر وقد يُقدمه، وقد يناصره، فيكون إيمانه على المحك.
- وقد يُعظمه ويحتفي به، ويكون إيمانه في خطر.
- وقد ينصره على المسلم فيكون إيمانه أيضًا على المَحك.
- وقد يُحبه لكفره فيكون خارجًا من الملة قولًا واحدًا.

المسألة الثالثة: هي تطبيق ما آمنت به في توحيد الله ﷻ.

والمسألة الأولى: تتعلق بتوحيد الربوبية.

والمسألة الثانية: تتعلق بتوحيد الألوهية.

(**الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً؛ فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَارَ**).

في هذه الجملة التي لا تزيد على سطرٍ ونصف أجاب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أسئلة الفلاسفة الثلاثة المعروفة التي بدأت مع بداية الفلسفة ولا زالت، لا زال الفلاسفة يبحثون فيها، ويتفلسفون فيها، وكل واحد يُسهم بدلوهِ من الجهل في هذه المسائل، يُدلي بدلوه من الجهل في هذه المسائل، اختصرها الشيخ في سطر ونصف، أسئلة الفلاسفة الثلاثة من أين إلى أين لماذا؟ عرفت من أين إلى أين لماذا؟ هذه أسئلة الفلسفة.

من أين؟ الله ﷻ هو الذي خلقنا.

إلى أين؟ إلى الجنة أو النار.

لماذا؟ خُلقنا للعبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات] .

الإيمان بالله ﷻ، والإيمان بكتبه ورسله، وبقية أصول الإيمان، الإيمان يُريح الإنسان، لأن الله ﷻ

أراحك بإنزال الكتب وإرسال الرسل في مثل هذه المسائل أراحك، من الذي أرسل إليك الرسل؟ الذي خلقك، فإذا كنت مع ذلك تتفلسف، فهذا من الخُذلان، يقول أحدهم: «جئتُ لا أعلم من أين، ولكن أتيت، ولقد أبصرت قدَّامي فمشيت، وسأبقى سائرًا إن شئت هذا أو أبيت، كيف جئت كيف أبصرت طريقي لستُ أدري؟».

وراء القبر بعد الموت بعث ونشور ... فحياةٌ فخلود أم فناء ودثور
أكلام الناس صدقٌ ... أم كلام الناس زور
أصحيح أن بعض الناس يدري ... لست أدري

هذا يفتخر بجهله، نعم لست تدري.

أتراني قبلما أصبحت إنسانًا سويًا، كنت محوًا أم محالًا أم تراني كنت شيئًا، ألهذا اللغز حلٌ أم سيبقى أبديًا لست أدري، ولماذا لستُ أدري؟ لستُ أدري.

سبحان الله! ضياعٌ وتيه لا أوَّل ولا آخر، لماذا؟ لأنه لم يؤمن بالله ﷻ، الشيخ محمد هنا لخصها: (**الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا**)، فهو الذي خلقنا، ولمَّا خلقَنا لم يُسلمنا لأحد، هو الذي يرزقنا، وهو الذي يُربينا، (**وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً**) الله ﷻ خلقنا ورزقنا هذا يؤمن به حتى كفار قريش، ولكن المُهم لماذا خلقنا؟ هل تركنا هكذا عبثًا لا نؤمَر ولا نُنهى، (**وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً**) أي سدى مُهملين، إذًا خلقنا ورزقنا ويُدبر أمورنا، وخلقنا لهدف، ما هو هذا الهدف، وكيف ستعرفه، وكيف سيتحقق؟ (**بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً**) ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴿٣٦﴾﴾[النحل]، هذا من فضل الله ﷻ أرسل أولئك الرسل الكرام وهم صفوة البشر، صفوة البشر، رسله هم الواسطة بينه وبين عباده في تبليغ دينه، أرسلهم ليدلونا إلى رضاه، وإلى طريقه وصراطه وجنته، (**فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَارَ**). نسأل الله أن نكون ممن أطاعه ودخل الجنة.

(**وَالدَلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾**) هذا الخطاب لأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (**﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾**) أي بأعمالكم (**﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾**)

الله ﷻ أرسل رُسلًا كثيرين ما ندري أن أعدادهم بالتحديد لأن الروايات التي وردت في هذا ليست ثابتة، وهم كثيرون، ذكر منهم فرعون الذي أُرسل إليهم، وذكر منهم موسى، ذكر من الرسل موسى وذكر ممن أُرسل إليهم فرعون، والخطاب لأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكنْ المخاطبون الأولون كفار قريش وفيهم من ذلك العناد ما يعرفه الجميع، والله ﷻ يُذكرهم بأنه أرسل إلى فرعون أيضًا رسولًا، وهو في العناد وفي البغي والطغيان والظلم أكثر منكم، بل هو ممن ادعى الألوهية: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات] فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل]، أي شديدًا، فكيف سيكون مصيركم، هذا فيه تهديد وتخويف لكفار قريش وكل من كان على طريقتهم، ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل].

خلاصة هذه المسألة: أن الإنسان خلقه الله ﷻ ولم يخلقه إلا لغاية، وهي عبادة الله ﷻ، هذه الغاية تأتي في المسألة الثانية، ولكن ذكرها هنا ضمنًا: (**فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَارَ**). إذًا الغاية أن نُطيع الرسل.

كيف أعرف طريق العبادة؟ عن طريق الرُّسل باتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذًا هناك توحيد المُرسِل، وتوحيد المُرسَل، توحيد المُرسِل أن تعتقد التوحيد بأنواعه الثلاثة، أن الله ﷻ واحدٌ في ربوبيته، واحدٌ في ألوهيته، واحدٌ في أسمائه وصفاته، أما توحيد المُرسَل، فهو أن تعتقد أن الطريق إلى الله ﷻ هو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط لا تتطفل على مواعيد الآخرين، من الفلاسفة ومن يُسمون بكذا، لذلك يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

فلواحـــدٍ كُـــن واحـــدًا في واحـــدٍ أعنـــي طريـــق الحـــق والإيمـــانِ

(فلواحدٍ) أي لله ﷻ.

(كُن واحدًا) في قصدك لا تقصد غير الله ﷻ.

وبذلك تكون واحدًا موحدًا، فلواحدٍ كن واحدًا في قصدك، لا تكن ممن يقصد هذا ويدعو هذا، وأحيانًا يُجرب هذا وأحيانًا يُجرب هذا، يذهب إلى هذا القبر وإلى هذا القبر وإلى هذا الولي.

(فلواحدٍ كُن واحدًا في واحدٍ) شرحه بنفسه: (**أعني سبيل الحق والإيمان**).

(في واحدٍ) أفي طريقٍ واحد، وهذا توحيد المُرسَل.

وهذا معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا إله إلا الله لا معبود بحقٍ إلا الله.

(محمدٌ رسول الله) هو الذي أرسله وهو دليلنا إلى الله ﷻ.

هذه المسألة الأولى.

المسألة الثانية: في هذه المسألة وهي كما قلت: تتعلق بتوحيد الربوبية، الله ﷻ هو رب العالمين، هو الذي خلقهم وهو الذي يُربيهم بنعمه الكثيرة، ومن نعمه بل من أهم النعم إرسال الرسل، لأن التربية هي التدرج مع من تُربيه في مدارج الكمال كلٌ بحسبه، فالله ﷻ رب العالمين، ومن ربوبيته أن جميع النعم منه، وأعظم نعمةٍ هي إرسال الرسل.

فلذلك لما ذكر في سورة النحل سورة النحل فيها ذكر النعم من بداية السورة إلى نهاية السورة، النعم الكثيرة في نفسك وفيما حولك، في الأرض وفي السماء وما بينهما، بدأها بِذكر الوحي: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ۝٢﴾[النحل]. أول نعمة هذه أنه أرسل الرسل وهذه أعظم النِّعم.

إذًا ذِكرُ هذا داخل في توحيد الربوبية من هذا الباب.

المسألة (**الثَانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنَّ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ**)، هذه المسألة كما قلت: هي في توحيد العبادة ما دام أن الله ﷻ أرسل الرُّسل، ويجب علينا أن نُطيعه، ما هو أول أمرٍ نتلقاه من الرسل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ۝٥٦﴾[الذاريات]، وتوحيد الله ﷻ في ألوهيته لا يتم إلا بنبذ الشرك كلِّه، هناك تلازم بين البُعد عن الشرك وتحقيق التوحيد، لا يُمكن أن تُحقق التوحيد إلا بنبذ الشرك لا يُمكن أن تنبذ الشرك وتخرج منه إلا بتحقيق التوحيد، إذًا النهي عن الشرك هو أمرٌ بإفراده بالعبودية الأمر بإفراده بالعبودية أمرٌ بترك الشرك، لأن التوحيد الخالص لا يتم إلا بالنفي

والإثبات (لا إله إلا الله) نفي ألوهيته ما سوى الله ﷻ، وإثبات استحقاق العبادة لله ﷻ فقط، وهكذا يتم التوحيد.

إذًا (أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنَّ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ) معناه لابد أن تكون موحدًا بجميع أنواع التوحيد، ولكن نحن هنا في مسألة توحيد الألوهية، توحيد الربوبية ذكرناها، لذلك هنا نقول: هي توحيد العبودية لأن الشيخ يقول هنا: (أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنَّ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ)، إذًا لابد أن توحده في عبادته تُفرده بعبادته، لا تعبد أحدًا غير الله ﷻ، عبادة الله أن تعبد الله ليس توحيدًا لا يكفي في التوحيد حتى تتبرأ من الشرك، وحتى تعتقد أن العبادة لله ﷻ فقط، وإلا المشركون كانوا يعبدونهم، وفي التلبية كانوا يقولون: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا تملكه وما ملك»، يحجون ويُصلون ويتصدقون، إذًا إن الله لا يرضى أن يُشرك معه أحد في عبادته لا مَلكٌ ولا نبيٌ مُرسل، لماذا ذكر الشيخ هنا المَلك المقرب والنبي المُرسل بعد التعميم لا يرضى أن يُشرك معه أحدٌ في عبادته، هذا تعميم بعد التعميم ذكر سورتين حتى لا يُظن أن كون الملائكة لهم جاهٌ عند الله ﷻ، وأن كون الرسل لهم جاهٌ عند الله ﷻ قد يظن بعض الجهال أن هذا يجعل لهم شيئًا من حقوق العبادة، وأنه نلجأ إليهم نتوسل بهم نتقرب إلى الله ﷻ بجاههم لا لا، هذا حق الله ﷻ، لا يجوز أن نُشرك الله ﷻ أحدًا سواءً كان نبيًا أو وليًا أو رسولًا أو غيره، هذا حقٌ محضٌ لله ﷻ.

(وَالدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن]).

المساجد معروفة علاماتنا التي خُصصت للصلاة.

(لله) أي لا يستحق العبادة فيها إلا الله ﷻ، هي بُنيت لتحقيق العبادة لله ﷻ لا أحد يذهب إلى المسجد، ويدعو غيره، بحجة أن هذا الغير يُقربه إلى الله ﷻ، مثلما كان المشركون ماذا كانوا يقولون؟ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى ﴿٣﴾﴾ [الزمر] ، نحن لسنا مؤهلين أن نتوجه إلى الله ﷻ مباشرةً لا، نحن فينا من الذنوب لا لا، أولئك لهم جاهٌ عند الله ﷻ، فنضع أمرنا عندهم هم يرفعون هذا إلى الله ﷻ، الهدف جيِّد، ولكن بما أن الوسيلة شرك فهذا شرك مُخرج من الملة.

(﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨]) لا لأحدٍ سواه. (﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن])، هذا الذي يدعو غير الله ﷻ يدعو الله ﷻ أيضًا: (﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨])، كثيرٌ من الناس لما تُنكر عليه مثل هذه الأمور يكون هناك هذا مؤمن وهو مؤمن بالله ﷻ ويدعوه ويُصلي، (﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن])، المُشرك لماذا نُسميه مُشرك؟ هل لأنه مُلحد؟ لا، المُلحد لايكون مُشركًا، المُلحد هو ملحد لا يثبت وجود الله ﷻ.

المُشرك هو الذي يُثبت وجود الله ﷻ، بل يؤمن بربوبيته في الجملة، ولكن يُشرك معه غيرَه في العبادة، (﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨])، أحدًا هذه نكرة في سياق النفي، والنكرةُ في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام تكون عامَّة من صيغ العموم: النكرة في سياق النفي: (﴿فَلا تَدْعُوا﴾ [الجن: ١٨])، هذا سياق النفي: (﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]).

يقول شخص: لا يدخل عليه أحدٌ (أحدٌ) هذا نكرة، (لا يدخل عليه) هذا نفي، النكرة في سياق النفي تُفيد العموم.

(﴿فَلا تَدْعُوا﴾ [الجن: ١٨])، الدُّعاء ينقسم إلى قسمين:

دعاء مسألة، ودعاء عبادة.

دعاء مسألة: أن تدعو الله ﷻ وتسأله من خير الدُّنيا والآخرة ما تُريد، مثلًا تقول: اللهم يا رزاق ارزقني، اللهم يا منَّان امْنن عليَّ، اللهم يا فتَّاح افتح علي، تتوسَّل إليه بأسمائه وصفاته، وتسأله بلسان حالك، بلسان قالك، هذا دعاء مسألة، ونحن لما نذكر الدعاء عمومًا نقصد هذا.

القسم الثاني: دعاء عبادة، جميع أنواع العبادة هي في الحقيقة دعاء، أنت لما تُصلي تُصلي حتى وتطلب من الله ﷻ رضاه، تطلب منه الجنة، إذًا تطلب منه بلسان حالك، وكذلك لما تحج وكذلك لما تُزكي، فأنت بلسان حالك تدعو في جميع أنواع العبادة، والله ﷻ ذكر أن الدعاء عبادة، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر] أي ذليلين

حقيرين، نسأل الله ألا نكو منهم.

وأنا ذكرت لكم أن الدعاء ينقسم إلى قسمين:

- دعاء عبادة.

- ودعاء مسألة.

إذا كان من القسم الأول من دعاء المسألة: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠] معناه: أُعطيكم ما تسألون.

وإذا كان دعاء عبادة، فمعنى ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠] أي أُثيبكم.

المُهم: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨] يشمل نوعي الدعاء: دعاء مسألة ودعاء عبادة.

المسألة الثالثة من المسائل الثلاث التي يجب الإيمان بها، ويجب اعتقادها: (**أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَسُوْلَ**) كما في المسألة الأولى، في المسألة الأولى ذكر توحيد الربوبية، وذكر منها أيضًا طاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (**وَوَحَدَ اللهَ**) كما في المسألة الثانية، المسألة الثانية: ذكرنا أنه توحيد الألوهية.

عمومًا الشيخ محمد لما يذكر التوحيد يُعرفه بتوحيد الألوهية، وسيأتي هذا وسأشرح لكم، لماذا يُعرف التوحيد وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام يُعرفه بتوحيد العبودية في كتبه، سأذكر.

(**أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَسُوْلَ وَوَحَدَ اللهَ لا يَجُوْزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيْبٍ**)، أي لا يجوز له أن يُحبهم وأن يحتفي بهم، وأن يُكرمهم وأن يُعظمهم لا يجوز هذا، لأن هذه الأمور كلها أمور قلبية فرقٌ بين التعامل الظاهر، وبين أن تُكن لهذا الذي تتعامل معه تُكن له في نفسك الحُب، هذا ما يجوز إلا للمسلم.

(**لا يَجُوْزُ لَهُ مُوَالاةُ**) أي محبة (**مَنْ حَادَ اللهَ وَرَسُولَهُ**) المُحادة هي المعاداة، وهي المخالفة الشديدة ويُطلق عليها أيضًا المُشاقة، (**وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيْبٍ وَالدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾**) (لا تجد قومًا) هنا نفي أن يكون هناك مؤمنٌ مع إيمانه عنده حبٌ للكفار لا تجد، يقول

الله ﷻ في آية أخرى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[المائدة:٨١]، لا يجتمع هذا مع هذا،

(﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾) (يوادُّون) أي يُحبونهم ويُكرمونهم ويُعظمونهم، لماذا لا تجدهم؟ لا تجد لماذا؟ لأن الإيمان يمنعهم من هذا، لماذا لا تجد؟ لأن الإيمان في قلوبهم يمنعهم، أما إذا وجدت فهذا يدل على ضعفٍ في الإيمان أو يدل على انتفاء الإيمان حسب حاله كما سأذكر في التفريق بين الموالاة والتولي.

(﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾) هنا ذكر الأقرباء حسب الأقرب فالأقرب، الأب ثم الابن، ثم الإخوة، ثم العشيرة، (﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾) ذكر الله ﷻ هنا جزاء هؤلاء وثواب هؤلاء الذين يُحققون الموالاة والمعاداة يُحققونه ذكر لهم ستة وهي أمور عظيمة جدًا، لأن هذا المبدأ، هذا الأصل الموالاة والمعاداة أصلٌ عظيم، به تعرف إيمان الرجل، وبذلك تجد هذا يقوى بتقوية الإيمان، ويضعف بضعف الإيمان، الأول: (﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾) الله ﷻ جمع الإيمان وثبته ورسَّخه في قلوبهم لولا هذا ما تحقق هذا الأصل، بما أن الإيمان قويٌ وراسخٌ، وهو جازمٌ من الإيمان، وليس عنده أي تردد فلذلك حقق هذا الأصل: (﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾) هذا الجزاء الأول.

(﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾) هذا الثاني: (﴿بِرُوحٍ مِنْهُ﴾) أي بوحيه ومدده الإلهي، وإحسانه وتأييده بالنور والهدى أي بتوفيقه الخاص.

ثالثًا: (﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾) ما أعظم هذا الجزاء، هم في الدنيا إيمانهم قوي، وتوفيق الله ﷻ وتأييده لهم نعمة عظيمة، أما في (﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾) ، هذه ثلاثة، (﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾) هذه أربعة، (﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾) طبعًا رضوا عنهم رضاهم عنه في الدنيا والآخرة، لأن رضاهم وإيمانهم بالله ﷻ راسخ، والله ﷻ سيجزيهم في الآخرة أنهم سيرضون عن

الله ﷻ.

(﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾) أن تُحب الله ﷻ هذا مطلوب، ولكن أن يُحبك الله ﷻ هذه هي النتيجة، وهذا تعرفه من نفسك، وأن يُحبك الله ﷻ ويرضى عنك، هذا الذي هدفٌ تتطلع إليه، ونسأل الله أن نكون ممن نُحب الله ﷻ ويُحبنا.

(﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾) هذا أربعة.

(﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾) هذا خمسة.

(﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ٢٢]) الله ﷻ يُكرمهم بأن جعلهم من خاصته، وحزبه العاملين، كون فلان الله ﷻ يجعله من حزبه يُكرمه بهذا شيء عظيم، ليست العبرة بالأسامي، فلان من أنصار الله، وفلان من حزب الله، وتجده وين؟ العبرة بتحقيق الإيمان، والعبرة بتحقيق الولاء والبراء، أما الدعاوي فلا أحد يعجز عنها.

(﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة])

الفلاح مقصورٌ فيه، ألا إن حزب الله مفلحون لم يقل هذا، وإنما: (﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]) هذا فيه حصر وقصر الفلاح فيمن كان فعلًا موحدًا، وهو حزب الله ﷻ.

نستكمل بعد الصلاة، وسأشير إلى الفرق بين التولي والموالاة بإذن الله.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

قبل أن نتحدث عن الفرق بين الموالاة والتولي:

أُشير إلى أن تحقيق الولاء والبراء، وهو الحُب والبغض الحُب في الله والبُغض في الله، هذا الأصل العظيم كما ذكرنا، وذكرنا هذه الآية التي فيها جزاء من يُحقق هذا الأصل العظيم، هذا كله لا يتعارض مع المعاملة الحسنة مع الكفار، لأن الكفار مع أنه يجب علينا أن نُبغضهم ونعاديهم، ونتبرأ منهم ومن معبوداتهم، ومن دينهم، مع هذا كلِّه ليس هناك تعارض بينه وبين المعاملة الحسنة لهم.

المعاملة الحسنة فيها دعوتهم إلى الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة، والدعوة إلى الله ﷻ المستهدفون فيها الجميع بما فيهم الكفار، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴿٣٣﴾﴾[فصلت:٣٣] . ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ﴾[فصلت:٣٤] هذا عمومًا ليس هناك لا تستوي الحسنة ولا السيئة عمومًا الإساءة والإحسان لا يستطيعون، وخصوصًا في مقام الدعوة: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[فصلت:٣٤] تتأكد في مقام الدعوة أكثر: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴿٣٤﴾﴾[فصلت].

فيُعامل الكافر معاملةً حسنة، ولا يُنفر من الدِّين مع أنه يجب أن تُبغضه لله ﷻ ولا تحترمه، ولا تحتفي به، لا يظهر منك شيءٌ يدل على أنك تُحبه، ولكن تتلطف إليه تُحببه إلى الإسلام، ولا تظلمه، هذا ليس من الموالاة والمعاداة.

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا**».

يجب أن يُسيء إليهم ويجب أن يُنفرهم، لا لا، ليس هناك تعارض بين هذا وهذا. هذا أولًا.

ثانيًا: هناك فرق بين الموالاة والتولِّي، التولِّي يُخرج من الملة، والموالاة هذه تُعارض كمال الإيمان، التولي يعارض أصل الإيمان، والموالاة تُعارض وتُصادم كمال الإيمان.

إذًا الموالاة لا تُخرج من الملة، والتولي تُخرج من الملة، والتعريف، التولي: أن تُحب الشرك وأهل الشرك، والكفر لأهل الكفر لأجل كفرهم وشركهم، وأن تنصرهم على المسلمين قاصدًا ظهور الكفر على الإسلام هذا مُخرج من الملَّة، تُحب المُشرك والكافر لأجل دينه، وتنصره لأجل دينِهِ حتى يظهر دينُهُ وتُظاهر المشركين والكفار على المسلمين حتى يظهر دينهم.

يقول الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[المائدة:٥١] التولِّي، وهذا كما قلت: كفرٌ مخرجٌ من الملة، وذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في «نواقض الإسلام العشرة» مظاهرة المشركين، هذا القسم الأول.

القسم الثاني: الموالاة، وهي محبة المشركين والكفار لأجل دُنياهم أو لأجل القرابة، أو لأجل مصلحةٍ دنيوية.

ضابط هذه المحبة: أن تكون المحبة لأجل الدُّنيا، ولا تكون معها النصرة بقصد ظهور الشرك والكفر، هذه تُسمى موالاة، التولي والموالاة في كليهما حبٌ لهم، ولكن إذا بلغ الحب درجةً يُحب الرجل المشرك والكافر، ويُحب ظهور دينه هذا خارج من الملَّة، أما إذا ناصره، ونصره وأحبه لأجل مصلحةٍ دنيويةٍ، فهذا كبيرةٌ من الكبائر وصاحبه على خطرٍ عظيم، ولكنه ليس خارجًا من الملة، أنا ذكرت هذا الفرق هناك خلط في هذا الموضوع، وخاصةً من أصحاب الغلو والإفراط الذين يُكفرون المسلمين بأمورٍ ليس مكفرة، فرق بين الإنكار، وبين أن تُكفر المسلم ليس مُكفرًا، تكفير المسلم جريمة كما أنَّ الاستهانة مع الكافر وموالاته جريمة أيضًا، فلا هذا ولا هذا، فبعض الناس لأجل هذا يُخرج كذا والدولة الفلانية ومن فيها من المشايخ وكذا وكل من كذا لأجل ماذا؟ لأجل أنه قد وقع منهم نصرٌ لفلان وعلَّان، هذه موالاة، وليست مُخرجة من الملة.

فهناك فرق بين التولي والموالاة، ما الذي يدل على أن الموالاة ليست مُخرجة من الملَّة؟ يقول الله

ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة:١]، الآية تدل على أن من خوطبوا بهذه الآية حصلت منهم إلقاء المودة للكفار، وأيضًا حصل منهم اتخاذهم أولياء حصل منهم مع ذلك الآية تُناديهم باسم الإيمان مما يدل على أنهم لم يكفروا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة:١].

أيضًا قول حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا رسول الله، والله ما حملني على هذا، لما دل على خروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راسل المشركين في القصة المعروفة، «والله ما حملني على هذا محبة الشرك وكراهة الإسلام**». إذًا لابد أن نُفرق بين التولي والموالاة، والقضية هذه خطيرة فيها من الغلو، فيها من الإفراط والتفريط الشيء الكثير، تجد بعض الناس تجده يُحب الكافر يُحبه أكثر من المسلم بما أن أخاه المسلم فقير، فلا يُلقي له بالًا وله منه كل الإهانة والتحقير، أما الكافر فهذا له من الاحتفاء والتعظيم والتبجيل والتكريم، ما لا يليق به أين إيمانه؟

نحن قرأنا في قوله: (﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾)، لا تجد الإيمان يمنع من هذا، لكن للأسف الشديد تجد المسلمين من يعكس القضية، هذا جانب.

جانب آخر: تجد من عنده الغلو طبعًا هذا الغلو والإفراط والتشدد موجود من القديم الذين يُمثلون الغلو هم الخوارج، والخوارج دينهم مبنيٌ على التكفير تكفير المسلمين، يُنزلون ما نزل عن الكفار يُنزلونه على المسلمين ونشأتهم الخوارج من أول الفرق التي نشأت، نشأؤوا في عهد الصحابة، وتبعهم في ذلك المعتزلة، ولهم وجود الآن، فتجده يُخرج المسلم من الإسلام وكأنه يتعاطى مع قضية يسيرةٍ جدًا أبدًا، فيقول أحد العلماء: أن تُخطئ في إبقاء كافرٍ على الإسلام أهون من أن تُخطئ في إخراجه عن الإسلام.

مثلًا رجل في أصله مسلم، وقد ارتكب من نواقض الإسلام ما تُخرجه من الإسلام، هو كافر؛ لأنه ارتكب نواقض الإسلام، نواقض الإسلام هي للأمور التي تُضاد الإيمان، ولا تجتمع مع الإيمان، هذا الرجل

كافر، مع ذلك أنت تظن أنه مسلم تُخطئ في هذا، هذا هين، ولكن إذا أخطأت في إخراجه من الإسلام وهو لا زال مسلمًا، فهذا خطأٌ أكثر فداحةً وأشنع وأخطر من الخطأ الثاني.

نقرأ الرسالة الأخيرة من الرسائل التي أُلحقت بثلاثة الأصول، هذه الرسالة هي مختصرة جدًا هي أقل ما أدري كم سطر من خمسة بالكثير ستة أسطر، الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ له من هذا القبيل الكثير، رسائل مختصرة جدًا، ولكن فيها معاني جميلة وجليلة، هناك كتاب يُدرس الآن اسمه «الأصول الستة» من رسائل شَيْخُ الْإِسْلَامِ محمد بن عبد الوهاب، عبارة عن مُذكرة كتبها عنه أظنها كتبها لنفسه، ومختصرة جدًا، وهكذا رسائله كثيرة، وهي ما بين رسالة مختصرة ومتوسطة، وهذه الرسالة من الرسائل المختصرة، ذكر فيها أمرين:

إذا سُئلت وقيل لك: ما هو أعظم شيءٍ في هذا الدين، وما هو أخطر شيءٍ في هذا الدين؟ هل سبق أن وجهنا هذا السؤال لأولادنا؟ ينبغي أن نوجه مثل هذه الأسئلة لأولادنا حتى يعرفوا مقام التوحيد وعظمة التوحيد، وعظمة ما يُضاده وخطر الشرك كثير من المسلمين يُركز على الأمور التي تتعلق بالأخلاق، أما هذه الأمور تُفرق وكذا لا يُلقي بالًا، وقد يكون وقع فيما يُخرجه من الملة وهو ما يدري، فأهم شيء في هذا الدين والذي هو أساس هذا الدين وعليه تنبني جميع الأمور هو التوحيد، وأخطر شيءٍ هو ما يُضاده ما دام هذا هو أهم شيء، فما يُضاده هو، هذه الرسالة فيها هذه المعلومة فقط.

يقول الشيخ: (**اعلَمْ - أرشدَكَ اللهُ لطاعتِه**) أنا قلت لكم: هو في غالب الرسائل يبدؤوها بالدعاء لمن يقرأ تلك الرسالة وبالتلطف معهم.

(**اعلَمْ - أرشدَكَ اللهُ لطاعتِه - أنَّ الحنيفيةَ: مِلَّةَ إبراهيمَ**).

الحنيفية مأخوذ من الحنيف، والحنيفية هي التوحيد، وهي إفراد الله ﷻ بالعبادة، (**أنْ تعبدَ اللهَ وحدَهُ مخلصًا له الدِّين**) هذه هي الحنيفية وهي مأخوذة من الحنيفي، والحنيف مُشتقٌ من الحَنف وهو الميل، الحنيف هو المائل عن الشرك قاصدًا إلى التوحيد، والحنيف هو المستقيم المستمسك بالإسلام المُقبل على الله ﷻ، المُعرض عن كل ما سواه.

إذًا الحنيفية هي ملة إبراهيم ، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[النحل:١٢٠] ، وصفه الله ﷻ بأربعة أمور في آية واحدة.

أولًا: ﴿كَانَ أُمَّةً﴾ لم يكن معه ولا أحد، أكبر أعدائه أبوه، مع ذلك الله ﷻ وصفه بأنه كان أمةً؛ لأنه اجتمعت فيه من صفات الخير ما تفرقت في غيره، صفات الخير التي تكون في أمةٍ من الناس اجتمعت في هذا الرجل الواحد، وهو أمة، اجتمعت فيه من الصفات الحميدة ما تفرقت في غيره، فلذلك هو أمة، ﴿قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، هذه الأمور هي التي جعلته أمةً، ﴿حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[النحل:١٢٠] ، إذًا هذه الملة الحنيفية ملة إبراهيم خُلاصتها: أن تعبد الله مُخلصًا له الدين، إذًا أهم شيء في هذا الدين هو إفراد الله ﷻ بالعبادة: أن تعبد الله.. إلى هنا ما يختلف معك أحد حتى مشركوا قريش ما يختلفون معك، أحد أقصد من المشركين جميع المشركين معك إلى هنا أن تعبد الله، جميع المشركين يعبدون الله ﷻ ولا يستنكفون عن عبادته، ولا يجحدون حق العبودية أبدًا، ولكن الذي يُميز الموحد عن غيره (**مخلصًا له الدِّين**)، هذا هو الذي يُميز الموحد من غيره.

(**وبذلك أَمَرَ اللهُ جميعَ الناس وخلَقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴿٥٦﴾﴾** [الذاريات:٥٦])، الله ﷻ هنا حصر وقصر الهدف من خلق الجن والإنس في أمرٍ واحد، حصره في أمرٍ واحد وهو أن يعبدوه، (**﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴿٥٦﴾﴾** [الذاريات:٥٦])، وهذا فيه حصرٌ وقصر لم يُخلقوا إلا لهدفٍ واحد وغايةٍ واحدة، وهي إفراده بالعبادة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، لا يجوز أن يُعبد غير الله ﷻ، ﴿**إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦] **ومعنى ﴿يَعْبُدُونِ﴾: يوحِّدونِ**)، إذًا الله ﷻ خلق العباد كلهم ليُحققوا هذه الغاية، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]، ولكن هل هذه الغاية قد تحققت في الجميع، لأن قوله: ، (**﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴿٥٦﴾﴾** [الذاريات])، الله ﷻ هنا يُخبرنا عن إرادته الشرعية، وإرادته الشرعية هي الأمر الشرعي والأمر الشرعي دائمًا يكون محبوبًا: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البينة:٥]،

الأمر الشرعي والإرادة الشرعية دائمًا تكون مع المحبة.

أما الأمر الكوني فلا يلزم أن يكون مقرونًا بالمحبة، فهنا الله ﷻ يُخبرنا عن إرادته الشرعية، ويُخبرنا عن أمره الشرعي، والأمر الشرعي والإرادة الشرعية قد تتحقق وقد لا تتحقق، وهذا هو الفرق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات]، ومعنى ﴿يَعْبُدُونِ﴾: يوحِّدونِ، وأعظمُ ما أَمرَ اللهُ به التّوحيدُ)، لذلك ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن القرآن كله يتضمن التوحيد، يقول: «**غالب سور القرآن، بل كل سورةٍ في القرآن فهي متضمنةٌ لنوعية التوحيد**»، لأن تقسيم التوحيد هناك قسمة ثلاثية وقسمة ثنائية: توحيد المعرفة، وهذا يشمل توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد القصد والعبادة، وهذا توحيد العبودية، فهو يتحدث عن القسمة الثنائية، فهي متضمنةٌ لنوعية التوحيد.

يقول: «بل نقول قولًا كُليًا، إن كل آيةٍ في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدةٌ به داعيةٌ إليه، فإن القرآن إما خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو التوحيد العلمي الخبري، هذا القسم الأول. هذا هو التوحيد الخبري العلمي.

سُمي التوحيد العلمي؛ لأنه يتعلق بالعلم والاعتقاد، وسُمي التوحيد الخبري؛ لأنه يتعلق بالخبر، ولا يتعلق بالعمل كما سيأتي في القسم الثاني.

وإما دعوةٌ إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يُعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وهذا هو توحيد القصد.

ثلاثة: وإما أمرٌ ونهيٌ وإلزامٌ في طاعته ونهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومُكملاته.

كيف تُحقق التوحيد؟ بالامتثال بالأوامر، وبالانزجار عن النواهي، وهذه حقوق التوحيد ومكملاته.

رابعًا: وإما خبرٌ عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا وما يُكرمهم به في الآخرة، وهو جزاء توحيده.

خامسًا: وإما خبرٍ عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العُقبى من

العذاب، فهو خبرٌ عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

ثم ذكر مثال: وهو سورة الفاتحة، كيف أنها كلها في التوحيد.

إذًا أعظم أمر في هذا الدين هو التوحيد، كم هذا السؤال كم هو سهل، وينبغي مثل هذه الأسئلة أن نُعلم أبناءنا، ونوجههم إلى مثل هذه الأسئلة وفيها خيرٌ عظيم، قد يكون شخص مثقف يمين وشمال، ولكن يكون جاهلًا في أصل وأساس الدين، بل ويحتقرك يقول: هذه الأمور تُفرق بين المسلمين.

ما هو التوحيد؟ (**وهو: إفرادُ اللهِ بالعبادة**)، نحن ذكرنا أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام في التقسيم الثلاثي، وإلى قسمين في التقسيم الثنائي، ذكرنا التقسيم الثنائي.

التوحيد العلمي والخبري، ويُسمى توحيد المعرفة ويندرج فيه توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

وتوحيد القصد والطلب، والتوحيد الإرادي الطلبي، هذه كلها أسماء نوع واحد وهو توحيد الألوهية.

والتقسيم المعروف هو التقسيم الثلاثي:

- **توحيد الربوبية.**
- **وتوحيد الألوهية.**
- **وتوحيد الأسماء والصفات.**

توحيد الربوبية: إفراد الله ﷻ بأفعاله.

توحيد الألوهية: إفراده بأفعالنا نحن العبادات، لا يجوز أن تصرفها لغير الله ﷻ.

توحيد الأسماء والصفات: إفراده بثبوت الكمالات التي لا يتصف بها غيرُهُ، نحن لما نقول: الحمد لله رب العالمين معناها: أن صفات الكمال على كمالها وتمامها، وصفات الكمال كلها لا يتصف بها إلا الله ﷻ، لا يستحقها إلا الله ﷻ، (الحمد) هو الثناء على المحمود بِذكر صفات الكمال مع المحبة

والتعظيم.

إذًا توحيد الأسماء والصفات اعتقاد أن الكمالات التي يتصف بها الله ﷻ لا يُشاركه فيها أحد، وأن الله ﷻ منزهٌ عن جميع المعايب، هذا توحيد الأسماء والصفات.

وبالتالي كل ما يذكره الله ﷻ من أسمائه وصفاته، فهي مدحٌ وكمالٌ يليق به، ولا يجوز أن تؤول تُثبت هذا وتنفي هذا، وتُمشي هذا ولا تمشي هذا، لماذا؟ كلها كمالات، الله ﷻ لم يذكرها لنفسه إلا أنها تليق به، هو الذي ذكرها لنفسه، هذا التقسيم الثلاثي.

والشيخ هنا ذكر أن التوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، تحقيق التوحيد يحصل بنوعٍ واحد: وهو **إفراده بالعبادة توحيد الألوهية**، لم يذكر الربوبية ولا الأسماء والصفات، لماذا؟ هذا الأمر سنعرفه إذا عرفنا العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة، علاقة تضمن واستلزام. **كلمة مختصرة تكتبها وتحفظها العلاقة بين أنواع التوحيد علاقة تضمن واستلزام**. كيف؟

توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، الذي يعتقد أن الله ﷻ هو الذي خلقه وهو الذي رزقه، وهو الذي يرزقه ويُدبر أمره يلزمه أن يُفرده أيضًا بالعبادة، كيف يعتقد أنه هو الذي خلقه ويتجه لغيره؟ إذًا توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

أيضًا يستلزم توحيد الأسماء والصفات، ما دام أنه هو الذي خلقهم وهو الذي رزقهم، إذًا لا يتصف بهذه الصفات، وبهذه الكمالات على كمالها وتمامها إلا الله ﷻ، لابد أن تعتقد هذا الاعتقاد، توحيد الألوهية، من كان يوحد الله ﷻ في عبادته لا يصرف شيء من أنواع العبادة إلا لله ﷻ، هذا معناه أنه يوحده في ربوبيته، لم يكن هذا منه إلا لأنه يعتقد أن هو الذي رزقه وهو الذي يُدبر أمره.

إذًا توحيد الربوبية يتضمن توحيد الألوهية.

أيضًا توحيد الألوهية تستطيع أن تقول: يتضمن توحيد الأسماء والصفات، لأنه ما أفرده بأنواع العبادات، إلا لأنه يعتقد أنه هو المُتفرد بصفات الكمال والجلال، وأنه هو المتفرد بالتنزه والتقدس عن المعايب.

إذًا العلاقة بين أنواع التوحيد علاقة تضمن واستلزام.

ما هو النوع الذي هو أشملُها؟ توحيد العبودية الذي يُفرده بالعبادة معناه: أنه موحد توحيد الألوهية والربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

إذًا هذا النوع هو أشمل أنواع التوحيد.

إفراد الله بالعبادة معناه: أنه يوحده أيضًا في ربوبيته، ويوحده أيضًا في أسمائه وصفاته.

(**وأعظمُ ما نهى عنه الشّركُ، وهو دعوةُ غيرِهِ معهُ**) الشرك أخطر شيء في هذا الدين، والشرك الأكبر ينفرد بثلاثة خصائص:

- **أولًا**: أنه لا يُغفر إذا مات الإنسان عليه لا يُغفر، ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:١١٦] .

ثانيًا: أنه يُحبط جميع الأعمال.

ثالثًا: أنه موجبٌ للخلود في النار لمن مات عليه.

(**والدّليل قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾** [النساء:٣٦]).

فيه أمرٌ بالعبادة وإفراد الله ﷻ بالعبادة، ونهيٌ عن الشرك في عبادته: (﴿وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦])، (شيئًا) نكرة في سياق النفي، هذا فيه عموم في أنواع الشرك لا شرك صغير ولا شرك كبير، والعموم هنا في المُشرَك به لا تُشركوا لا الأنبياء ولا الملائكة ولا الأولياء، لا يجوز أن تُشرك به أحدًا.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَا الأُصُوْلُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، وَدِيْنَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الشارح وفقه الله:

هذه هي الأصول الثلاثة التي يُسأل عنها كل مُكلف في القبر، وذكرنا أن الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ أراد أن يجمع الأجوبة عن هذه الأسئلة الثلاثة في كتابٍ واحد مع التركيز وذِكر الأدلة ليكون أنسب للحفظ.

(**مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، وَدِيْنَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)، طبعًا هذه أصول والأصل هو الذي يُبنى عليه غيره، هذه أصول؛ لأنها أصول العلم الشرعي، وهي أصول المعرفة الصحيحة، المعرفة هناك نظريات كثيرة جدًا في المعرفة كيف تحصل المعرفة؟

المعرفة الصحيحة فيما يتعلق بالغيبيات هذه أصولها.

إذا لم تكن مؤمنًا بالله ﷻ، فقد حرمت نفسك من أهم أصول المعرفة، ولذلك تنتظرك أوديةُ الوهَم والخيال والتخمين والظن التي لا تنتهي.

وكذلك إذا حُرم الإنسان من الإيمان بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد حرم نفسه من أهم أصول المعرفة، وبالتالي سيكون متطفلًا لموائد الشرق والغرب ولن يجد اليقين، هذا فيما يتعلق بالأمور الدينية.

وحسب الإيمان بالله ﷻ وبالنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحسب الإيمان بالوحي ستتعرف الدين معرفةً صحيحة يقينية، هذه الأصول الثلاثة هي أصول المعرفة الصحيحة، ويُمكن أن يُقال عن هذه الأصول: أنها معرفة الرسول والمُرسل والرسالة.

معرفة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الواسطة بيننا وبين المعبود وبين الله ﷻ في تبليغ الرسالة، تُريد أن تدعو الله ﷻ وتجعله واسطة بينك وبينه ما يصلح، تدعو الله ﷻ مباشرةً.

معرفة المُرسِل: من الذي أرسله، كيف ستعرفه؟ هل ستعرفه بالعقل المُجرَّد، لو كان العقل المُجرد

كافيًا في معرفته ما أرسله، لذلك فلاسفة الهند الذين يُسمون بالبراهمة، هم يرون أنَّ الرُّسل لا حاجة إليهم، لماذا؟ يقولون: الرسل إما أن يأتوا بشيءٍ موافقٍ للعقل فيؤخذ عنهم ما استفدنا شيء جديد، جاء بشيءٍ موافق للعقل، وعرفنا أنه جاء بشيء موافق للعقل وعملنا به، هل أضاف جديدًا؟ ما أضاف جديدًا.

أو يأتي بشيءٍ يُخالف العقل فلا يُقبل منه، وكثيرٌ من الفِرق الكلاميَّة وغيرُها من المبتدعة يُساعدونهم في هذا، فهم معهم وهم معه في أن النقل إذا كان مُخالفًا للعقل، فإنه لا يؤخذ به، أليس كذلك؟!

في هذه المسألة إذا تصادم العقل والنقل فالمُقدَّم عند كثير من المبتدعة العقل. فلاسفة الهند يقولون: أنتم معنا في هذا الرُّسل إذا خالفوا العقل أنتم معنا، وبالتالي لا حاجةَ إليهم، ماذا عسى أن يقول المُتكلم هنا لهذا الهندوسي، بماذا سيُجيب؟ أبدًا، الذين يُقدمون العقل على النقل، ما هو العقل؟ العقل علم المخلوق، وما هو النقل؟ النقل علم الخالق، العقل علمُك اكتسبت هذا العلم بأدواتك الخاصة، وهذا العلم سيكون محدودًا بحكم محدودية الوسائل تُريد أن تُدرك ببصرك جميع المُبصرات ما يُمكن بيني وبينك آلاف الذرات تسبح بالهواء ما نراها، من رحمة الله ﷻ بنا أننا لا نراها، وإلا لو رأيناها ما استقامت الحياة.

وكذلك لما ننظر في الماء نراه فيه من الجراثم النافعة والضارة الشيء الكثير، أنت لما تنظر بالمجهر، ترى ما فيها، من رحمة الله ﷻ أننا لا نراها.

هناك أمور ما نراها حتى بالمجهر، فأنت بهذه الوسائل المحدودة تُريد أن يكون علمُك نِدًا لعلم الله ﷻ، إذًا العلم هو العلم المخلوق، والنقل علم الخالق، **فمن يقول: أن العقل إذا تصادم مع النقل قُدِّم العقلُ، هذا يُقدم علم المخلوق على علم الخالق.**

إذًا هؤلاء المبتدعة هم مع فلاسفة الهند في جزء من المُشكلة، ولا يُمكنهم أن ينفصلوا عن الشبهة بجوابٍ صحيح واضح.

لذلك البرهمي يقول: ما دُمنا متفقين أن الرسل على أن الرسل إذا خالفوا موجبات العقل ما نأخذ منهم، وأن العقل هو المُقدم ما دمنا متفقين على هذا لا حاجة إليهم! لأنهم إذا وافقوا العقل ما أضافوا

جديدًا.

ولذلك تجد كثيرًا من المتفلسفين من الفرق الإسلامية تجده يخوض في وسائل المعرفة وأدوات المعرفة، ويخوض في فحصها، فيصل إلى نتيجة أن أخبار الآحاد لا تُفيد اليقين، ولا يُمكن الأخذ بها في اليقينيات، لأنه فحصها فوجدها غير لائقةٍ بهذا المجال.

الذي يجب أن تفحص عقلك كل بليَّة في عقلِك، أما كلام الله ﷻ وكلام رسوله لا يحتاج أن يفحصه الجهمي بن صفوان، والمريسي، وفلان المتكلم، وفلان الصوفي، وفلان الفلان ما يحتاج.

لذلك هذه الأصول الثلاثة هي أصول المعرفة الصحيحة، ومن حرم نفسه منها كلها أو بشيء منها فقد حرم نفسه من أصول المعرفة الصحيحة بعضها أو كلها، هذه هي الأصول الثلاثة: (**مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَهُ، وَدِيْنَهُ، وَنَبِيَهُ مُحَمَدَاً** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

هذه الأصول الثلاثة هي التي وردت مجتمعةً في حديث يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولًا**». أخرجه الإمام مسلم من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أيضًا من رضي بهذه الأصول الثلاثة وقالها عن يقينٍ بعد قول المؤذن، المؤذن لما يقول: أشهد أن محمدًا رسول الله، إذا قال المسلم إذا اعترف بهذه الأصول الثلاثة وقالها عن يقين بعد الأذان بعدما يسمع قول المؤذن: «**أشهد أن محمدًا رسول الله غُفر له ما تقدم من ذنبه**» يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحديث أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» يقول: «مَن قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله» ماذا يقول؟ «**رضيتُ بالله ربًا، وبمحمدٍ رسولًا، وبالإسلام دينًا غُفر له ذنبُهُ**». الحديث أخرجه الإمام مسلم كلا الحديثين.

إذًا هذه هي الأصول الثلاثة لاحظوا أن الشيخ محمدًا رَحِمَهُ اللَّهُ هنا يقول: (**مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَهُ**) عبَّر هنا بالمعرفة، والمعرفة بمعنى العلم، ولكن المعرفة لا تُستعمل في حق الله ﷻ، لأن المعرفة يسبقها الجهل،

فلا تستعمل في حق الله ﷻ.

ملاحظة أخرى: أن شيخ محمدًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (**مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ**) ثم سيُعرِّف الرب، وسنرى أنه في تعريفه للرَّب يذكر أيضًا الألوهية، لا يكفي أن تعرف أن الله ﷻ هو الذي خلقك، وهو الذي خلق السماوات والأرض وهو الذي يُدبر الأرض وهو الذي يرزقك، وهو الذي يُميتك ويُحييك لا يكفي هذا، بل لابد أن تعبده تُفرده بالعبادة، لأن القدر الأول بالنسبة للربوبية حتى المشركون كانوا يعرفون هذا ويوقنون بهذا من حيث الجُملة ما عندهم إعراض في الربوبية، ولكن من حيث الجملة يعتقدون أن الخالق والرازق هو المُدبر هو الله ﷻ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [لقمان:٢٥] اللام للتأكيد، والنون المُشددة: ﴿لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾.

يقول: (**فَإِذَا قِيْلَ لَكَ**)، هذا المنهج ذِكر المعلومة بطريقة السؤال والجواب هذا لتثبيت المعلومة، والشيخ محمد اتبع هذه الطريقة في الأصل الأول، الأصل الثاني والثالث لم يتبع هذا المنهج.

(**فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِيَ اللهُ الَّذِي رَبَانِي وَرَبَّى جَمِيْعَ العَالَمِيْنَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ**).

خلاصة ما ذكره هنا: أن الرَّب عرفه بأمرين:

الأمر الأول: أنه هو الخالق.

والأمر الثاني: أنه هو المعبود.

ونحن نعرف أن كونه معبودًا وإفراده بالعبادة هذا نوع من أنواع التوحيد، وإفراده بالربوبية نوع من أنواع التوحيد، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فكيف عرَّف الرَّب؟ عرَّفه وأدخل في تعريفه أيضًا ما يتعلَّق بالألوهية.

هذا الأمر نعرفه إذا علمنا أن الرّبوبية والألوهية من الألفاظ التي إذا اجتمعتا تفرقتا، وإذا تفرقتا اجتمعتا.

هناك ألفاظ إذا اجتمعت تفرَّقت، وإذا تفرقت اجتمعت؟

إذا تفرَّقت توسَّعت في المدلول، إذا اجتمعت ضاقت في المدلول، مثل: الإيمان والإسلام إذا اجتمع الإسلام والإيمان فالإسلام له معنى والإيمان له معنى، إذا اجتمعتا تفرَّقتا إذا ذُكر الإسلام والإيمان في سياقٍ واحد، فالإسلام له معنى والإيمان له معنى، تفرَّقتا في المدلول، وإذا تفرّقتا ذُكر فقط الإيمان يدخل فيه الإسلام ذُكِر فقط الإسلام يدخل فيه الإيمان، من الألفاظ التي إذا اجتمعت تفرقت، وإذا تفرقت اجتمعت.

الألوهية هي إفراد الله ﷻ بالعبودية، بأعمال الإنسان؛ لأن الألوهية هي العبادة، هذا معناها.

والإله هو المألوه هو المعبود.

أما الربوبية فترجع إلى السيادة، الله ﷻ هو الخالق وهو الرازق، وهو المُدبِّر، ولكن إذا ذُكرت الربوبية فقط يدخل فيها الألوهية، إذا ذُكرت الألوهية فقط يدخل فيها، وهذا الذي جعلَ الشيخ محمدًا هنا يُدخل الربوبية في معنى الألوهية.

ثانيًا: نجِد أن بعض الفرق الكلامية تُفسر الألوهية بالربوبية عمومًا سواءً اجتمعت أو تفرَّقت مثل الأشاعرة والماتريدية وغيرهم، يرون أن الله معناه: هو الرب، والرب معناه: هو الله، وهذا خطأ.

من أوضح ما يدل على خطأ هذا: أن المشركين كانوا يعترفون بالربوبية، لم يكن خلاف بينهم وبين النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بل بقية الأنبياء أيضًا في الربوبية هم كانوا يثبتون أن الله ﷻ هو الخالق وهو الرازق، والقرآن شاهدٌ بهذا: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[لقمان:٢٥] ، عندهم الرَّب واحد، لا يجوز أن يُطلق الرب على غير الله ﷻ عند المشركين لا يجوز مثلًا هم يعبدون الأصنام لا يجوز أن يُطلق على الأصنام أنهم أرباب أبدًا، الرَّب عندهم واحد، ولكن المعبودين الآلهة كُثر، لذلك قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ۝٥﴾[ص]. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ۝٣٥﴾[الصافات]، ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[الشورى:١٣]، لأنهم مشركون يُشركون

مع الله ﷻ غيره في العبادة، أما الربوبية فالرب عندهم واحد، فهُم يُفرقون بين هذا وهذا.

أحدهم يقول في شعره:

تروَّحنا من اللعباء عصرًا وأعجلنا الإلهة أن تؤوبَا

الإله يقصد الشمس، هم يرون أن الشمس مخلوقة لله ﷻ، مع ذلك يُطلق عليها إله؛ لأنه يعبدها، أما الرَّب فعندهم واحد.

مما يدل على أن الربوبية لغةً تختلف عن الألوهية، فمن يُفسر هذا بهذا وهذا بهذا فخطؤه لغةً وشرعًا، هو مُخطئٌ لغةً وشرعًا.

أما أهل السنة فيُفرقون، ولكنْ إذا ذُكرت الألوهية فقط دخل فيها الربوبية، وإذا كان العكس فالعكس.

نحن قلنا: إذا ذُكرت الربوبية تدخل فيها الألوهية والعكس.

أولًا: العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ذكرتها سابقًا، العلاقة بينهما علاقة تضمن واستلزام، توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، فهذا يدخل في هذا استلزامًا أو تضمُّنًا، أو قصدًا. متى؟ إذا أُفرد أحد اللفظين يدخل فيه الثاني: إما تضمنًا أو استلزامًا أو قصدًا.

فلذلك هنا يقول: (مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَهُ)، وهكذا في القبر ستُسأل من ربُّك؟ تدخل في الألوهية.

(فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَنْ رَبُكَ؟ فَقُلْ: رَبِيَ اللهُ الَّذِي رَبَانِي وَرَبَّى جَمِيْعَ العَالَمِيْنَ بِنِعَمِهِ).

التربية: هي تدريج المُربِّي في مصاعد الكمال كل كمالٍ بحسبي، المُربي يتدرج مع من يُربيه في مصاعد الكمال يُربيه ثم يُربيه.. وهكذا يتدرَّج في مصاعد الكمال كل كمالٍ بحسبه، هذه هي التربية، والتربية لابد فيها من التدرُّج.

الطالب لما يكون على مستوانا أنت تبدأ تُدرسه «صحيح البخاري» هذا ليس من التربية، ولذلك كونوا ربانيين أي هم الذين يُعلمون الناس صغار العلم قبل كبارها، فالتدرُّج هو التنقُّل درجة درجة.

والتَّربية أقسام:

تربية الأجسام بالأغذية وما تتطلبها، تربية الغرائز، تربية الفِكر، تربية العقل وغيرها، ومن أعظم أنواع التربية أن الله ﷻ بعث فيهم الرُّسل ليُعلموهم أمور دينهم، أما بقية أنواع التربية تُضبط بهذه كثيرٌ منها الله ﷻ أعطى الإنسان عقلًا به يعرف ما يُفيده، ويُميزه عما ينفعه عما يضره.

إذًا ربي الله الذي ربَّاني وربى جميع العالمين بنعمه، هذا يشمل جميع أنواع التربية إما بالوحي وإما بالعقل. هذا المعنى الأول.

المعنى الثاني: (وَهُوَ مَعْبُودِي). إذًا أدخل هنا ما يتعلق بالألوهية أدخله، (وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]).

قلنا: التربية أنواع، ومن أهم أنواعها: تربيةُ الروح، وتربية الروح بماذا تكون؟ بالوحي، تربية الروح تكون بالوحي، يقول الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الشورى:٥٢].

إذًا بالقرآن بالوحي الله ﷻ يُربي العقول والروح، وهذه أهمُّ أنواع التربية.

(وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]).

الألف واللام في (الحَمد) للاستغراق.

(لِلَّهِ) اللام للاستحقاق. واللام تكون للاستحقاق إذا كان ما قبلها من المعاني: (العلم لفلان، القُدرة لفلان، الكمال لفلان) أما إذا كان ما قبلها من الأعيان فيكون للتمليك: (الدار لفلان) ليس معناها يستحقها كثيرون، وأحق من يستحقها فلان لا، فهُنا (الحمدُ لله) أي لا يستحقها إلا الله ﷻ: (الحُمدلله).

والحَمد: هو الثناء على المحمود بِذكر أوصاف الكمال، على وجه المحبة والتعظيم. كم قيد ذكرنا؟ الثناء على المحمود، كيف تُثني عليه؟ بِذكر أوصاف الكمال، على وجه المحبة والتعظيم.

الثناء على المحمود بِذكر أوصاف الكمال، إلى هنا الحمد والمدحُ يستويان، أليس المدح أثناء على

المحمود بِذكر أوصاف الكمال، أليس كذلك إلى هنا يستويان.

(على وجه المحبة والتعظيم) الحَمد لابد فيه هذا، أما المدح لا، فلان من الشعراء يمدح فلانًا ويجعله وين، وما تدري عن قلبه، المدح لا يستلزم التعظيم والحب القلبي.

أما الحَمد فلابد فيه من المحبة والتعظيم، وهذا هو الفرق بين المدح والحَمد.

الثناء على المحمود بِذكر أوصاف الكمال، هذا أيضًا يُطلق على الشُّكر، الشُّكر والحمد والمدح ألفاظ متقاربة، ولكن بينها فروق.

من الفروق بين الشكر والمدح: أن الثناء على المحمود بِذكر أوصاف الكمال في الشُّكر يكون في مقابلة إحسان.

أما في الحَمْد يكون في مقابلة إحسان أولى أعم، والله ﷻ محمودٌ على نعمِهِ وهذا معنى الشُّكر، ومحمودٌ أيضًا على ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعالِهِ، عرفتم الفرق بين الحمد والشُّكر، الشكر دائمًا يكون الثناء على المحمود فيها في مُقابل النِّعم.

كيف تؤدي الشكر وكيف تؤدي الحمد؟

الشكر في الأداء أعم في وسائل الأداء الشكر أعم، الشكر يكون باللسان وبالقلب، وبالجوارح.

يقول أحدهم:

أفادتكم النَّعماء مني ثلاثةً يدي ولساني والضَّميرَ المُحَجَّبَا

الشُّكر يتأدى بالجوارح وباللسان وبالقلْب.

أما الحَمد: فيكون باللسان والقلب، فهو أخص، فبينهما عموم وخصوص أحدهما أعم من وجه، والثاني: أعم من وجه، الحمد أعمُّ من جهةِ النَّظر إلى السبب، فالشُّكر لسببٍ واحد، والشُّكر أعم بالنسبة إلى ما يتأدى به.

(﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾) نحن قلنا: أن الحمد هو الثناء على المحمود بِذكر أوصاف الكمال، من الذي يُعلمك هذه الأوصاف، أوصاف الكمال من الذي يُعلمك إياها؟ هذه الأوصاف تأخذها من الكتاب

والسنة، هذه الأوصاف تجدها في أسمائه وصفاته، أسماء الله ﷻ كلها مشتقة، وكلها تتضمن صفاتٍ وهذه الصفات هي المعاني التي تليق بكمال الله ﷻ وجلالِه.

وباب الأسماء وباب الصفات توقيفي، لا يجوز أن تُسمي الله ﷻ باسمٍ لم يرد في الكتاب والسنة، ولا يجوز أن تصفه بصفة لم ترد في الكتاب والسنة. إذًا لابد أن تتعلم إذا أردتَّ أن تحمد الله ﷻ على ما يليق به حمدًا كاملًا فلابد أن تتعلم أسماء الله ﷻ وصفاته، أسماء الله ﷻ كثيرة، والمُهم فيها كما ورد في الحديث: «**من أحصاها دخل الجنة**» تحصيها تحفظ الألفاظ ويدخل فيها أن تعلم معانيها، ويدخل فيها أيضًا أن تتعبد الله ﷻ بموجبها، تسأل الله ﷻ تتوسل إليه وتأخذ من هذه الأسماء بما يُناسب مطلوبك.

نحن قلنا: أن الحمد جميع صفات الكمال لله ﷻ لا يستحقها أحدٌ غير الله ﷻ، لابد أن نؤمن بهذا إيمانًا جازمًا، ولابد أن نؤمن أيضًا أنما وصف الله ﷻ به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله هذه كلها أوصاف كمال لا نقص فيها، بعض المبتدعة هنا يُشغل نفسه هذا فيه تشبيه، وهذا فيه تجسيم، وهذا فيه كيت..

الله ﷻ يُعلمنا كيف نحمده، وكيف نثني عليه؟ وذكر هذه الصفات حتى نُثني بها عليه.

ذكر من هذه الصفات صفة الاستواء، الله ﷻ ذكرها متمدحًا بها، وهل سيكون استواؤه مثل استواء المخلوق؟ استواء المخلوق فيه افتقار، أنا الآن مُفتقر إلى هذا الكرسي إذا سقط سأسقط.

والله ﷻ استوى على العرش، والعرش هو الذي خلقه، العرش هو بحاجةٍ إلى الله ﷻ، الله ﷻ ليس بحاجةٍ إليه، فهل سيكون استواءه مثل استواء المخلوق؟ هل علمنا كيف استوى؟ ولكن علمنا أنه يتمدح بهذه الصفة فنثبتها على ما تليق بكماله وجلاله، ولا نخوض مثل المبتدعة يستلزم كذا أستغفر الله، هذا استوى المخلوق!

الله ﷻ لما يصف نفسه بهذه الصفة أعوذ بالله غاب عنه أن هذا يستلزم كذا يستلزم كذا وأنت الذي تذكرت هذا؟ هذا شؤم البدعة، من شؤم هذه البدع أنه حرم نفسه من الحمد، ولذلك لا يُمكن أن يحمد الله ﷻ على ما يليق به على ما هو المطلوب إلا أهل السنة غيرهم لا يُمكنهم أن يحمدوا الله ﷻ على ما

يليق به، وعلى ما هو المطلوب، لأن كثيرًا منهم بعضهم يُعطل الصفات، وبعضهم يُعطل الأسماء يبعث بها.

إذًا من حمد الله ﷻ أن تثبت كلما أثبته الله ﷻ لنفسه، تثبتها كما تليق بكماله وجماله.

تنبيه أخير: نجد أن كثيرًا من المخلوقين يتصفون بصفات الكمال، يتصفون بصفة السمع والبصر والإرادة والقدرة والعلم وغيرها من الصفات، الحياة، وهذه صفات الكمال، ولكنْ هناك فرق بين اتصاف الله ﷻ بها واتصاف المخلوق بها من وجوه كثيرة أهمها أمران:

الأمر الأول: أنه لا يُمكن أن يكون مخلوقٌ متصفًا بجميع صفات الكمال، تجد هذه الصفات بعضها اتصف بها فلان، وبعضها اتصف بها فلان، شرعًا وقدرًا لا يُمكن أن يكون مخلوقٌ واحد اتصف بجميع صفات الكمال.

هل عرفنا لماذا نقول: (﴿الْحَمْدُ لِلَّه﴾)؟ لا يُمكن لغير الله ﷻ.

ثانيًا: الكمالات التي يتصف بها المخلوق هي كمالٌ بحسبه، نحن الآن حياتنا هذه.

إن شاء الله نُكمل بعد الصلاة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

كنا نتحدث عن (**الحمد**) وذكرنا في آخر ما ذكرنا أن كون (**الحَمد**) لا يستحقه إلا الرَّب سبحانه، ومع هذا الألف واللام التي للاستغراق أن الحَمد جميع أنواع الحمد لا يستحقها بكمالها وجلالها وبتمامها إلا الله ﷻ، يدخل فيه أيضًا: أنَّ أوصاف الكمال التي يتصف بها المخلوق، نحن ذكرنا أولًا: لا يُمكن أن يكون هناك مخلوق يتصف بجميع صفات الكمال، مما يدل على أن الحمد لله رب العالمين، جميع أوصاف الكمال صفات الكمال الكمال المطلق، هذه لا يتصف بها إلا الله ﷻ.

ثانيًا: المخلوق الذي يتصف ببعض صفات الكمال، كمالُهُ بحسبِهِ.

أولًا: هذه الصِّفَات ليستْ منه. الله ﷻ هو الذي وهبها له.

ثانيًا: هي كمالٌ نسبي بالنسبة له، فالحياة مثلًا والقدرة والإرادة وغيرها، ليس بيده شيء منها، فحياتُنا ليست بأيدينا ما ندري عن بدايتها ولا عن نهايتها، ولا ما يكون بينها.

إذًا هذه من الله ﷻ.

أولًا: لا يتصف بصفات الكمال كلها إلا الله ﷻ.

ثانيًا: لا يتصف بها بكمالها وتمامها إلا الله ﷻ.

وبهذا كله نعرف عُمق هذه الجملة: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة: ٢]). (الحمد لله) بعدها يقول الله ﷻ: (﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾) هذا ذكرٌ لبعض مقتضيات الحمد، أو موارد الحمد، الله ﷻ لما يذكر حمده ويذكر محامده يذكر أيضًا بعض موارد الحمد، ما ذُكر هنا يرجع إلى ربوبيته، جميع صفات الكمال والتي لا يستحقها إلا الله ﷻ، والذي يجب أنْ يُعظَّم، ويُثنى بها عليه هو الله ﷻ لماذا؟ هو رب العالمين هو الذي خلقك وهو الذي رزقك، وهو الذي يُدبر أمرك وجميع النِّعم: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ

فَمِنَ اللهِ﴾[النحل:٥٣] ، إذًا هو الذي يستحق الحمد وليس غيرُهُ.

وموارد الحمد التي ذُكرت في القرآن هي تقريبًا سبعة، الله ﷻ حَمد نفسه لألوهيته لربوبيته كما هو هنا بأسمائه وصفاته أيضًا لأوامره الشرعية، وكذلك للحكم التي في أحكامِهِ، هذه كلها موارد الحمد: : (﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢])، (وَكُلُ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ) إذًا هناك ربٌّ ومربوب وخالقٌ ومخلوق، الخالق هو الله ﷻ، والمخلوقات هي ما سواه، كل ما سوى الله عالم، لأنه هنا يقول: : (﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢])، إذًا كل ما سوى الله ﷻ عالَم، (وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَمِ).

كل ما سوى الله عالم، والعوالم كثيرة: عالم الإنسان، عالم الطير، عالم الملائكة، عالم الجن، عالم النبات وغيرها، عوالم كثيرة، والإنسان نوعٌ من هذه العوالم، وأنت أيها الإنسان واحدٌ من أفراد ذلك الإنسان: (﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَكَ؟

فَقُلْ بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوْقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوْقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَاضُوْنَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيْهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

وَالرَبُ هُوَ المَعْبُوْدُ وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ المُسْتَحِقُ لِلْعِبَادَةِ.

قال الشارح وفقه الله:

الله ﷻ ليس مُشاهدًا حتى نراه، وأيضًا ليسَ هناك نظير له نشاهده فنعرفه بالقياس إليه بوسائل المعرفة تُشاهده فتعرفه أو تُشاهد نظيره فتعرفه بالقياس إليه، فكيف تعرفه؟ (بِمَ عَرَفْتَ رَبَكَ؟) أليس السؤال وجيهًا؟.

(فَقُلْ) يعني قُل هكذا جازمًا لا تتردد، لا تقل خلني أسأل الفيلسوف والمُتكلم فلان، ويُعطيني الوسائل التي بها أعرف، (بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوْقَاتِهِ) الله ﷻ تنقسم إلى قسمين:

- آياته المتلوَّه المقروءة؛ وهي القرآن.

- وآياته الكونية وهي المخلوقات، فما الذي يُريد بالآيات هنا؟ يُريد بها الآيات الكونية، وهذا نعرفه بما سيأتي من كلامه: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ) مما يدل على أنه يُريد بالآيات هنا الآيات الكونية، والأدلَّة التي نعرف الله ﷻ بها في مجموعة ثلاثة:

- دليل الفطرة.

- ودليل الوحي.

- والدليل العقلي.

المؤلف هنا اقتصر على **الدليل العقلي**، ولكن الدليل العقلي الذي ذكره هنا هذا مُركبٌ من الدليل النقلي والعقلي، والأدلة النقلية العقلية، أو الأدلة العقلية النقلية، هذه هي الأدلة.

الأدلة النقلية البحتة، أو الأدلة النقلية العقلية، كما هو هُنا.

والمؤلف هنا ذكر الدليل العقلي، ولكن الأدلة العقلية التي ذكرها هي أدلةٌ عقلية من ناحية ونقلية من ناحية، لماذا؟ لأنها ذُكرت في النقل.

والأدلة العقلية التي ذُكرت لإثبات وجود الله ﷻ كثيرةٌ جدًا.

أسهمَ في ترتيب هذه الأدلة جميع الفلاسفة باستثناء الدهرية منهم بدءًا من أرسطو وشيخه أفلاطون وشيخه سقراط من هناك الأدلة هذه تُذكر، ولكن أدلتهم غريبة جدًا، لا توصلك إلى المعبود أبدًا، فلذلك أرسطو كان وثنيًا شيخه أفلاطون وثني، شيخه سقراط وثني، مع أن عندهم أدلة وهم يُسمون الفلاسفة المؤلهة، فعندهم أدلة، ولكن هذه الأدلة لا توصل إلى المعبود، ولا توصل إلى الخالق الذي توصل إليه هذه الأدلة العقلية النقلية.

إذًا الأدلة العقلية النقلية، هذا النوع من الأدلة هناك تفريط جدًا في حقها في كتب المتكلمين، يهتمون بالأدلة العقلية وأدلتهم العقلية قريبة من أدلة الفلاسفة، لأن موادها مأخوذة منه، الأدلة العقلية التي تجدها عند الأشاعرة والماتريدية والمتكلمين وغيرهم من المعتزلة والجهمية كلهم عندهم أدلة لإثبات وجود الله ﷻ، ولكن بما أن موادها مأخوذة من الفلاسفة، حولوا هذه الأدلة بما يتناسب مع إيمانهم بوجود الله ﷻ، وبما يتناسب مع وجود الخالق، ولكنهم لم يصلوا إلى تلك الأدلة العقلية النقلية التي توصلك إلى الخالق الذي هو معبود، فلذلك تجد عند العباقرة من المتكلمين فيهم شرك يدعون إلى شرك عبادة القبور وعبادة الأضرحة، مع أن الأدلة على وجود الله ﷻ عندهم كثيرة جدًا.

أولًا: الشيخ هنا اقتصر على هذا الدليل، وليس معناه: أن هذا هو الدليل الوحيد، لأن الكتاب -كما رأيتم- كتاب مختصر جدًا.

ثانيًا: الأدلة التي ذكرها هي أدلة عقلية، ولكنْ عقلية نقلية.

ومن أهم سمات الأدلة العقلية النقلية أنها واضحة سهلة، وتوصلك إلى المطلوب، الدليل لماذا نُسميه دليل؟ لأنه يدلك على المطلوب، تُريد أن تذهب إلى البحر مثلًا فدليلك يوصلك إلى المطلوب، أما إذا أوصلك إلى البر، هذا ليس دليلًا.

أيضًا الآية هي البينة الواضحة التي توصل إلى المُراد، وكل دليلٍ وآيةٍ ليس فيها هذا الأمر الإيصال إلى المقصود فليس دليلًا في أقل الأحوال ليس دليلًا صحيحًا، وليس آيةً.

(فَقُلْ بِآيَاتِهِ)، إذا عرفنا أن الآيات التي يقصدها هنا هي الآيات الكونية، (وَمَخْلُوْقَاتِهِ)، آيات الله ﷻ

هي مخلوقاته، ومخلوقاته هي آياته، ولكن المؤلف هنا غاير بين النوعين بالنظر إلى أمرين:

الأمر الأول: هكذا ورد في الآيات التي استدلَّ بها، مثلًا: (﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾) ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[يونس:٣]، إذًا هذه مخلوقات وهذه آيات، وذكرت لكم أن الآيات هي مخلوقات، والمخلوقات هي آيات، الآيات هي المخلوقات؛ لأنها آيات كونيَّة، والمخلوقات هي آيات؛ لأنها أدلة تدل على الخالق، من خلق هذه المخلوقات هي تدل عليه، جميع المخلوقات هي آيات وأدلة تدلك وتوصلك إلى من خلقها. هذا الأمر الأول: سبب المغايرة بين الآيات والمخلوقات.

السبب الثاني: أن الآيات هي الأمور التي تتغير تذهب وتأتي وتتقلب، لأن كونها آيات أوضح فيها، وإلا جميع المخلوقات آيات، ولكن السماء والأرض تُصبح وتُمسي تراها هكذا، قارن بينها وبين الليل والنهار، فكونها آيات أوضح وإلا كلها آيات، فالأمور التي تتغير وتراها الشمس والقمر تراها تطلع وتغرب، وكذلك الليل والنهار هذه أظهر في كونها آيات، مع أن الله ﷻ أطلق على ما جعلها المؤلف هنا جعلها مخلوقات أطلق عليها أيضًا آيات، يقول الله ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾[الشورى:٢٩]. إذًا المغايرة هذه لهذين الأمرين:

(﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾) الليل والنهار هاتان الآيتان، جميع الآيات إذا وقفت مع آية تدبرت فيها، والمؤمن مأمورٌ بالتدبر في المخلوقات، وكذلك في الآيات، إذا تدبرت في هذه الآية الواحدة فقط الليل والنهار غريبة جدًا، وعلى مدى هذه السنين تستطيع أن تُحدد بعد كذا سنة بالثانية أقل من الثانية يسموها، جزء من الألف ثانية لها اسم، وجزء من المليون ثانية لها اسم، جزء من المليار ثانية لها اسم، فمتُ ثانية أظن كذا ثانية، تستطيع أن تُحدد.

يقول الله ﷻ: (﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾)، هذه من آياته، تعاقبها واختلافها هذا كله يدل على أنها مخلوقة ومُحدثة، وكل مخلوقٍ ومُحدث يحتاج إلى خالقٍ ومُحدِث وهو الله ﷻ.

(﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧])

(خلقهنَّ) الجمع هنا باعتبار الجنس، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر مُفرد، ولكن هنا جمع، (﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾) الجمع باعتبار الجنس لأن النجوم والكواكب كثيرة جدًا، والشمس من أصغر الكواكب، وكوكب الأرض من أصغر الكواكب بالنظر إلى تلك الأجرام الكبيرة لا يُمثل ذرَّة، وهي من آيات الله ﷻ، الله ﷻ يقول: هذه مخلوقاته، مهما كانت عظيمةً في نفوسكم فهي مخلوقة لا تسجدوا لها، وعظمتُها تدل على عظمة الخالق، فلذلك: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧]، هناك من الناس يدَّعي أنه بالتقرب إلى هذا الولي أو إلى هذا الولي أو إلى هذا الوثن أو إلى هذا الصنم يتقرب إلى الله ﷻ، يعبد الله ﷻ عن طريق، هذه ليست عبادة، الله ﷻ يقول: إذا كنتم تريدون أن تعبدوا الله ﷻ فلا تسجدوا لهذه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧]، (وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَاضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ)، ما في هذه الأرض، وما في هذه السماوات السبع، الأرضون السبع، هذا ورد في حديث، وورد أيضًا في القرآن: ﴿وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، أما التصريح بأنها سبع هذا ورد في الحديث، ما هي هذه؟ ما ندري؟ هل هناك فتوق بينها ما ندري، نؤمن بهذه، كثيرٌ من الناس ما كانوا يؤمنون ببعض الحقائق، كانوا يظنون أنها مستحيلة، هي من بدهيات علم الفيزياء، ونحن نؤمن بهذه الحقائق، بما أنها وردت في الوحي نؤمن بها.

يقول: (﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [الأعراف:٥٤]).

الاستواء على العرش ذكره هنا في معرِض التمدُّح: (﴿إِنَّ رَبَّكُمُ﴾) من جلاله وكماله وعظمته أنه هو الذي خلق السماوات والأرض، هذا من جلالِه، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وهذا أيضًا ذكره في معرض التمدح، هل يُمكن أن يتمدح الله ﷻ بشيءٍ لا يليق به، هذا لا يُمكن لأي عاقل من البشر، لا أحد يُثني على نفسه بما يدل على ذمه، مما يدل على سطحية نظر المتكلمين المبتدعة وغيرهم في أحسن الأحوال، وإلا نظرتهم إلى النصوص نظرة فيها كثير من الاستخفاف للنصوص، أنت تؤول هذه الصفة بالنظر إلى أحكام مسبقة أخذتها من الفلسفة وغيرها: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾؛ أي يُغطي الليل بالنهار،

ويُغطي النهار بالليل (﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾) يأتي هذا بعد هذا مباشرةً ولا يتأخر، (﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾) مُسخراتٍ حال بأمره، (﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾) بأمره يكون الخلق، (﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]) (﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ﴾) (والشمس) معطوفٌ على ما قبله: (﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾) وخلق(﴿وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾) إلى آخره، (﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]) (تبارك) أي تبارك في نفسه؛ لعظمة أوصافها وكمالها، وبارك في غيره بإحلال الخير الجزير والبر الكثير.

كلمة (تبارك) لا يجوز استعمالها في غير الله ﷻ، لا يجوز أن تقول: (تبارك فلان) هذه الكلمة لا يجوز استعمالها في حق المخلوق، إنما يُقال: (بارك الله في فلان، ونسأل الله أن يُبارك الله ﷻ في فلان). تسأل أن يُبارك فيه، أما أن تستمل هذه الكلمة في غير حق الله ﷻ لا يجوز، فالله ﷻ تبارك في نفسه مثلما ذكرنا في (الحمد لله رب العالمين) وبارك في غيره، ولذلك نحن نقول: مُبارك، سبحان الله من الأخطاء الشنيعة الآن (مبروك) أنت لا باركته ولا دعوت له ما سويت شيء، مبروك ليس من البركة، البركة الخير الكثير، مُبارك فأنت تدعو له، مبروك ليس لها معنى.

نكتفي بهذا القدر.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالرَبُ هُوَ المَعْبُوْدُ وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ المُسْتَحِقُ لِلْعِبَادَةِ.

وَأَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلاَمِ، وَالإِيْمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالخُشُوْعُ، وَالخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاِسْتِعَانَةُ، وَالاِسْتِعَاذَةُ، وَالاِسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وَفِي الحَدِيْثِ: «الدُّعَاءُ مُخُ العِبَادَةِ»، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

قَالَ الشارح وفقه الله:

قوله: (وَالرَبُ هُوَ المَعْبُوْدُ) الشيخ لما عرَّف الربوبية ذكر فيها أمرين:

الأمر الأول: ربي الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمِهِ.

والأمر الثاني: وهو معبودي ليس لي معبودٍ سواه.

ذكر أمرين، وذكرتُ هناك أن الربوبية والألوهية مثل الإيمان والإسلام لما يجتمعان يفترقان، ولما يفترقان يجتمعان.

(وَالرَبُ هُوَ المَعْبُوْدُ) الرَّب هو الذي يستحق العبادة، (﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾) فالله ﷻ هو المعبود، ما هي العبادة؟ الرَّب هو الذي يستحق العبادة لوحدِهِ، ما هي العبادة؟ هل العبادة الاعتقاد بأنه هو الذي يخلق وهو الذي يرزق؟ أو شيءٌ آخر؟

العبادة: هي كل ما أَمر الله أو أمر الله ورسوله به من غير اقتضاءٍ عقليٍ ولا اضطرادٍ عُرفي.

وتعريف آخر أجمع من هذا وأحسن من هذا: أن العبادة اسمٌ جامعٌ لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

العبادة بالنظر إلى المُتعبَّد به هذا تعريف، كل اسمٍ أو العبادة اسمٌ جامعٌ لكل ما يُحبه الله ورسوله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

هل يخرج شيء من الدِّين عن العبادة؟ لا يخرج. إذًا كل ما يُرضي الله ﷻ كل ما تتقرب به إلى الله ﷻ فهو عبادة، وبالتالي سيحتاج إلى دليل، إذا قال لك شخص: مثلًا أنت تكون في المسجد النبوي كثيرٌ من الناس يذهبون إلى السواري ويتمسحون بها تقربًا إلى الله ﷻ، شخص من الأشخاص قال لك: نذهب ونتمسح، لماذا يا أخي؟ لأنه عبادة، تقول له: ما هو الدليل؟ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صاحب هذا المسجد هل كان يتمسح بهذه، والصحابة كذلك؟ من متى صارت هذه عبادة، ما دام هذا الأمر يُحبه الله ﷻ كيف عرفنا أنه يُحبه أمر به، ودعا الناس إليه، وحث عليه ورغب فيه، وحظ عليه، بهذا عرفنا أن هذا مما يُحبه الله ﷻ.

وإذا لم نجد هذا ليس عبادة، بل قد يكون مما يُبعدك عن الله ﷻ، تظن أن هذه عبادة وتتمسح بالقبور، هذه ليست عبادة إن لم تكن شركًا في أقل أحوالها بدعة، إذا كان يعتقد أن هذا يؤثر هذا شرك، إذا كان يعتقد أن هذا مما يُقرب إلى الله ﷻ، وليس له أثر، هذا في أقل الأحوال مُبتدع أو هذه بدعة.

إذًا العبادة اسمٌ جامعٌ لكل ما يُحبه الله ورسوله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وسيذكر المؤلف هنا أنواع العبادة أو بعض أنواع العبادة ومعها دليلها.

مما يُعرفنا أن هذه فعلًا عبادة وبها تتقرب إلى الله ﷻ، هذا أهم شيء أن تعرف الدليل، وتطلب الدليل ممن يقول: أن هذا يُقربك إلى الله ﷻ، وإلا تضيع، هذا باب عظيم ومُهم جدًا؛ لأنه هو التوحيد إفراد الله ﷻ بالعبادة، فهذا هو التوحيد، وما هي العبادة؟ هي أمورٌ يُحبها الله ﷻ سواءً كانت اعتقادية، وسواءً كانت أعمال ظاهرة باطنة، سواءً كانت أقوال يُحبها الله ﷻ مما يدل على أن الله ﷻ أمر بها، أو رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بها، أو حظ الناس عليها.

الفيصل في هذه الأمور الدليل، ما هو الدليل الذي يدل على أن هذه عبادة؟ شخص مثلًا يقول: - وهذا كثير وخاصةً في المسجد النبوي- أنا أتمسح بهذه الجدران؛ لأنها جُدران المسجد النبوي مسجد نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والقبر قبره أتمسح به، لماذا؟ لأنني أحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنقول له: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آل عمران:٣١] ، تُريد أن تُحبه، تُريد أن تُحقق هذا، نحن لا نشك أنك تُحب الله ﷻ لا نشك في هذا المُبتدع أنه يُحب الله ﷻ ويُحب رسوله ما نشك في هذا، ولكن نُبين أن هذا الأمر قد يُبعدك عن الله ﷻ، قد يوقعك في الشرك بالنظر إلى الأمور.

مثلًا تستغيث بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا شرك، من حُبك له تستغيث به هذا شرك، فلابد أن تأتي بالأمور التي هو يحبها حتى تستحق شفاعته، كما قلت: أهم شيء هنا الدليل، العبادة بالنظر إلى المُتعبد به ما الذي تتعبد به؟ هذا تعريفها، وكيف تؤدي العبادة بغاية الحُب وبغاية التعظيم، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعبادة الرحمن غاية حُبهِ ... مع ذُل عابده هم قطبانِ
وعليهما فلك العبادة دائرٌ ... ما دار حتى قامتْ القطبانِ

(وعبادة الرحمن) العبادة تؤدى بغاية المحبة وبغاية الذل، ولابد فيها من الخوف والرجاء والحب، هذه أركان العبادة القلبية.

(﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]) فيها أمرٌ بالعبادة عبادة ربكم، من ربوبيته: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]، هذه تتعلق بالعبادة: اعبدوا الله ﷻ حتى يحصل لكم

التقوى، والتقوى هي مرتبة الإحسان، التقوى لا تحصل إلا بالمراقبة، وهي كما سيأتي مرتبة الإحسان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:٢١]، التقوى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾[البقرة:٢٢]، من هو الرب؟ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا﴾ الأرض جعلها فراشًا تستقرون عليها وتنتفعون منها بالأبنية والزراعة وغيرها، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾، وجعل السماء، المراد بالسماء هنا تلك الأجرام المبنية التي بناها الله ﷻ وهي سبع سماوات، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾، وهي أجرام سبع سماوات، ونحن لما نتحدث عن الكرة الأرضية ونحن لما نتحدث عن العالم الذي كله تحت السماء الدنيا العقل البشري يعجز عن إدراكه، لما تتحدث عن هذا الكون وتمدده وكواكبه وأجرامه، وكما يقولون: من الذرة إلى المجرة شيء، فكيف بالسماوات؟ بعض الناس يقولون: السماوات السبع هذه في الكون هذا، السماوات السبع هذه فوق كل ما نتحدث عنه هو تحت السماء الدنيا، فالله ﷻ جعل الأرض فراشًا والسماء بناءً، السماء يأتي بمعنى مُطلق العلو، والسماء يأتي أيضًا بمعنى الأجرام المبنية، هنا السماء بناءً هذه السماوات: (وأنزل من السماء) السماء هنا بمعنى العلو، أي أنزل من العلو السماء يأتي بمعنى العلو، ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ أخرج به، أي بالماء بسببه، أخرج من الثمرات رزقًا: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢]، أن العباد الذين تعبدونهم ليس لهم هذه الربوبية تعلمونهم، ومشركوا العرب كانوا يعترفون بربوبية الله ﷻ، والنهي عن عبادة ما سواه أولًا: الأمر بالعبادة.

ثانيًا: النهي عن عبادة ما سواه.

ثالثًا: الدليل على وجوب عبادته.

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ﴿٢٢﴾﴾[البقرة]، كلها هذه.

الدليل على وجوب عبادته، والدليل على بطلان عبادة غيرِهِ، وهو ذِكر توحيد الربوبية: (اعبدوا الله) (اعبدوا ربكم) العبادة هي توحيد الألوهية، إفراد الله ﷻ بأفعال العبد توحيد الألوهية، والاعتقاد بأن الله ﷻ هو الذي يستحق العبادة لوحده، توحيد الألوهية.

إفراد الله ﷻ بأفعالِهِ هو هذا توحيد الربوبية، هو الذي خلق وهو الذي رزق، ويرزق، وهو الذي يُدبر هذه أفعال الله ﷻ، هو الذي يُحيي وهو الذي يُميت، هذه أفعال الله ﷻ، وإفراده بأفعاله هذا توحيد الربوبية، الله ﷻ ذكر هنا وجوب العبادة وجوب إفراده بالعبادة، هذا توحيد الألوهية، وذكر توحيد الربوبية دليلًا على هذا، وهذا كثير في القرآن، يذكر توحيد الربوبية دليلًا على توحيد الألوهية، لماذا؟ لأن المشركين كانوا يعترفون في الجملة بتوحيد الربوبية في الجملة، وكان نزاعهم في توحيد الألوهية، فلذلك ذكر هذا الدليل الذي هم يعترفون به، لذلك يقول في الأخير: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، ذكره دليلًا لإثبات ما يُنازعون فيه.

يعني احتج عليهم بما يعترفون به، وفيه أيضًا أن الله ﷻ هو الذي سخر لهم السماء والأرض وما بينهما.

وفي هذه الآية: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢]، النِّد: هو المثيل والنظير، أي لا تجعلوا لله مِثلًا، ولا تجعلوا لله نظيرًا، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢]، هل يُشترط في هذا أن يكون الشخص قد جعله ندًا ونظيرًا في كل شيء؟ لا، إذا جعله مثله في صفة من الصفات فقد اتخذه ندًا وقع في الشرك، مثلًا اعتقد أنه يعلم كل شيء مثل الله ﷻ، هذا وقع في الشرك، اعتقدَ أنه يتصرف في الكون مثل الله ﷻ، هذا وقع في الشرك، إذا جعله نظيرًا له مثلًا له في صفة من الصفات فقد وقع في هذا الشرك.

(قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى)، وهو من أشهر المفسرين.

مولده: سنة سبعمائة وواحد.

وفاته: وتوفي سنة أربعمائة وأربعة وسبعين، وهو من صغار تلاميذ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

(قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ المُسْتَحِقُ لِلْعِبَادَةِ»).

خلاصة هذه الآية: أن من خلق هذه الأشياء هو الذي يستحق العبادة وليس غيره.

(وَأَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ)، نحن سنلاحظ أنا ذكرت هذا سابقًا، سنلاحظ أن حديث الشيخ

محمد بن عبد الوهاب في هذا الأصل وهو الأصل الأول: (وهو معرفةُ الرَّب، ومعرفة المعبود) حديثه في هذا الأصل أكثره عن توحيد الألوهية، مع أن هذا الأصل لابد أن تتعلم فيه توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، مع ذلك ركَّز على توحيد الألوهية فقط، ذكر شيئًا من توحيد الربوبية، أما توحيد الأسماء والصفات فلم يذكره.

سيذكر أنواع العبادة، وهي تقريبًا سبعة عشر نوع ذكرها.

ثم سيذكر لكلِ نوع دليلًا، وبها سينتهي الأصل الأول، لماذا ركز على توحيد العبادة؟ أولًا: لأن توحيد العبادة وتوحيد الألوهية يتضمن بقية الأنواع.

ثانيًا: لأن الانحراف فيه أكثر، الانحراف فيه وخاصة في زمن الشيخ كان أكثر، الناس يطوفون حول القبور ويعبدون غير الله ﷻ ويطوفون حول المزارات، ويستغيثون بغير الله ﷻ، ويستعينون بغير الله ﷻ، فلذلك نرى أن الشيخ محمدًا ركز على هذا النوع.

يقول: (**وَأَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلاَمِ، وَالإِيْمَانِ، وَالإِحْسَانِ**).

يقول: أنواع العبادة كثيرة منها هذه، من أهمية معرفة العبادة أنك بمعرفة العبادة تعرف لا إله إلا الله، كلمة التوحيد إذا أردت أن تعرفها جيدًا فلابد أن تعرف معنى العبادة، وما هي العبادة؟ وإلا بعض الناس يقولون: لا إله إلا الله معناها: لا رازق إلا الله، أو لا خالق إلا الله، لا قادر على الاختراع إلا الله، ليست هذه هي العبودية.

بل أكثر حديثه عن توحيد الألوهية استغرق تقريبًا هذا الأصل، مثل الإسلام والإيمان والإحسان، الإسلام بأركانه الخمسة كلها عبادة، كلمة الشهادة والصلاة والزكاة والحج وغيره كلها عبادة أنواع العبادات.

وكذلك الإيمان بأركانه الستة، وكذلك الإحسان وهي أعلى درجة في الدين، وسيأتي تفصيل الحديث في هذه الأمور الثلاثة في الأصل الثاني الذي هو معرفة الدّين.

(وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالخُشُوْعُ، وَالخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ،

وَالاِسْتِعَانَةُ، وَالاِسْتِعَاذَةُ، وَالاِسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا)، هذه الأنواع التي ذكرها هنا بعضها أعمال قلبية: كالخوف، والرجاء، والتوكل والرغبة، والخشية، والرهبة، هذه كلها أعمال قلبية.

وبعضها أعمال ظاهرة، وهي أعمال الجوارح كالاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، مع أنها فيها أمور تتعلق بالقلوب كالاستعانة والاستغاثة، وكذلك الاستعاذة هي تكون بالقول، ولكن جانب منها يتعلق بالقلب.

ومنها: الذبح والنذر، ومنها كذلك الركوع والسجود والصيام، والحج والزكاة، هذه كلها أعمال ظاهرة.

إذًا هذه الأنواع التي ذكرها: منها ما هي أعمال قلبية، ومنها ما هي أعمال ظاهرة، أعمال الجوارح، منها أعمال ومنها أقوال.

وغير ذلك من أنواع العبادة، طبعًا المؤلف لما ذكر هذه الأنواع قال: (وغير ذلك) لأنها كثيرة، مثلًا بر الوالدين صلة الأرحام إكرام الضيف، حُسن الخُلق، كل ما يحبه الله ﷻ ويرضاه، هذه كلها عبادة، كلها لله تعالى، كلها لا يستحقها إلا الله ﷻ، (وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨]). الأدلة على ثبوت شيء معين عبادةً نوعان:

لما نقول: هذه عبادة، نحن قلنا: أنه لابد من الدليل على كونه عبادة، وإلا قد يكون العكس، بعض الناس يحتفلون بميلاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا نشك أنهم يُحبون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن هل هذه عبادة تحتاج إلى دليل، والأدلة على ثبوت شيء معين عبادةً نوعان:

- **النوع الأول**: دليل عام، كل دليل من الكتاب والسنة فيه إفراد الله ﷻ بالعبادة يكون دليلًا على أن جميع العبادات لا تصلح إلا لله ﷻ.

- **النوع الثاني**: دليل خاص، والدليل الخاص أن تستدل على المسائل بأدلةٍ خاصة مثلًا: تتحدث

عن النذر: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[الإنسان:٧]. هذا الدليل خاص بالنذر، إذًا هناك أدلة خاصة بالعبادات، وهناك أدلة عامة تدل على أن جميع العبادات لا تُصرف إلا لله ﷻ.

وهذا الذي ذكره هنا يصلح لهذا وهذا، لاحظوا النوع الأول الذي ذكره الشيخ: (**ومنه الدُّعاء**)، هذا الذي ذكره: (﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا**﴾[الجن:١٨])، يصلح أن يكون دليلًا عامًا، ويصلح أن يكون دليلًا خاصًا، (﴿**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا**﴾[الجن:١٨]) تعرفون أن الدعاء ينقسم إلى قسمين:

دعاء مسألة، ودعاء عبادة.

دعاء مسألة: أن تسأل الله ﷻ شيئًا مُعينًا تطلب منه، هذا الطلب أليس هذه عبادة؟ عبادة، واسمها هذه العبادة دعاء، أما دعاء عبادة فجميع العبادات هي دعاء عبادة، فجميع العبادات أنت لما تُصلي بلسانك حالك تطلب من الله ﷻ، تُزكي تحج، تصل الرحم، كذلك تُكرم الضيف، أنت بلسان حالك تطلب من الله ﷻ أن يرضى عنك، فالدعاء ينقسم إلى قسمين:

دعاء مسألة: (﴿**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا**﴾[الجن:١٨])، إذا كان من دعاء العبادة، فهذا دليلٌ عام، وإذا كان دعاء مسألة فهذا دليلٌ خاص للدعاء، ومنه الدُّعاء، (﴿**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا**﴾[الجن:١٨]) (أحدًا) نكرة في سياق النفي، فكيف بمن لا يدعو غير الله ﷻ؟ (﴿**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا**﴾[الجن:١٨]) لأن الدعاء مع الله ﷻ تدعو غيره وتدعو الله ﷻ هذا شرك.

(**فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ**)، وذكر أنه كافر لبيان أن شركه شركٌ أكبر، وهو شركٌ مُخرجٌ من الملة، وإلا يكفي أن يقول: (فهو مشركٌ).

وهناك فرق بين الشرك والكفر:

الكفر أعم، فكل مشرك كافر، كل مشرك شركًا أكبر فهو كافر، أما الشرك فهو أخص، ليس كل كفرٍ شركًا، لأن الشرك هو الكفر الذي فيه اتخاذ الند والشريك مع الله ﷻ، ولكن أنواع الكفر كثيرة ذكر الإمام

ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أنواع الكفر ستة منها: مثلًا كفر الإعراض، ولكنه ليس شركًا، إذًا الكفر أعم وكل مشركٍ كافر ولا عكس، ليس كل مشركٍ كافرًا، ليس كل كافرٍ مُشركًا.

يقول: (فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]).

قوله: (﴿وَمَنْ يَدْعُ﴾) هنا نفس التفصيل: دعاء مسألة أو دعاء عبادة.

(﴿مَعَ اللهِ﴾) هناك: ﴿فلا تَدْعُوا مع الله﴾، وهنا أيضًا: (﴿مَعَ اللهِ﴾)، لأن هذا شرك، الذي لا يدعو الله ﷻ، هذا ماذا يُسمى؟ لا يُثبت وجوده، ماذا يُسمى مُلحد، الحديث هنا عن المشرك الذي يدعو الله ﷻ، يدعو الله ﷻ ليلًا ونهارًا مع ذلك يدعو غيره، فهذا مُشرك.

(﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون:١١٧])؛ أي: لا حجة له على هذا الدعاء، ولكن هل يُمكن أن يكون هناك دعاء غير الله ﷻ وله برهان؟ هذه تُسمى صفة كاشفة ليست صفة احترازية، هذه صفة كاشفة، معنى كونها صفة كاشفة: أن الذي يدعو مع الله إلهًا آخر لا يُمكن أن يكون له بُرهان، (﴿لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾) أي بهذا الدعاء، (﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾) أي حسابه وعقابه عند ربه، هذا فيه تهديد، إذًا هذا يُبارز الله ﷻ وسيلقى حسابه عند ربه: (﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧])، هذا الذي يدعو مع الله ﷻ غيره، هذا كافر: (﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾)، هذه الآية أيضًا مثل الآية السابقة تصلح أن تكون دليلًا عامًا، وتصلح أن تكون دليلًا خاصًا، ولا زلنا نقول: أننا مع الدعاء.

وفي الحديث: (وَفِي الحَدِيْثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»)، هذا حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث ضعيف، ومعناه صحيح، وصح عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «الدعاء هو العبادة»، هذا الحديث بهذا اللفظ صحيح.

أما الحديث الذي ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أنس: «الدعاء مُخ العبادة»، هذا الحديث في إسناده ضعف، والدليل قوله تعالى، الدليل على ماذا؟ الدليل على كون الدعاء عبادةً، قوله تعالى: (﴿وَقَالَ

﴿رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]).

قوله: (﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾) هنا أمر بالدعاء، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ يستكبرون عما أمرتهم به، والذي أمرهم به هو الدعاء مما يدل على أن الدعاء عبادة.

(﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]).

سيدخلون جهنم أي نار جهنم، (داخرين) أي ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب والإهانة، لأنهم كانوا يستكبرون.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥] ، ولذلك سيُجمع لهم بين العذاب والإهانة، ونسأل الله ألا نكون من أولئك.

(﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾) (أستجب لكم) فيها حث على الدعاء والترغيب، وأن الله ﷻ يستجيب الدعاء.

وقوله: (وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]).

الخَوف: هو تألُّم القلب وحركته بسبب توقع مكروه في المستقبل.

والخوف منه ما هو مذموم، ومنه ما هو محمود.

الخوف المحمود: هو الذي يمنعك عن محارم الله ﷻ.

والخوف قريب منه الوجل، والفرق بينه وبين الوجل أن الخوف يكون على شيءٍ يُخاف منه في المستقبل.

والوَجَل: يكون على شيءٍ واقعٍ الآن.

الفرق بالنظر إلى الزمن.

وكلما كان العبد بالله أعلم كان منه أخوف، ونقصان الخوف من الله ﷻ يكون لنقصان معرفة العبد

لربه، فأعرف الناس به أخشاهم له، ومن صح خوفه من الله ﷻ هرب إليه وحده.

والخوف ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

خوف السر: وهو شرك.

- وترك الإنسان ما يجب عليه خوفًا من بع\ض الناس، وهذا حرام.

والخوف الطبيعي: لا يُلام عليه الإنسان.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أخذنا في الدرس الماضي ما يتعلق بالدعاء والخوف، ذكرنا تعريف الخوف والفرق بينه وبين الوجل.

وذكرنا أيضًا علاقة الخوف مع صلاح القلب.

وذكرنا أهمية العلم من الخوف الله ﷻ، الخوف من الله ﷻ عبادة، وكيف أن العلم بالله ﷻ بأسمائه وصفاته يُقوي هذه العبادة.

ذكرنا أيضًا أن الخوف من أركان العبادة القلبية الخوف والرجاء والمحبة، وأن الخوف المحمود هو الذي يكون سببًا للانزجار والمنع، ولا يصل إلى درجة اليأس والقنوط.

ذكرنا أيضًا أقسام الخوف، وذكرنا أنَّ الخوف منه ما هو طبيعي، ولا يُلام عليه الإنسان، ومنه ما هو حرام وهو الذي يمنعك من إتيان واجب، ومنه ما هو شرك مُخرج من الملة، وهو خوف السِّر، وهذا هو خوف العبادة.

وذكرنا أيضًا كيف تتخلص من خوف البشر بالاستسلام لله ﷻ وتفويض الأمور إليه.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ودَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

قَالَ الشارح وفقه الله:

قوله: (وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ)؛ أي: دليل كونه من العبادة.

فيما سبق قال: (ودليل الخَوف)؛ أي دليل كونِهِ عبادة، ما دام أن الله ﷻ أمرنا بالخوف منه، هذا يدل على أنه يُحبه، وذكرنا في تعريف العبادة أنها كل ما يُحبه الله ﷻ من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة: (تخافونِ) ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٥]، هذا فيه بيان أن هذا الخوف لا يجوز صرفه لغير الله ﷻ، وقد ذكرنا أن هذا هو خوف العبادة: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وهنا يقول الله ﷻ: (﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو﴾) أي يأمل لقاء ربه، ويرجو موعوده، ويرجو ثوابه، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾) وهو الموافق لشرع الله ﷻ، (﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]). الموافق للسنة الموافق لشرع الله ﷻ. (﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]). يكون بعيدًا عن الرياء والسمعة، ولا يكون صرف هذه العبادة لغير الله ﷻ، بل يجعل هذا العمل وبقية أعماله كلها يجعلها خالصةً لله ﷻ، ومن جمع بين الإخلاص والمتابعة كان عملُهُ مقبولًا عند الله ﷻ.

المُهم هنا: أن الله ﷻ أمرنا وشجَّعنا وحثَّنا على الرجاء، فمن كان يرجو لقاء ربِّه، إذًا الرجاء مطلوب، والرجاء مما يُحبه الله ﷻ، وهذا يدل على أن الرجاء عبادة.

ذكرنا سابقًا: أن الأدلة على كون شيءٍ مُعين عبادة تنقسم إلى قسمين:

أدلة عامة، وأدلة خاصة.

الأدلة الخاصة هنا: دليل واحد مثلًا: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]. في هذه الآية في هذا الدليل جمع بين أمرين:

- وجوب الخوف من الله ﷻ، وعدم جواز الخوف من غيرِهِ.

- هناك أدلة عامة مثلما سبق في بعض النصوص تُثبت أن هذه عبادة، الدليل يُثبت أن هذا مما أمر به الله ﷻ، إذًا يكون محبوبًا له، ثم تُسلط عليه الأدلة الأخرى التي فيها أن صرف العبادة لغير الله ﷻ لا يجوز، وهنا في هذا الدليل اجتمع الأمران:

كونُهُ عبادة: ﴿وَخَافُونِ﴾، وكونه لا يجوز صرفه لغير الله ﷻ: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٥].

قوله: (﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]).

هذه قاعدة عامة: أن جميع الأعمال لا تُقبل إلا بهذين الشرطين:

- **شرط المتابعة**.

- **وشرط الإخلاص**، هذه قاعدة عامة، جميع الأعمال لا تُقبل إلا بهذين الشرطين.

ما هو الرجاء؟ الرجاء عبادة قلبية، ومن أهم العبادات القلبية.

والرَّجاء: هو الرَّغبة والطمعُ في الحصول على شيءٍ مرجو، هذا هو الرجاء، والرجاء يتضمن التذلل والخضوع، لما ترجو الله ﷻ لا تقول: إذا حصل حصل، إذا ما حصل تخضع له تتذلل له، وهذا يدل على أن هذا لا يجوز أن يكون لغير الله ﷻ حتى ولو كنت ترجوه، الرجاء بالنظر إلى كونِهِ رجاء عبادة أو غيره ينقسم إلى قسمين:

هذا رجاء عبادة، وهذا ليس رجاء عبادة.

القسم الأول: الرجاء الطبيعي، رجاءُ شيءٍ ممن يملكه من المخلوقين، تقول لزميلك: أرجو أن تحضر، وبإمكانك أن تحضر.

أما إذا قلت لواحد مثلًا تعتبر أنه ولي من الأولياء، وهو مثلًا في ماليزيا وتقول له: أرجو أن تحضر،

هذا رجاء عبادة أو رجاء عادة تُريد منه أن يحضر الآن؟ هذا طلب شيءٍ ممن لا يملكه، إذًا هو ليس رجاءً عاديًا.

تقول أيضًا لزميلك: أرجو أن تفعل هذا، أرجو أن تُناولني هذا، وبإمكانه أن يفعل، هذا ليس من العبادة في شيء.

القسم الثاني: رجاء عبادة، وهو أن تطمع في شيءٍ لا يملكه إلا الله ﷻ، هذا الرجاء لا يكون إلا من الله ﷻ كالشفاء من المرض، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[الشعراء:٨٠]. وكذلك دخول الجنة والنجاة من النار، وكذلك البُعد عن المصائب، هذه الأمور لا ترجو فيها إلا الله ﷻ، لأنه لا يملكها غير الله ﷻ إذا كان رجاؤك من غير الله ﷻ في هذه الأمور ماذا يكون؟ هذا شرك، خذوها قاعدة: أي عبادة ثبتت أنها عبادة فصرفها لغير الله ﷻ شرك، قد يكون شركًا أكبر، وهذا هو الأصل، وقد يكون شركًا أصغر، الأصل أنه شرك أكبر.

علمنا القسمين في الرجاء، وهو لما يقول: (**وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ**) يقصد رجاء العبادة.

دليل الخوف: يقصد خوف العبادة.

هناك لفظ قريب من الرجاء وهو التَّمني، وبينهما فرق، فرق بين التمني والرجاء: أن الرجاء يكون مع بذل الجُهد، وحُسن التوكل.

أما التمني يكون مع الكسل أتمنى هكذا، مع بذل الأسباب مع بذل الجهد يكون رجاءً، ومع عدم بذل الأسباب يكون تمنِّيًا.

كما قلت: الرَّجاء عبادة من العبادات القلبية، ومن أهم العبادات القلبية عبادة عظيمة جدًا، **ومما يدل على أهميتها**: أن الرجاء هو الحادي للأعمال، الرجاء يحدو للعبد يدفعه في سيره إلى الله ﷻ، لأنه يرجو شيئًا ممن بيده أزمَّة الأمور، إذا كان يرجو منه شيئًا لا يليق به، فهذا لا، لابد أن ترجو من الله ﷻ ما يكون فيه سعادة الدارين، لأنه هو الذي يملك كل شيء.

فالرجاء هو الحادي للأعمال بمعنى: هو الذي يدفعك للأعمال.

أما من لا يرجو يُصلي بس ما يرجو أنه سيُقبل، يُزكي ما يرجو، وصل إلى حد اليأس هل يعمل؟ أصلًا ما يعمل هذا، حتى لو عَمِل عمله ليس مقبولًا، لابد أن ترجو من الله ﷻ الرجاء والخوف والحُب، هذه أركان العبادة القلبية.

الرَّجاء في الحقيقة هو: يجمع بين الأمرين: (**الخوف**) **و** (**الرجاء**). وإلا العبادة مع (الخوف) لوحدها هذه عبادة الخوارج، العبادة مع الرجاء، العبادة مع الرجاء لوحدها هذه عبادة الصوفية، العبادة مع المحبة لوحدها هذه عبادة الصوفية.

وعبادة الله ﷻ مع الرجاء لوحدها هذه عبادة المُرجئة، ما عندهم خوف، لأن إيمان أدنى المؤمنين مثل إيمان جبريل، وجميع المعاصي والمصائب لا تؤثر في إيمانهم، فهو لماذا يخاف؟ لا يُمكن أن يكون مُشركًا لا يُمكن أن يكون فاسقًا، إيمانه كإيمان جبريل، فلابد من الجمع بين هذه الأمور الثلاثة:

الرجاء، والخوف، والحُب.

يقول شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية: «اعلم أن مُحركات القلوب إلى الله ﷻ ثلاثة: المحبة والخوف والرَّجاء، وأقواها المحبة، وهي مقصودةٌ تُراد لذاتها؛ لأنها تُراد في الدنيا والآخرة بخلاف الخوف، فإنه يزول في الآخرة: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴿٦٢﴾﴾[يونس]»، لأن الخوف لا يبقى إطلاقًا».

مما يدل على أهمية الرجاء:

قلنا: أولًا: أن الرجاء هو الحادي للأعمال، أنت ترجو فلذلك هذا يدفعك للسير.

مما يدل على أهميته: أثر الرجاء في التقوى، أو أثر الرجاء في العمل، كل من قوي رجاؤه ازداد عملُهُ، وكل من ضعُف رجاؤه قلَّ عملُهُ.

قلنا: من أهمية الرجاء أولًا: هو الحادي للأعمال.

ثانيًا: علاقته مع العمل، مع التقوى، كل من قوي رجاؤه ازداد عملُهُ، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**كلما قوي الرجاء جدًّا في العمل كما أن الباذل كلما قوي طمعه في الغلَّة غلق أرضه بالبذر، وإذا ضعُف رجاؤه**

قصر فيه».

ثالثًا: -مما يدل على أهمية الرجاء- أنَّ عدم الرجاء يُخل في القسمين الآخرين أيضًا، نحن قلنا: أركان المحبة القلبية ثلاثة:

هب أن رجلًا يخاف من الله ﷻ كما ينبغي، ويُحبه كما ينبغي، ولكن لا يرجو، يؤثر أيضًا، فخوفه ومحبته لا يُغني.

إذا قيل: الإنسان في بعض الأحيان يضعف رجاؤه، ويضعف حبُّه، فكيف يقوي علاقته بالعمل، وكيف يزداد سيره؟

يقول العلماء: إذا ضعفت هذه الأمور تحريك القلوب يكون أولًا: بكثرة الذكر، لأن كثرة ذكر الله ﷻ يقوي تعليق القلوب بِهِ، لذلك أمر الله ﷻ بالذكر الكثير: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[الأحزاب] .

ثانيًا: لابد أن تُطالع دائمًا نعمه وآلاءه عليك: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[النحل:٥٣] تنساه لا ترجو منه، أعطاك ما لم تكن تحلُم دون أن تسأله، اسأله حتى يزيدك، وليس لعطائه حد، الله ﷻ بيده أزمَّة الأمور كلها.

ذكرنا في الخوف علاقة العلم بالله ﷻ في ترسيخ الخوف من الله ﷻ.

نفس الأمر هنا أيضًا: كلما قوي العلم بالله ﷻ ازداد الرجاء منه، ترجوه أكثر كلما زاد علمُك به.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قوَّة الرَّجاء على حسب قوَّة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته**». وهذا الأمر ينفعُك فيه أكثر تعلُّم أسماء الله ﷻ بحفظها، ومعرفةُ معانيها، كما هو إحصاؤها حفظها ومعرفة معانيها والتعبُّد بها، إذا علمت أن الله ﷻ من أسمائه كيت وكيت، وهو يُحب كيت وكيت، هذا يزيدك رجاءً في كرمه وفضله وعطائه.

إذًا زيادة المعرفة قوة العلم بالله ﷻ زيادة العلم بالله ﷻ يُقوِّي الرجاء منه.

ذكرنا أنَّ الرجاء ينقسم إلى قسمين بالنظر إلى كونه رجاء عبادة.

من تعلَّق بغير الله ﷻ حتى فيما يقدر عليه غير الله ﷻ تعلق قلبه بغير الله ﷻ، هذا طبعًا من تعلق بغير الله ﷻ أو علَّق قلبه بغير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، هذا شرك يُخرج من الملة، حتى في الأسباب العادية تعليق القلوب بغير الله ﷻ ورجاء غير الله ﷻ حتى في الأسباب العادية، وجعل إمكانات المخلوقين هي العمدة، هذا يُضعف التوكل على الله ﷻ، ويُضعف هذه العبادة التي هي عبادة الرجاء: (﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾) أي موافقًا للسنة (﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]).

ثم قال: (وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى)؛ أي: ودليل كون التوكل عبادة تُقربه إلى الله ﷻ: (قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]).

قوله: (﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾) هذه الآية فيها فيما سبق: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] فيها أمران:

الأمر بهذه العبادة، وبيان هذه العبادة لا تجوز لغير الله ﷻ.

وهنا أيضًا: (﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾) يقول علماء البيان: تقديم ما حقه التأخير يُفيد الحصر والاختصاص، الأصل فيها: (فتوكلوا على الله) الله ﷻ قَدم: (﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾) مثل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، إياك نعبدُك، هناك فرق بين (نعبدُك) و(إياك نعبدُك)، وفرق بين أن أستعين بك، و(إياك نستعين).

الفرق: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لا نعبد غيرك.

و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ نستعين بك ولا نستعين بغيرك.

(﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾) لا على غيره، ولا على غيره أخذناها من الترتيب، (﴿وَعَلَى اللَّهِ

﴿فَتَوَكَّلُوا﴾) أي توكلوا على الله ﷻ ولا تتوكلوا على غيره إن كنتم مؤمنين.

(﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣])، ما هو التوكل؟ التوكل هو صدق التفويض والاعتماد على الله ﷻ في جميع الأمور، وإظهار العجز والاستسلام له تُظهر عجزك واستسلامك لله ﷻ، وتفوض أمورك إلى الله ﷻ، وتكون صادقًا فيها.

والتوكُّل من أجل العبادات القلبية، ومن أعلى مقامات التوحيد.

❁ **حقيقة التوكل**: تعلُّق القلب بالله ﷻ مع الأخذ بالأسباب مع عدم الاعتماد عليها.

هذا التعريف نرجع إليه بعد أن نتحدث عن الأسباب.

بالنسبة للأسباب: بذل الأسباب لا يُنافي التوكل، بل بذل الأسباب من التوكُّل، إذا كنت متوكلًا على الله ﷻ فلابد أن تبذل الأسباب، وليس كما يقول الصوفية: أن بذل الأسباب يُنافي التوكُّل، فتجدهم لا يعملون، ويتوكل على غيره في طعامِهِ وشرابِهِ، فهذا ليس من التوكل في شيء، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعقلها وتوكَّل**»، الله ﷻ ربط المسببات بالأسباب، إذا كنت تُريد العلم تتعلم هذا سبب، تُريد الريه تشرب، تُريد أن تشبع تأكل، تريد الولد تتزوج، ما تجلس تتوكل على الله ﷻ وتقول: إن كان يعطيني يعطيني بدون زواج لا، لابد أن تبذل الأسباب.

موقف أهل السنة من الأسباب:

الأسباب لابد استعمالها مع عدم الاعتماد عليها، بذلتَ السبب واعتمدتَّ على السبب هذا لا يجوز، لأن الله ﷻ هو الذي بيده كل شيء، إذا أراد أن يكون للسبب الذي بذلته أثرًا جعله، وإلا لا.

أهل السنة يقولون: عدم بذل الأسباب نقصٌ في العقل، والاعتماد على الأسباب نقصٌ في التوحيد.

نرجع إلى حقيقة التوكل: حقيقة التوكل تعليق القلب بالله ﷻ مع الأخذ بالأسباب مع عدم الاعتماد عليها. نحن قلنا: لابد أن تبذل الأسباب، ولكن لا تعتمد عليها، فحقيقة التوكل: تعليق القلوب بالله ﷻ، والأخذ بالأسباب مع عدم الاعتماد على الأسباب.

بهذا عرفنا أن فعل الأسباب لابد منها، ولكنْ لا يجوز أنْ تُعلق قلبك بالأسباب.

ينقسم التوكل في الأمور الدنيوية والدينية عمومًا إلى قسمين:

❶ التوكل في الأمور الدينية.

❷ ولتوكل في الأمور الدنيوية.

بالنظر إلى موضع التوكل ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التوكل على الله ﷻ في جلْب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية، أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

والقسم الثاني: التوكل على الله ﷻ في حصول ما يُحبه ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه، كلاهما توكّل، وكلاهما مطلوبان، هذا مطلوب، وهذا مطلوب، لابد أن تتوكل على الله ﷻ مع بذل الأسباب في أمورك الدينية والدنيوية، ولكن هل يستويان؟ هذا الذي أُريد أن أُنبه عليه، بين النوعين من الفضل ما لا يُحصيه إلا الله ﷻ، فمن توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله، إذا توكل على الله ﷻ في **النوع الثاني** في أمورك الدينية، توكلت على الله ﷻ حق توكله كفاك النوع الأول تمام الكفاية.

ومَن توكل على الله ﷻ في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضًا، ولكن لا يكون له عاقبةُ المتوكِّل فيما يُحبه ويرضاه.

إذًا أعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك في جهاد أهل الباطل، وهذا هو توكل الرُّسل عليهم الصلاة والسلام وخاصة أتباعهم.

عرفنا أن هذا توكل وهذا توكل، وكلا التوكلين لا يجوز صرفهما لغير الله ﷻ، ولكن بينهما تفاوت.

كيف يزيد توكلك بالله عز وجل؟

التوكل بالله ﷻ يزيد ويرسخ أكثر بقوة توحيدك، كلما قوي توحيد العبد قوي توكله، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل: توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلولٌ مدخلول، وعلى قدر تجريد التوحيد يكون صحة التوكل، فإن العبد متى**

التفت إلى غير الله ﷻ أخذ ذلك الالتفات شُعبة من شُعب قلبه، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة، ومن هاهنا ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب» كما هو مذهب الصوفية.

وهذا حق ولكن رفضُها عن القلب لا عن الجوارح، وهذا الذي قُلت تبذل الأسباب مع الجوارح، ولكن اعتمادك القلب يكون على مَن على الله ﷻ، فالتوكل لا يتم إلا برفض الأسباب عن القلب، وتعلُّق الجوارح بها، فيكون منقطعًا منها مُتصلًا بهذا، هذا كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مدارج السالكين».

على كل حال: التوكل على الله ﷻ عبادة قلبية، ومن أعظم العبادات القلبية، ومن اعتمد على غير الله ﷻ، فهذا شركٌ أكبر.

أنا مثلًا اعتمدت على الأخ أن يُعطيني هل هذا شرك؟ التفصيل هنا مثل ما ذكرته في الرجاء.

إذًا نقول: من اعتمد على غير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، فهذا هو الشرك الأكبر، وإذا اعتمد على الأحياء الحاضرين من السلاطين ونحوهم فيما أقدرهم الله ﷻ من رزقٍ ودفع أذىً ونحوه توكل عليه، فهل يجوز هذا أو لا؟ نحن قلنا في الأسباب: تبذل الأسباب، ولكن لا تعتمد عليها، هذا توكل على السلطان في دفع الضُّر، هذا فيه نوع شرك أصغر، ولكن إذا توكل على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، فهذا شركٌ أكبر.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لا زلنا مع ثلاثة الأصول لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ودرسُنا يبدأ من الرَّغبة والرهبة والخشوع.

أخذنا ما يتعلق بالرجاء والتوكُّل.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ...﴾ الآية [البقرة: ١٥٠].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ...﴾ الآية [الزمر: ٥٤].

قال الشارح وفقه الله:

في هذه الآية ذكر الله ﷻ أربعة أنواع من أنواع العبادة:

النوع الأول: الدُّعاء، وقد سبق التفصيل فيما يتعلق بالدعاء: (وَيَدْعُونَنَا)، ذكر الشيخ محمد من أنواع العبادة، وكان أول ما ذكر هو الدعاء: (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا) أي فيما عندنا، (وَرَهَبًا) أي مما عندنا.

(وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) الرغبة والرَّهبةُ والخشوع، هذه الأمور الثلاثة هي أركان العبادة القلبية: الخوف، والرَّجاء، والمحبَّة.

رغبًا فيما عندنا، هذا فيه المحبَّة.

ورهبًا أي مما عندنا هذا فيه الخوف.

الرَّغبةُ هي في الحقيقة رجاءٌ خاص.

والرَّهبة خوفٌ خاص.

والخشوع أيضًا قريبٌ من الخوف، ولكن هناك فروق بين هذه الألفاظ.

الرَّغبة: هي طلب الوصول إلى الشيء المحبوب.

والفرق بين الرَّغبة والرجاء: أن الرجاء طمع، والرَّغبةُ طلب.

فمن طَمع في دخول الجنة مثلًا فطمعه هذا يُسمى رجاءً، ومن طلبها بالعمل الصالح فطلبُه لها وسعيه إليها يُسمى رغبةً، فكلُّ رغبةٍ رجاء، لماذا؟ لأنَّ الرغبة فيها عمل وهذا العمل مبنيٌ على الرَّجاء، إذا كان

إنسانٌ يعمل ولا يرجو، فهذا ليس رغبةً، بل عملُهُ لا يُعتدُّ به شرعًا، لأنه مبنيٌ على اليأس والقنوط، ولا ييأس من رحمة الله ﷻ إلا القوم الكافرون.

إذًا الرَّغبةُ تتضمن الرَّجاء، والرَّجاء هل يتضمن الرَّغبة؟ لا، الرَّجاء عام والرَّغبة أخص، الرَّغبة تتضمن الرَّجاء.

سبق أن ذكرنا في موضوع الرَّجاء أنَّ الرجاء ثلاثة أنواع:

النوع الأول: رجاء رجلٍ عَمل بطاعة الله على نورٍ من الله، هذا النوع الأول، رجاء ومع ذلك عمل وفق الشَّرع، وهو يرجو ثوابه.

النوع الثاني: رجاء من أذنب ذنوبًا ثم تاب منها، هذا يرجو مغفرة الله ﷻ وعفوه وإحسانه.

النوع الثالث: رجاء شخصٍ مُتمادٍ في التفريط يرجو رحمة الله بلا عمل وبلا سعي، وهذا غرور وليس رجاءً.

إذًا هناك تقارُب في المعنيين في معنى الكلمتين: الرغبة والرجاء، ولكن أيُّهما يتضمن الثاني؟ الرَّغبة تتضمن الرجاء.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والفرق بين الرغبة والرجاء أن الرجاء طمع، والرَّغبة طلب، فهي ثمرةُ الرَّجاء»؛ لماذا عَمِل؟ لأنه يرجو، لأنها ثمرة، فإنه إذا رجا الشيء طلبه والرَّغبةُ من الرجاء كالهرب من الخوف، والرَّجاء عبادة، والدليل هذه الآية استدلَّ لثلاث عبادات:

منها: الرَّغبة، بما أن الله ﷻ أثنى عليهم، أثنى على الأنبياء أثنى عليهم بأنهم كانوا يُسابقون ويُسارعون في الأعمال الصالحة، وأثنى عليهم أنه كان عندهم رغبٌ فيما عند الله ﷻ، وأثنى عليهم أنه كان عندهم رهبٌ مما عند الله ﷻ، هذا يدل على أنَّ هذه الأمور مما يُحبها الله ﷻ.

وإذا كانت من الأمور التي يُحبها الله ﷻ، فهي عبادةٌ لا يجوز صرفُها لغير الله ﷻ.

الرَّغبةُ وكذلك الرهبة التي ستأتي كلاهما تحتاجان إلى صبر، لماذا تصبر؟ رهبةً مما عند الله ﷻ، الرَّهبة تحملك على الصَّبر، إذا كانت هناك مشقَّة، فلابد أنْ تتذكر: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]) الرّغبة تحملك على الصبر.

أما الرَّغبة: تحملك أو تقودك إلى الشكر، وقد قلنا: أن الرغبة تتضمن الرَّجاء، أو تنطلق من الرَّجاء.

وهاتان العبادتان تنحصران عن العبد بقدر ذنوبِهِ، وتزيدان بزيادة إيمانه، فمن كان قويًا في إيمانه كانت الرَّغبة والرهبة فيه قويتين، ومن كان ضعيف في إيمانه كانت الرغبة والرهبة في قلبِهِ ضعيفتين، وكل ذلك بتوفيق من الله عز جل ودوام الانطراح بين يدي الله ﷻ.

أما **الرَّهبةُ** هي الخوف والفزع، نحن قلنا: أن الرَّهبة هي خوفٌ خاص، إذًا هي قريبة، قلنا: الرهبة رجاءٌ خاصٌ قريبة من الرجاء، الرَّهبةُ خوفٌ خاص، هي الخوف والفزع المُثمر للهرب من المَخوف.

إذًا هي خوفٌ مقرونٌ بعمل، مثل حال الرَّغبة مع الرَّجاء، حال الرَّغبةِ مع الرجاء رجاءٌ مقرونٌ بعمل، وهنا خوفٌ مقرونٌ بعمل.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وأما الرَّهبة فهي الإيمان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه**».

أما الخشوع قريب من الخوف.

أولًا: تعريف الخشوع: هو الذُّل لعظمة الله ﷻ، ويكون في القلب والجوارح، وهو قريبٌ من الخضوع، إلا أن الخضوع يكون في البدن فقط، فأيُّهما أعم؟ الخشوع، يقول شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «**والخشوع والخضوع لله تعالى، والسكون والطمأنينة إليه بالقلب والجوارح**».

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الخشوع محلُّه القلب، وثمرته على الجوارح، وهي تُظهره، وكلَّما خشع القلب لله كان أكمل له عبوديةً، ومن فضل الله ﷻ على عبدِهِ أن من رَغِب ورجا وطَمع فيما عند الله أُجر**».اهـ

بمجرَّد الرغبة بمجرَّد الطمع بمجرَّد الرجاء تؤجر.

«**ومن رهبَ من عذاب الله ﷻ أمَّنه الله، ومن خشع قلبه وجوارحه لله عاش حميدًا عزيزًا في الحياة ولم**

يخضع لأحدٍ من الخلق».

من رغب وطمع فيما عند الله يحصل على فائدتين:

الفائدة الأولى: أن مُجرَّد الطمع وعدم اليأس من رحمة الله ﷻ هذا فيه أجر.

والفائدة الثانية: أنك إذا رغبت وطمعت فيما عند الله ﷻ يُثمر المطلوب وهو المسارعة إليه بالعمل، لأن هذا يقودك إليه.

(﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠])، هذا عام يشمل جميع الطاعات وجميع القُربات.

(وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ...﴾ الآية [البقرة: ١٥٠]) الخشية لاحظوا أن الخشوع والخوف والخشية هذه كلها متقاربة، ولكنْ نحن ذكرنا التعريفات حتى نعرف الفروق بينها.

الخشيةُ: بمعنى الخوف، إلا أن الخشية أخص من الخوف، لأن الخشية مقرونة بمعرفة الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «خشيته تعالى مقرونةٌ بمعرفته، وعلى قدر المعرفة تكون الخشية».

ذكرت فيما سبق فيما يتعلق بالخوف: أن خوف الله ﷻ يزيد وينقص بقدر معرفةِ العبد لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأسمائه وصفاته وأفعالِهِ، وهكذا في الخشية.

وذكرنا في الخوف أيضًا أن الخوف يتضمن الرَّجاء وإلا صار يأسًا وقنوطًا، ولم يكن مما يؤمر به، وكذلك الخشية تتضمن الرجاء، يقول شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «والخشيةُ أبدًا متضمنةٌ للرجاء، ولولا ذلك لكانت قنوطًا، كما أن الرَّجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمنًا، فأهل الخوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله».

الدليل الذي ذكره الشيخ هنا فيما يتعلق بالخشية وكونها من العبادات: (﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ...﴾ الآية [البقرة: ١٥٠]) نحن ذكرنا أن الأدلة في كون هذا النوع أو ذاك النوع كون هذا الشيء أو ذاك

الشيء عبادةً نوعان:

أدلة تدل على أن هذه عبادة.

وأدلة تدل على أن هذه عبادة وتدل أيضًا على أن هذه العبادة لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ.

النوع الأول: إذا عرفت أن هذه عبادة، حتى ولو لم يُذكر أن هذه العبادة بخصوصها لا تُصرف لغير الله ﷻ ترجع إلى الأصول الأربعة: أدى العبادات لا تُصرف لغير الله ﷻ، وصرفها لغير الله ﷻ شرك، ولكن بعض العبادات يُذكر بخصوصها أنها عبادة، ويُذكر معها أيضًا أن هذه العبادة بخصوصها لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ.. وهكذا هنا. (﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ...﴾ الآية [البقرة: ١٥٠]). نهى الله ﷻ عن خشية غيره، وأمرنا بخشيته فقط.

(واخشونِي) فيها أمر بالخشية، وبالأمر عرفنا أن هذا محبوبٌ لله ﷻ، مع ذلك قال: (﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ﴾ الآية [البقرة: ١٥٠]) فذكر هنا الأمرين كونها عبادة، وكونها لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ.

ومن خشي ربه رزقه الله حياة القلب من المواعظ والعبر، يقول سبحانه: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ [الأعلى:١٠]، من الذي يستفيد من المواعظ والعِبر؟ من يخشى الله ﷻ.

أما من ليس كذلك فقلبه يكون مثل الحجارة لا تؤثر في المواعظ ولا تؤثر فيه العِبر.

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [النازعات:٢٦].

ما ذكرناه في الخوف وفي الخشوع نذكره هنا نفس الشيء من كان أعلم بالله ﷻ وأعرف به كان أكثر خشيةً منه، فما الذي يزيد الخشية من الله ﷻ، ويزيد الخوف من الله ﷻ، ويزيد الخشوع والخضوع؟ معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله.

نختم الحديث عن الخشية بالإشارة إلى أثرٍ مُهمٍ جدًا من آثار إفراد الله ﷻ بالخشية، وهذا ليس خاصًا بالخشية إنما يتضمن أيضًا الخوف ويتضمن أيضًا الخشوع، مَن أفرد الله ﷻ بهذه العبادة عاش بين الخلق عزيزًا، من خشي ربه فقط عاش بين الخلق عزيزًا وفي حياته سعيدًا، أما من خشي مخلوقًا فقد ذلَّ

وخضع لمن لا يستحق الخضوع، والذُّل المخلوق مهما تعاظم وتكبر وتجبر يبقى مخلوقًا ليس بيده ذرَّة مما ينفعه، ولا ذرة مما يضره، إن نفعك فبتسخير الله ﷻ له، وإن ضرَّك فبتسليط الله ﷻ له عليك، وإلا فليس بيده شيء، فلما تخشاه؟ لذلك من خشي ربه عاش بين الخلق عزيزًا، ومَن أشرك معه غيره وخشي هذا عاش بين الخلق ذليلًا يخشى هذا ويخشى هذا، يترك شيئًا من الحق لأجل هذا ويترك شيئًا من الحق لأجل هذا، لماذا؟ لأن يقينه بالله ﷻ ضعيف، لأنه لم يرسخ في قلبه ولم يبق في قلبه الإيمان بالله ﷻ ويقينه بالله ﷻ، وأنَّه بيده كل شيء بيده أزمَّةِ الأمور يتصرف في عباده كما يشاء، وأن عباده ليس بيدهم شيءٌ مما يضرك وينفعك.

ثم قال: (**وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ...﴾ الآية** [الزمر: ٥٤]).

تعريف الإنابة لغةً: الرجوع.

واصطلاحًا: الرُّجوع إلى الله ﷻ رجوعٌ خاص.

وهي عكوف القلْب على الله ﷻ كاعتكاف البدن في المسجد لا يُفارقه، أو نقول: عكوف القلب على محبته وذكرِهِ بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعةِ لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه أمران:

عكوف القلب.

وعكوف الجوارح.

العكوف معناه: الاستمرار، لماذا نُسمي الاعتكاف اعتكافًا؟ لأنه يستمر في اعتكافِهِ، وإلا كل الناس يذهبون للمسجد ويُصلون ويرجعون، هل هم معتكفون؟ ليسوا معتكفين، المُعتكف الذي يستمر في هذه العبادة، فالعكوف هو الاستمرار فيه عكوف القلب على محبته وذكرِهِ بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعةِ لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفرق بين الإنابة والتوبة:

التوبة لم يذكرها الشيخ، والتوبة عبادة مع ذلك لم يذكرها الشيخ هنا لم يلتزم بذكر جميع أنواع العبادات، إنما ذكر بعضها.

ثانيًا: التوبة داخلة في الإنابة، لأن الإنابة مرحلتين:

المرحلة الأولى: التوبة.

والمرحلة الثانية: الإنابة.

إذًا أيُّهما يكون أعظم؟ الإنابة، لأن الإنابة تتضمن التوبة، ولا تكون إنابةً إلا بالتوبة، التَّوبة مرحلة، ثم تليها مرحلة أخرى: وهي الإنابة.

إذًا الفرق بينهما: أن الإنابة أعلى من التوبة.

ما هي التوبة؟ التوبة إقلاع عن الذنب، وعزمٌ على ألا يعود الإنسان، وندمٌ على ما مضى، هذه هي التَّوبة إقلاع وعزم يعني يُقلع عن الذنب، ويعزم على أنَّه لا يعود ويندم على ما مضى، هذه هي التوبة، هل من شروط التوبة ألا يقع في هذا الذنب مرة أُخرى؟ ليس من شروط التوبة، ولكن من شروطها أن يكون عزمُهُ صادقًا، لا يكون في قلبِهِ صار عنده روتين لا، يكون صادقًا مع الله ﷻ فيه، ولكن قد يقع في الذنب مرة أخرى وقد يقع وقد يقع، الأمر بينه وبين الله ﷻ لا ييأس، ولكنه يكون صادقًا مع الله ﷻ في الرُّجوع، وبتوفيق من الله ﷻ إذا استمرَّ على هذا سيوفقه الله ﷻ على الإقلاع من هذا الذنب.

إذًا التوبة فيها إقلاع وعزم وندم.

إن استمرَّ على هذه الأمور فهي إنابة، إذًا الإنابة هي توبةٌ وزيادة.

الإنابة فيها استمرار على هذه الأمور، ورجوع إلى الله ﷻ بمعنى: أنَّه يزيد في عبادته في قراءته للقرآن في العبادات المختلفة يكون رجوعه إلى الله ﷻ أقوى مما كان، فهذه إنابة.

التوبة فيها رجوع والإنابة فيها رجوع، ولكنَّ الإنابة كما قلنا: هي مرحلةٌ أنا ذكرت أن هذه الأمور الثلاثة إن استمر عليها فهو..

أنا أخطأت في هذا التعبير: التوبة فيها ثلاثة أمور: إن استمر عليها ولم يزد في رجوعه إلى الله ﷻ في

عباداته إن استمر عليها فقط، فهذا تائب، مع الاستمرار على هذه الأمور -وأقصد بالاستمرار- أن رجوعه وأن توبته كانت صادقة، مع هذه الأمور إذا أقبل على الله ﷻ بالطاعة أكثر فيكون مُنيبًا.

رجلٌ مثلًا مُبتلى بالكذب تاب توبة نصوحًا، ولم يكتف بهذا إنما أقبل على الله ﷻ بالطَّاعة المُداومة في صلاة الجماعة، وكذلك قراءة القرآن، وكذلك الأذكار في الصباح والمساء وفي المناسبات، والأذكار العامة والأذكار الخاصة، هذه إنابة.

الطالب: والأوَّاب؟

الشيخ: هو كثير الرجوع. الأَوْب رجوع، الإنابة: رجوع.

المُنيب إلى الله ﷻ: هو المُسرع إلى مرضاته، والعائد إلى الله ﷻ في كل وقت السَّباق إلى محابه ومراضيه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الإنابة تتضمن أربعة أمور:

الأمر الأول: محبته.

والأمر الثاني: الخضوع لله ﷻ.

والأمر الثالث: الإقبال عليه.

والأمر الرابع: الإعراض عما سواه.

ثمرات الإنابة كثيرة، وهي كما قلنا: عبادة عظيمة جدًا.

ثمراتها كثيرة:

منها: أن أهل الإنابة قد بشرهم الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [الزمر:١٧] عامة.

وكذلك لا يعتبر بالآيات ولا يتعظ بالعبر إلا المُنيب إلى ربِّه، أو هو أكمل الناس استفادةً من العبر والعظات.

يقول الله ﷻ: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾[ق:٨]، لأنه هو الذي يستفيد، ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] لأنهم هم الذين استفادوا، وإلا القرآن هُدى للجميع.

ومنها: أن الإنابة إلى الله ﷻ تمنع من عذاب الله ﷻ، يقول الله ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر:٥٤] الآية التي ذكرها المؤلف: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾[الزمر:٥٤]، هذا يدل على أن الإنابة تمنع عذاب الله ﷻ.

عمومًا الإنابة من أسباب سعادة العبد في الدارين، والإنابة عبادةٌ عظيمة يتفاوت فيها العباد، بعض الناس إنابتهم بالرجوع إليه من المخالفات والمعاصي، ومنهم إنابتهم بالدخول، وهذه التوبة في الحقيقة وليست إنابة، ومنهم إنابته تكون بالدخول في أنواع العبادات والقُربات، ومنهم هذه مرحلة أقوى إنابته تكون بهذه العبادات بالتضرع والدعاء والافتقار الدائم إليه، والرغبة وسؤال الحاجات كلها منه.

يقول الله ﷻ: (﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾) أي بقلوبكم، (﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ ...﴾ الآية [الزمر: ٥٤]) أي بجوارحكم.

والآيات التي وردت في الإنابة كثيرة نستكملها بعد الصلاة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

توقفنا عند الإنابة وأخذنا ما يتعلق بمعناه وأقسامِهِ، وارتباطِهِ وتعلُّقِهِ بالتَّوبة.

بعد ذلك يقول المؤلف:

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. وَفِي الْحَدِيثِ: « ... وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]. وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ...﴾ [الأنفال:٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لاَ شَرِيكَ لَه﴾ [الأنعام: ١٦١ -١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧].

قال الشارح وفقه الله:

قوله: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ) أي دليل كون الاستعانة عبادةً إلا لا تُصرف إلا لله ﷻ، ودليل ودليل.. هذه كلها هكذا دليل كونها عبادةً لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ.

(قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]). هذه الآية من سورة الفاتحة، وفيها بيان أن العبادةَ لا تكون إلا لله ﷻ: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥])، وأن الاستعانة لا تكون إلا بالله ﷻ: (﴿إِيَّاكَ﴾)

الضمير معمول للفعل (نعبدُ) الضمير المنفصل، وهو في محل نصب، وحقُّه التأخير عن الفعل الذي هو العامل فيه، (نعبدُ إياك) وكذلك: (﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]) نستعين فعل وهو العامل في الضمير المنفصل: (إياك) وهو معمول وفي محل نصب، ومن حقِّه أن يكون متأخرًا عن الفعل الذي هو العامل: (﴿نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]) ولكن تقديم ما حقه التأخير يُفيد الحصر والقصر والاختصاص كما سبق أن ذكرنا مرارًا، تقديم ما حقه التأخير هذا يُفيد الاختصاص، فهذه كون الجُملة هذه وتركيب الجملة بهذا الشَّكل يُفيد كذا وكذا هذا أين نتعلمه؟ في علم البلاغة والمعاني، علم المعاني، لأن العلوم التي تتعلق باللغة العربية أقسام: أشهرها النحو والصرف والبلاغة، البلاغة إذا قلنا: بلاغة، ففيها البلاغة والمعاني والبديع ثلاثة أنواع:

بالنسبة للكلمة بِنية الكلمة هذه نعرفها في علم الصَّرف، والجُملة من حيث الإعراب، هذه نعرفها في علم النحو، إلى هنا ينتهي دور الصرف.

تركيب الجملة وما تُفيد من المعاني الزائدة، من أين نأخذ الحصر والقصر؟ هناك أدوات لهذه، ولكن هناك أيضًا الترتيب يدل على هذه، هذه الأمور نتعلمها في علم البلاغة علم المعاني.

إذًا هذا الترتيب أفادنا شيئًا جديدًا وهو: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]) تعلَّمنا أن العبادة تكون لله ﷻ والاستعانة تكون بالله ﷻ، فتعلمنا شيئًا وهو أن العبادة لا تكون إلا لله ﷻ والاستعانة لا تكون إلا بالله ﷻ، هذا أخذناه من الترتيب.

من الملاحظ أن الاستعانة من أنواع العبادة، وهذا الذي نحن ندرسه الآن، أنواع العبادة كثيرة:

منها: الاستعانة: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥])، أليست الاستعانة نوع من أنواع العبادة، إذًا إياك نعبد: تدخل فيها الاستعانة، (نعبُد) أي نستعين بك ونستغيث بك ونتوكل عليك، ونتوب إليك، كل هذه، فلماذا ذُكرت الاستعانة مع أنّها فردٌ من أفراد العبادة؟

ذُكرت هذه العبادة هنا بخصوصها، لأن العبادة لا يوفق إليها الإنسان ولا يستطيع أن يقوم بها إلا

بالاستعانة بالله ﷻ، فلا يُمكنك أن تعبد الله ﷻ إلا بعد إعانته لك، فنحنُ إذا أردنا أن نعبد الله ﷻ ونتقرب إليه لابد أن نتوسل إليه بأسمائه وصفاته دائمًا وندعوه، ونلتجئ إليه أن يوفقنا لهذه العبادة، فنحن في عبادتنا بحاجة إلى هذا النوع الخاص من العبادة، وهي الاستعانة هي أيضًا عبادة، تطلب من الله ﷻ تلتجئ إليه تتضرع أن يوفقك للعبادة، الطلب هذا عبادة أن تستعين به هذه عبادة، وتستعين به وبمعونته تقوم بالعبادة: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾) قدم العبادة؛ لأنها هي الأساس، ثم ذكر الاستعانة بالله ﷻ لأنه بالاستعانة به تتحقق العبادة، إذًا: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾) لا نفهم منها أن العبادة غير والاستعانة غير، الاستعانة نوعٌ وفردٌ من أفراد العبادة، الاستعانة فيها السين الاستعانة الاستغاثة الاستعاذة، كل هذه فيها هذا السين حرف السين حرف السين والتاء الاستِعانة استغاثة السين والتاء تدل على الطلب عمومًا، الاستعانة أي طلب العون، الاستعاذة: أي طلب العوذ.

نقول: استعانَ، استسقى، استمطر.. وهكذا استفعل عمومًا السين والتاء للطلب.

وقد يأتي بها الفعل ولا يكون فيها طلَب، كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَاسْتَغْنَى اللهُ﴾[التغابن:٦] السين هنا والطاء ليس للطلب، لأن الله ﷻ لا يطلب الاستغناء عن غيرِهِ، هذا قد يأتي، ولكن عمومًا السين والتاء يأتيان لهذان الحرفان يدلان على الطلب.

إذًا الاستعانة طلب العون.

طلب العون كيف يكون عبادة، نحن نطلب العون من الله ﷻ ومن غيرِهِ، نحن مثلًا نستعين بهؤلاء الكِرام في ترتيب هذه الأمور، حتى نعرف ما هي الاستعانة التي لا تجوز أن تكون بغير الله ﷻ حتى نعرف هذا لابد أن نعرف أن الاستعانة بالله ﷻ هذه العبادة تجمع ثلاثة أمور:

إذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة، فهي لا تجوز لغير الله ﷻ.

أولًا: الثقة بالله.

ثانيًا: الاعتماد عليه.

ثالثًا: مع كمال الذُّل له.

هذه الأمور الثلاثة إذا استعان شخصٌ بغير الله ﷻ مُحققًا هذه المعاني الثلاثة فقد أشرك مع الله ﷻ غيرَه.

الثِّقة بالله والاعتماد عليه مع كمال الذُّل له، هذه معاني كلها تقوم بالقلب، وقد تكون بالقول وقد تكون بالفعل الإشارة، ولكن المعاني هذه كلها تكون بالقلب، يجوز أن تستعين بغير الله ﷻ إذا كانت من حيٍ حاضرٍ مستطيع.

شخص يستعين بالميت لا يجوز بأي شكل من الأشكال ما يدري عنك، وهم عن دعائهم غافلون، شخص يستعين بشخص غائب أيضًا لا يجوز، طبعًا بدون استخدام الوسائل، نحن نتحدث عن الأمر الذي يكون فوق الأسباب، أما تتصل عليه وتستعين هذا شيء آخر هو حكم حكم الحاضر.

شخص يستعين برجلٍ حيٍ حاضرٍ، ولكن يستعين فيما لا يستطيعه إلا الله ﷻ يطلب منه أن يُنزل المطر ما يجوز، يطلب منه أنْ يكون له ولد، أن يُرزق بولد لا يجوز، إذا كنت تستعين بالحي الحاضر المُستطيع قلنا: يجوز فيما يستطيع فيما يقدر، ولكن لا يجوز أن تكون هذه الاستعانة فيها هذه الأمور الثلاثة تستعين به كوسيلة تستعين به كسبب، والاعتماد يكون على الله ﷻ.

(﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]) يقول شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية: «**أن مدار الدين على العبادة والاستعانة، والقيام بعبادة الله والاستعانةِ به هما الوسيلة للسعادة الأبدية والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما**».

شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «الدِّين ألا يُعبد إلا الله، وألا يُستعان إلا به».

(﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]) فيهما توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾) العبادة من مقتضيات توحيد الألوهية، والاستعانة بالله ﷻ من مقتضيات توحيد الربوبية، ولكن بذل هذه العبادة إفرادها لله ﷻ هذا من توحيد الألوهية، ففيهما توحيد الألوهية والربوبية أنت تستعين بالله ﷻ وتعتقد أن الله ﷻ يُعينك وتعتقد أن الله ﷻ لا يُعجزه شيء في السماوات والأرض وأنه هو الرب وليس

غيرُه، هذه كلها معاني توحيد الربوبية.

هناك فرق بين الأمور المستقبلية والأمور الماضية فيما يتعلق بالاستعانة والصبر.

في أمور المستقبل تكون الاستعانة تستعين بالله ﷻ، وتتوكل عليه.

أما فيما يتعلق بما مضى ففيه الصبر والتسليم والرضا.

ذكرنا أن الاستعانة عظيمة من أعظم العبادات، ومما يُعين عليها قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، (لا حولَ) عن المعصية (ولا قوَّة) على الطاعة إلا بالله ﷻ.

المؤذن لما يقول: (حي على الصلاة) ماذا نقول؟ نقول: لا حول ولا قوة بالله، ومعناها: الدعاء أن يُعيننا الله ﷻ على تلبيةِ نداء المؤذن، لأنه لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

كثير من الناس عند المصائب يقول: (**لا حول ولا قوة إلا بالله**) عند المصائب، وكأنه يقول: (لا حول ولا قوة إلا بالله) بمعنى الاسترجاع: (إنا لله وإنا إليه راجعون) هذا يُقال عند المصائب.

أما أن تقول هذا: (لا حول ولا قوة إلا بالله) بمعنى الاسترجاع هذا ليس بصحيح.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو يُبين أن أجمع الأدعية طلب العون على الطاعة يقول: «قال شَيْخُ الْإِسْلَامِ» شَيْخُ الْإِسْلَامِ شيخه، يقول: «تأملتُ أنفع الدُّعاء فإذا هو سؤال الله العون على مرضاتِهِ»، لأنه يجمع جميع ما تُريده، إذا رضي الله ﷻ فما فاتك، كل ما يُحقق هذا فهو أجمع الأدعية، «ثم رأيتُه في الفاتحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾». أنت لما تستعين بالله ﷻ تستعين بمن بيده كل شيء، ومعناه: أنك تستغني عن الخلق، أما إذا تعودت أن تستعين بالله ﷻ وتستعين بغيرِهِ فالله ﷻ يكلك إلى مَن أشركته معه.

إذًا بالاستعانة بالله ﷻ وحدَه تستغني عن الخلق، وكمال غِنى العبد في تعلُّقه بربه فقط، ومَنْ ترك الاستعانة بالله ﷻ أوْ استعان بِهِ وبغيرِهِ وكَّله إلى من استعان به فصار مخذولًا.

وفي الحديث: «**إذا استعنتَ فاستعن بالله**» هذا أيضًا من أساليب القصر، الشرط وجزاء الشرط: «**إذا استعنت فاستعِنْ بالله**» إذًا لا تسعن بغيرِهِ.

إذًا الاستعانة بالله ﷻ -كما ذكرت- بهذه الشروط الثلاثة الاستعانة لا تجوز بهذه الشروط الثلاثة إلا بالله ﷻ، وكما قلنا: يجوز أن تستعين بالمخلوق إذا كان حيًا حاضرًا قادرًا فيما يستطيع.

ثم قال: (**وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾** [الفلق: ١]. **وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾** [الناس: ١]).

دليل كون الاستعاذة عبادةً لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ: (**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾**) الله ﷻ يُرشد نبيه ومعه أمته يُرشدهم بأن يستعيذوا بالرب سبحانه، (الفَلَق) وهو الصبح: (**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾**، **﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾**) الاستعاذة هي: طلبُ العوذ الطَّلب هذا أخذناه من السين والتاء، طلب العوذ والمُعتصم، وطلب الحِرز، هذه هي الاستعاذة، وتكون من شيءٍ فيه شر، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤﴾[الناس:١-٤]، وكذلك: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾[الفلق:١-٥]، نحن قلنا: أن الاستعاذة تكون من شيءٍ فيه شر يُقابلها اللِّياذ، أو اللَّوذ، ويكون مما فيه خير.

(ألوذُ بك) إذا كنت مؤمِلًا خيرًا، (أعوذ بك) إذا كنت تخاف من شيءٍ فيه شر.

والاستعاذة -كما قلنا- هي الالتجاء والاعتصام والتحرُّز.

وحقيقتها: الهرب من شيءٍ تخافه إلى مَن يعصمك منه.

ومن الذي يعصمك من الشرور بأنواعها؟ الله ﷻ.

والاستعاذة بالله ﷻ تجمع الاعتصام به، واعتقاد كفايته، وتمام حمايته من كلِّ شر مثل الاستعانة.

والله ﷻ أمرَ بالاستعاذة به في نصوصٍ كثيرة في آياتٍ كثيرة:

منها: قوله سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾[الأعراف:٢٠٠]، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[النحل:٩٨].

نحن لما نستعيذ بالله ﷻ، فنحن نستعيذ يعني هناك شيء مُخوف، وهناك شيء فيه العصمة من هذا الخوف، الاستعاذة فيها أمران:

شيءٌ تفرُّ منه.

وشيءٌ تفرُّ إليه.

تفِرُّ من هذا الشر وتفر إلى الله: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾[الذاريات:٥٠]، فالله ﷻ هو الذي تفر إليه وهو الذي تهرب إليه، لا غِنى لأي مخلوق من الاحتماء بجناب الله ﷻ والاعتصام بحماه من شرور الإنس والجن ومن مكاره الحياة وآفاتها، وما أكثرها، فلابد أن تستعيذ بالله ﷻ وآفاتها، وما أكثرها، فلابد أن تستعيذ بالله ﷻ، وهو الذي يُعيذك.

ويجب على المسلم أن يُداوم على الاستعاذةِ بما ذُكر في قوله سبحانه: (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]. وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]) يُداوم على الاستعاذة بهاتين السورتين في صباحه ومسائه، وهي سببٌ في تحصينه من الشرور والآفات يومه وليلته، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصى عُقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يتعوذ بهما وقال له: «**تعوَّذ بهما فما تعوَّذٌ بمثلهما**»، أخرجه أبو داود.

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النَّفس والطعام والشراب واللباس.

والرَّب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متصفٌ بالقوَّة والعزَّة، ومن اعتصمَ به لم يصله أذى أحد.

والحديث في الاستعاذة مثل الحديث في الاستعانة، يجوز أن تستعيذ بمخلوقٍ حيٍ حاضرٍ فيما يقدر عليه.

ومن الأدلَّة على ذلك: أن ما رواه جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن امرأةً من بني مخزوم سرقت فأُتي بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعاذت بأم سلمة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والله لو كانت فاطمةُ بنت محمد لقطعتُ يدها**».

والحديث أخرجه الإمام مسلم.

يقول الشيخ سليمان في «تيسير العزيز الحميد» المخلوق يُطلب منه ما يقدر عليه ويُستعاذ به فيه بخلاف ما لا يقدر عليه إلا الله، ولا يُستعاذ فيه إلا بالله»، مع هذا كلِّه لا يجوز أن تقول: أعوذ بك، بل يُقال: (أعوذ بالله ثم بك).بل بعض العلماء تحفظ في هذا أصلًا: (أعوذ بالله ثم بك) تحفظ حتى هنا، لأن فيها عمل ظاهري وعمل قلبي، إذا كنت لأن (أعوذ بك) معناه أنني أعتقد كفايتك، وأنني أعتقد أن عصمتك تكفيني، وأنت تعوذ به كوسيلة كسبب ظاهر.

(وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ...﴾ [الأنفال:٩])، الاستغاثة: هي طلب الإغاثة والغوث الطلب أخذناه من السين والتاء.

وهي عمومًا: طلب الإنقاذ من الضيق والشدَّة.

والاستغاثة لا تكون إلا بعد الذُّعر، والفرق بين الدعاء والاستغاثة: الدّعاء طلب والاستغاثة طلب، والفرق بينهما: أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، أما الدعاء أعم.

والفرق بين الاستعاذة والاستغاثة: أن الاستعاذة تطلب منه أن يعصمك وأن يمنعك، وأن يُحصنك.

وأما الاستغاثة: تطلب منه أن يُزيل ما حلَّ بك من شدة، وهناك ضررٌ قائمٌ تطلب منه أن يُزيل هذا الضرر المُحدق بك.

الاستغاثة أيضًا تتضمن أمرين:

- كمال الافتقار إلى الله ﷻ.

- واعتقاد كفايته.

فلذلك، ويكون الحديث في الاستغاثة مثل الحديث عن الاستعاذة والاستعانة.

إذا كنت تستغيث بالحي القادر الحاضر فيما يستطيع يجوز، ولكن لا يجوز أن تقوم بالقلب هذه المعاني كمال الافتقار، واعتقاد كفايته، إنما هو سببٌ من الأسباب، قد تستغيث به ويجرّ إليك شر أكثر،

قد تستغيث به ويكون سببًا، والله ﷻ يُسخره لإنقاذك مما أنت فيه.

(﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ...﴾ [الأنفال:٩])، هذه الآية فيها بيان أن الله ﷻ أثنى على هذا العمل، أثنى عليهم لما استغاثوا به، وبين أن استغاثتهم بالله ﷻ نفعتهم وأن الله ﷻ قد أغاثهم وأنه قد استجاب لهم مما يدل على أن الاستغاثةَ عملٌ محبوبٌ ومرضيٌ عند الله ﷻ، إذًا هي عبادة، من دعا غير الله ﷻ والتجأ إليه من الأموات أو الأحياء الغائبين، أو الأحياء الموجودين، ولكن لا يستطيعون ما تستغيث لأجلِهِ لا يتحقق له مطلوبه أبدًا، ولو اعتكف وعكف على استغاثته سنين، يقول الله ﷻ: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾[فاطر:١٤] هؤلاء الأموات لما تستغيثون بهم لا يسمعوا دعاءكم، ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٤].

وكما قلت: الاستغاثة بالأحياء الحديث فيها مثل ما تحدثنا عن الاستعانة والاستعاذة.

(وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لا شَرِيكَ لَه﴾ [الأنعام: ١٦١ -١٦٣]).

لاحظوا أن الله ﷻ هنا ذكرَ أربعة أمور، ثم ذكر أنها كلها لله: (﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾) أربعة أمور كلها لله، وكما تعرفون اللام تأتي للاستحقاق، واللام تأتي للتمليك، واللام أيضًا تأتي لمعاني أُخرى، ولكنها هنا بين التمليك والاستحقاق.

والآية فيها معنيان:

المعنى الأول: (﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾) النُّسك: هو التعبُّد بالذبح، (﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾) لله أي استحقاقًا، هو الذي يستحق أن أُصلي له، وهو الذي يستحق أن أذبح له.

إذًا معنى اللام هنا فيما يتعلق بالصلاة والنُّسك أنها للاستحقاق: (﴿وَمَحْيَايَ﴾) أي حياتي، (﴿وَمَمَاتِي﴾) أي موتي (﴿لِلّهِ﴾) أي ملكًا، اختلف معنى اللام هنا بالنسبة للصلاة والنُّسك، وبالنسبة للحياة والموت، بالنسبة للصلاة والنُّسك لله استحقاقًا.

وبالنسبة للحياة والموت لله ملكًا.

الأول: توحيد الألوهية.

والثاني: توحيد الربوبية. هذا المعنى الأول.

المعنى الثاني: أنَّها كلها بمعنى الاستحقاق، ويكون هكذا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾ هذه العبادات، ﴿وَمَحْيَايَ﴾ أي ما آتيه في حياتي ﴿وَمَمَاتِي﴾ أي ما أدَّخره عند الله ﷻ بعد مماتي ﴿لِلَّهِ﴾ أي لا يستحقها إلا الله ﷻ لا تكون إلا لله ﷻ، إذًا تكون الأربعة كلها اللام فيها للاستحقاق، وتكون الأربعة كلها هي توحيد الألوهية، واضح المعنيان هذا وهذا.

(﴿لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٣]).

والذبح من العبادات العظيمة التي لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ لا يجوز أن يُذبح شيءٌ صغيرًا كان أو كبيرًا لغير الله ﷻ.

والصَّلاة التي ذُكرت هنا هي من أجل العبادات البدنية والنَّحر والنُّسك الذي ذُكر هنا من أجل العبادات المالية.

إذًا لا يجوز أن تذبح للقبور ولغير القبور لا يجوز أن تذبح لهم أبدًا، فإذا وجدتَّ مثلًا من يذبح لغير الله ﷻ أو لتعظيم شخصٍ فقط جاء شخص وُذبح له بتعظيمه فقط هذا لا يجوز هذا كله من أنواع الشِّرك.

أما ما تذبحه لأضيافك، فهذا ليس من هذا القبيل، تذبح والذبح يكون لله ﷻ وباسمه، وتُقربه وتُقدمه للضيوف، أما إذا جاء الضيف مثلًا وذبحت شيئًا في طريقِهِ ليرضى فقط هو ليس لأن يأكل ليرضى هذا لا يجوز شرك هذا مُخرج من الملَّة.

(وَمِنَ السُنَّةِ) يعني الدليل من السُّنة على أن الذبح عبادة لا تُصرف إلا لله ﷻ قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»)، هذه الجملة لها أينما وردت لها معنيان:

المعنى الأول: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخبرنا عن شيءٍ خبرًا لا عن الله أي هذا الإنسان ملعون،

والخبر من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا نشك فيه، هذا المعنى الأول.

المعنى الثاني: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يدعو عليه، فإذا كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يدعو عليهم، فخطير كلاهما: «**من ذبح لغير الله** ﷻ».

(**وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾** [الإنسان:٧]).

النّذر: هو إيجاب المُكلف على نفسِه ما ليس واجبًا عليه بأصل الشرع، توجب على نفسك ما ليس واجبًا أصلًا، هذا هو النذر إيجاب المُكلف على نفسه ما ليس واجبًا عليه بأصل الشرع، وهو قسمان:

نذرٌ مُطلق، وهو محمود، (لله علي أن أقرأ القرآن وأن أختمه مثلًا في كذا وكذا في يومين أو ثلاثة أو أربعة).

(لله علي أن أُنفق من مالي كيت وكيت وأن أذبح كيت وكيت). هذا محمود.

والقسم الثاني: مُقيَّد، وهو مكروه، تقول مثلًا: إن وصل فلانٌ سالمًا من السَّفر إن نجح ابني كذا، إن حصل كيت وكيت فلله علي كيت وكيت، هذا مُقيَّد، وهذا مكروه، وهذا الذي ورد فيه الحديث: «إنه لا يأتي بخير، وإنما يُستخرج به من البخيل» والحديث متفقٌ عليه من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، هذا من حيث الأصل.

أما من حيث الوفاء: فسواءٌ كان مُقيدًا أو مُطلقًا يجب الوفاء به، يقول الله ﷻ هنا: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان:٧] أثنى عليهم بأنهم يوفون بالنذر مما يدل على أن الله ﷻ يُحب هذا العمل: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧]، أي مُنتشرًا وقاسيًا على الناس إلا من رحم الله -ونسأل الله أن نكون منهم نسأل الله أن نكون ممن يرحمهم الله ﷻ-.

(**﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾** [الإنسان:٧]).

إذًا النذر من حيث الأصل ينقسم إلى قسمين، ومن حيث الوفاء هذا وهذا كلاهما يجب الوفاء به، والوفاء به عبادة وهذه العبادة لا يجوز أن تصرفها لغير الله ﷻ.

إذا نذر إنسان لمخلوق مثلًا إن نجح ابني فلفلان علي أن أذبح، هذا لا علاقة له، ويحرم الوفاء به مع وقوعه في الشِّرك، إذا نذر هكذا هذا لا يجوز، يحرم عليه الوفاء به، إذا قال: إذا رجع فلان من السفر سالمًا فللولي فلان علي كيت وكيت، فللولي فلان علي أن أُصلي لا يجوز، والنذر عبادة ولا تكون العبادات كلها إلا لله ﷻ.

وهكذا انتهى الأصل الأول الذي هو (**معرفة العبد ربَّه**).

يُلاحظ أن المؤلف اكتفى في الأصل الأول بالتفصيل في توحيد الألوهية، الأصل الأول: معرفة العبد ربه، والله ﷻ نعرفه بأسمائه وصفاته، نعرفه بأنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات، وهل ذكرها الشيخ هنا؟ أكثر ما ذكر ما يتعلق بتوحيد الألوهية، لماذا؟ لأن الاستقامة في توحيد الألوهية تدل على الاستقامة في النوعين الأخيرين، لأن الإخلاص له في عبادته يكون من إيمانك بأن الأسماء والصفات لأن صفات الكمال كلها لله ﷻ لا يستحقها غير الله ﷻ، وأنه هو الذي يستحق تلك الأسماء والصفات، وأن تلك الأسماء الحسنى والصفات العلى لا يستحقها إلا الله ﷻ، لذلك من عنده شيء من الانحراف في توحيد الربوبية وفي توحيد الأسماء والصفات لابد أن يقع في الانحراف في توحيد الألوهية.

الاستقامة في توحيد الألوهية تدل على الاستقامة في توحيد الربوبية وفي توحيد الأسماء والصفات.

من كان يعتقد اعتقادًا جازمًا، وكان يقينه راسخًا في أن الربوبية لله ﷻ، وأنه لا شريك له في أفعالهِ كلها لا يعبد إلا الله ﷻ، ومن كان يقينه راسخًا أن تلك الكمالات التي هي الأسماء الحسنى والصفات العُلى لا يستحقها إلا الله ﷻ لا تجده إلا متوجهًا إلى الله ﷻ، فمن يذهب إلى القبور تجده يُشرك بالله ﷻ في شيءٍ من الأسماء والصفات يعتقد أن هذا أيضًا يسمع مثل الله ﷻ يعتقد أن بيده شيء من التصرف، فلذلك استحسن الشيخ أن يُفصل في توحيد الألوهية بهذا التفصيل، وكما قلت: الاستقامة هنا يدل على الاستقامة في النوعين الأخيرين، مع ذلك لو أعطانا نُبذًا مختصرة في النوعين الأخيرين أيضًا كان أفضل مع أنه ما يتعلق بتوحيد الربوبية ذكر شيئًا من ذلك.

أما توحيد الأسماء والصفات فخلاصته: أن تعتقد أن جميع الكمالات لا يتصف بها إلا الله ﷻ، كثيرٌ من الناس يظنون أن توحيد الأسماء والصفات هو إثبات ما أثبته الله ﷻ في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ في سنته، ونفي ما ورد النفي في الكتاب، نعم هذا توحيد الأسماء والصفات، ولكن خلاصته: أن هذه الكمالات التي نُسميها الأسماء والصفات هذه الكمالات لا يتصف بها إلا الله ﷻ، ولذلك نقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] ، معنى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] ، كما ذكرنا: أن جميع الكمالات بأنواعها على تمامها وكمالها لا يستحقها إلا الله ﷻ.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

انتهينا من الأصل الأول: (**وهو معرفة العبد ربَّه**).

وكما تعرفون الكتاب فيه ثلاثة أصول:

الأصل الأول: معرفة العبد ربه.

الأصل الثاني: معرفة العبد دينه.

والأصل الثالث: معرفة العبد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أو بعبارة أخرى: (معرفة المعبود، ومعرفة حق المعبود، ومعرفةُ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الذي يُبين لنا طريقة العبادة.

حق المعبود: معرفة المعرفة الأصل الأصول.

حق المعبود: هو الدِّين.

أنت تتعلم الدِّين والدين عبارة عن الإسلام **وهو الاستسلام كما سيذكر الشيخ**.

وتتعلم هنا كيف تؤدي حق الله عَزَّ وَجَلَّ، أو معرفةُ المُرسِل والمرسَل هو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أُرسل به وهو الدِّين.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الأصل الثاني: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

قال الشارح وفقه الله:

قوله: (**الأصل الثاني: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ**) ذكر هذه الجملة بـ(الأدلة) وهذا أولًا: مسايرةً لمنهجه عمومًا لا يذكر شيئًا إلا ويذكر له دليلًا، لأن هذا دين الله ﷻ، أنت لما تقول: أن هذه عبادة لابد أن تذكر الدليل وإلا كثير من الناس البدع يزعمونها عبادات، فأنت لما تتمسك بالدليل وتعتصم بالدليل هذا يعصمك بإذن الله من الانحراف في هذا الباب الخطير، فمعرفة دين الإسلام بالأدلة، لماذا؟ ليكون على نورٍ وبُرهانٍ وبصيرةٍ من الله ﷻ.

إذا عرفت المسألة وعرفت دليلها يكون يقينك بحيث لا يتزلزل بسبب الشكوك أما إذا تعلمت المسألة عرفت المسألة ولم تذكر الدليل قد يأتي شخص، ويوسوس ويذكر بعض الشكوك ويتزلزل يقينك تتزعزع ثقتك في هذه المسألة مع أنها حق.

الآن كون الله ﷻ من حقوقِه إفراده بالعبادة، بل هذا أعظمُ حقٍ له، بعض أهل البدع هنا يوسوس لك ويقول لك: أنت الآن بهذا المنهج تُنكر الأولياء وتُنكر كذا وتُنكر كذا، فيُدخل الشكوك، أما إذا تعلمت المسألة مع دليلها، فهنا بإذن الله يكون فيه نجاةً من الشكوك والشبهات.

حتى ولو لم تستطع أن ترد على الشُّبهة تبقى على الأصل قد يأتي صاحب شبهة وما تعرف كيف ترد عليه، ولكنك على يقين أن هذه المسألة هذا دليلها، فماذا يكون موقفك؟ جاء هذا المبتدع وشوش عليك وجاء بشبه، وأنت ما استطعت أن ترد على هذه الشُّبه، ما الموقف هنا؟ تبقى على الأصل، تقول له: هذه الشبهة نعم ما استطعت أن أرد عليك فيها، ولكنها تبقى شبهة، أما أنا فعلى يقين من أمري لأنني

تعلمت المسألة مع دليلها، ولا يُمكن أن تتناقض النصوص يكون بينها تعارض، فالدليل ينفعك في زيادة اليقين وفي رسوخ اليقين وفي دفع الشبهات.

عمومًا منهج الشيخ أنه يذكر دليلًا على كل ما يذكره.

قوله: (**وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ**).

أولًا: يُعرف الإسلام: (**مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ**) لابد أن تعرف الإسلام ما هو الإسلام؟ عرَّفه بتعريفٍ يتكون من ثلاث جُمل:

الجُملة الأولى: (**وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ**).

الجملة الثانية: (**وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ**).

والجملة الثالثة: (**وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ**).

قوله: (والبراءة) هذه هي الصحيحة، لأن في بعض النسخ: (والخلوص) وهذا ليس في النسخ المعتمدة كما ذكر الشيخ صالح آل الشيخ.

الآن عندنا ثلاث جُمل:

الاستسلام لله بالتوحيد.

الانقياد له بالطاعة.

والبراءة من الشرك وأهله.

في بعض النسخ: (والخلوص) وهذا خطأ.

(**والبراءة من الشِّرك وأهلِهِ**)، إذا كانت مع بعض لا بأس، ولكن يبدو أنهم لفقوا بين النسختين، النسخ ليست نُسخ معتمدة، وليست نُسخ مُحققة، يبدو أنهم وجدوا هنا ووجدوا هنا وجمعوا بينهما.

هذا التعريف الذي تجدونه نرجع إليه بعد أنْ نعلم أن الإسلام له معنيان، أو له إطلاقان:

الإطلاق الأول: الإسلام العام، وهو الذي خُوطب به جميع الناس من لدُن آدم عليه السلام، كلهم خوطبوا بالإسلام يقول الله عز وجل: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ

يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران:١٩]، لم يُقيده برسولٍ دون رسول.

ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

ويقول سبحانه عن نوحٍ عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٧٢].

ونوح عليه السلام أول رسولٍ أُرسل إلى الأرض أول نبي هو آدم عليه السلام وأول رسول هو نوح عليه السلام، نوح عليه السلام يقول: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٧٢] مما يدل على أن الإسلام هو الذي خوطب به جميع الناس وهو دين جميع الأنبياء الإسلام، هذا المعنى العام.

الإطلاق الثاني: الإسلام الخاص، وهو الإسلام الذي بعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو المُراد هنا.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة**» أي أمة الدعوة، لأن الأمة هناك أمة الدعوة، وهناك أمة الإجابة، أمة الإجابة هم المسلمين، وأمة الدعوة الجميع، «**لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ أو نصرانيٌ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**». والحديث أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه».

ولذلك الآن لما يُقال: الإسلام يُراد به أي الإطلاقين بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم يُراد به الإسلام الخاص.

إلا إذا قُيد بقيد فهنا يتحدد، أما إذا لم يُقيد وأُطلق فالمراد بالإسلام: هو الذي جاء به النبي محمدٌ صلى الله عليه وسلم، وهذا الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم لا يختلف عما جاء به الرسل الكرام قبله في الأصول.

أركان الإيمان التي سنذكرها هي في جميع ما أُرسل به الرُّسل وأصول الإسلام هي عند الجميع،

ولكن قد تختلف الشرائع، أما الأصول فهي واحدة.

الآن نأتي إلى التعريف: (**وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ**) أن تستسلم لله ﷻ، ما هو الاستسلام؟ الاستسلام هو الذُّل والخضوع تستسلم له، وبالتوحيد بجميع أنواع التوحيد، لا تعبد إلا إياه ولا تعتقد معاني الربوبية إلا فيه، ولا تثبت صفات الكمال التي تليق بالله ﷻ لا تثبتها لغيره، وتثبت له تلك الصفات التي تمدح بها وأثبتها لنفسه، إذًا الاستسلام له بالتوحيد هذه هي الجملة الأولى.

(**وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ**) بعد الاستسلام لابد أن تعمل، (**وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ**) معناه تعمل، الأول: تستسلم، والثاني: تعمل.

تستطيع أن تقول: أن الأول هي العقيدة والثاني هي الأحكام والأعمال، تعتقد الاعتقاد الصحيح وتنقاد له حسب هذا المعتقد الصحيح.

الجزئية الثالثة: (**وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ**) هذا أثرُ الأمرين الأولين ما دام استسلمت لله ﷻ بالتوحيد وآمنت بالتوحيد واعتقدت التوحيد، وصرفت جميع أنواع العبادة لله ﷻ ومنها المحبة والتعظيم والذُّل تُحب هذه الكلمة لا إله إلا الله وتُحب من يقولها تُحب المسلمين يجب عليك أن تتبرأ من الشرك وأهله، الذي لا يتبرأ من الشرك وأهله هذا إما أنه لا يعرف التوحيد، أو يعرفه ولكن لا يعتقده اعتقادًا جيدًا، أما من عرف التوحيد جيدًا وكان اعتقاده راسخًا واستسلم لله ﷻ وانقاد له بالطاعة، هذا يُثمر فيه ولا محالة يُثمر فيه البراءة من الشرك وأهله، ذكر هنا البراءة ولم يذكر الولاء، الولاء والبراء مُتلازمان، البراءة من الشرك وأهله يتضمن محبة كلمة التوحيد وأهلها، ليست القضية قضية البراءة فقط، وإنما الولاء للتوحيد وأهله، والبراء من الشرك وأهلِهِ.

البراءة هي في الأصل: معنىً يكون في القلب وهو البُغض، البراءة يعني البُغض، وهذا معنى يقوم بالقلب، هذا هو الأصل، وتتفرع عنه أمور تكون تابعةً له، لابد أن تكون مُبغضًا للمُشرك والمشركين، هذا البُغض يتبعه المعاداة، ويتبعه الحكم عليه بالكفر، الآن نحن نتحدث عن المشركين ويتبعه أيضًا القِتال إذا كان واجبًا، هذه ثلاثة، هذه الأمور الثلاثة الأمر فيها يرجع إلى العلماء.

بالنسبة للعامي يكفي أن يقوم بقلبه بُغض الكفر وأهل الكفر بُغض الشرك وأهل الشرك.

هل معنى هذا أنك تُسيء إليه دائمًا؟ لا، المعاملة غير، أنت الآن بالنسبة للمُشرك تتعاون مع جهتين:

۞ **الجهة الأولى**: تعاملُك مع الله ﷻ.

۞ **الجهة الثانية**: تعاملك مع هذا الشخص.

هذا الشخص هو من أمة الدَّعوة، إذا استطعت أن تدخل في قلبِهِ وأن تؤثر فيه وأن تتلطف إليه، وأن تُحسن إليه، وأن تجلبه إلى الإسلام كسبته، إذا أسلم شخص على يديك فكلُّ ما يأتي به فأنت شريكه، وأنت نائم يُصلي وأنت معه، يُزكي وأنت معه، يحج وأنت معه شيءٌ عظيم.

من يُسلم على يديه وعلى يديه، كل هذا في رصيده، ولكن بما أنه كافر لا أُحبه، أُفرق بينه وبين المسلم، المسلم الأصل أن له من الحُب ما يُناسب إسلامه، من كان من أولياء الله المتقين فله من الحُب ما يليق به، ومن كان من الفاسقين فله من الحُب ما يليق بإسلامه، ولكن المسلم عمومًا له من الولاء ما يناسبه، والكافر له من البراء ما يُناسبه، وهناك فرق بين الكافر الحربي وغير الحربي.

المُهم بالنسبة للعامي، لابد أن يقوم بقلبه هو وغيره، ولكن هذا يكفيه لابد أن يقوم بقلبه بُغضٌ لهذا الكافر، أما في المعاملة لا، المعاملة هناك فرق بين الحربي وبين المسالم وبين الذمي وبين المستأمن هناك فرق، فليس هناك تعارض بين الولاء والبراء، الولاء والبراء أصلٌ من أصول العقيدة، الولاء والبراء أن توالي أصحاب لا إله إلا الله تُحب هذه الكلمة وتُحب أصحابها وتتبرأ من المشركين من الشرك وأهله، ومن الكفر وأهله، إذًا هذا أثرٌ من آثار الأمرين الأولين، وذكره حتى يُذكرنا به.

ثانيًا: هناك آيات كثيرة وأحاديث كثيرة في هذا الأصل، فلابد أن يتذكره المسلم دائمًا في سورة الفاتحة في كل ركعة يُذكرنا الله ﷻ بأعدائنا، ويُذكرنا الله ﷻ بمن ينبغي أن نقتدي بهم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٧]، هؤلاء لابد أن تُحبهم، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة:٧] هؤلاء أعداؤك، لابد أن تكون دائماً على ذُكرٍ لهذه المسألة، لا تخلط بينهما.

يحصل الخلط في هذه المسألة:

أولًا: هناك أفكار ساهمت في الخلط في هذا الأمر، بعض الناس يُظهر أنه يُحب الإسلام وهو راسخٌ في العقيدة ويُريد أن يُطبق الإسلام ويُشوه الإسلام من حيثُ لا يدري، لا يُفرق بين الحربي وغيره، ولا يعرف من الإسلام إلا الشِّدة والغلظة لا أبدًا، فلابد أن تتخير بالدليل في هذه الأمور كلها.

وهناك أفكار -وهي أفكار الخوارج- ساهمت في خلط هذه المسألة، كما أن هناك ممن يُميعون وهذا الصنف أيضًا بدأ الآن وله الصولة والجولة يُريد أن ينسف هذا الأصل **العظيم الولاء والبراء**، بحجة أننا مسلمون وأننا مسالمون، ما هو الإسلام الذي تدعو إليه؟ أنت دائمًا تفصل الإسلام بالنظر إلى عدوك، الهزيمة النفسية وصلنا فيها إلى حدٍ نقول: الله المستعان.

المُهم أنت تتقيد بالدليل في كل هذه الأمور لا تنجرف مع أهل الغلو والإفراط الذين شوهوا الدِّين وخطرهم أعظم، لأن الناس ينظرون إليهم على أنهم يُمثلون الدِّين، فخطرهم أعظم، أما هذا الذي يقتل في الجرائد وهو حليق ويدعو إلى الإسلام، وينظر إلى نفسه، كثير من الناس يعرفونه، وأوراقه تكون مكشوفة أصلًا.

على كل حال: هذا أصلٌ مُهمٌ جدًا لابد أن نتذكره دائمًا.

الإسلام ذكر فيه كم قيدًا؟

القيد الأول: (**الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ**).

القيد الثاني: (**وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ**)، على هذا يتم الإسلام.

القيد الثالث: ثمرة من ثمرات هذا، أصلًا إذا حصل هذا فهذا يحصل، وإذا كان شخص يدَّعي هذا ولم يحصل هذا ففيه دَخن لابد أن يُراجع نفسه، والإسلام ثلاث مراتب:

۞ **المرتبة الأولى**: الإسلام.

۞ **والمرتبة الثانية**: الإيمان.

۞ **والمرتبة الثالثة**: الإحسان.

(**وهو**) الضمير يرجع إلى الإسلام، أو إلى الدين؟ يرجع إلى أول سطر: (**الأصل الثاني: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ**) الضمير هنا: (يرجع إلى الدين) الدين أو الدين الإسلامي له ثلاث مراتب:

۞ **المرتبة الأولى**: الإسلام.

۞ **والمرتبة الثانية**: الإيمان.

۞ **والمرتبة الثالثة**: الإحسان.

الإسلام لما يُذكر مقرونًا بالإيمان والإحسان، فيكون له معنى خاص، وإذا أُطلق ولم يُقرن بهذين الأمرين يكون له معنىً خاص، إذا أُطلق يشمل هذين الأمرين، وإذا قُرن بالأمرين يضيق مجاله، إذا قُرن بالأمرين يكون معناه أخص، وإذا أُطلق يشمل هذين الأمرين، وكذلك الإيمان وكذلك الإحسان.

إذا ذُكر الإيمان مُفردًا يشمل الإسلام، وإذا ذُكر الإيمان مع الإسلام فله معنىً خاص، إذا قُرن يضيق المجال إذا لم يُقرن يتسع المجال ويتسع المعنى.

وكل مرتبةٍ لها أركان، فأركان الإسلام خمسة:

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام.

ذكر هذه الأركان، الآن بدأ يذكر أدلة هذه الأركان، كلكم سيذكره مع دليله.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

كنا بدأنا في الأصل الثاني من الأصول الثلاثة الذي تحدث عنها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «ثلاثة الأصول».

(الأصل الثاني: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ).

ذكر تعريف الإسلام، ثم ذكر أن الإسلام ثلاث مراتب، أو أن دين الإسلام ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: الإسلام.

والمرتبة الثانية: الإيمان.

والمرتبة الثالثة: الإحسان.

ثم ذكر أن كل مرتبة من هذه المراتب الثلاثة لها أركان:

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إله إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إله إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران، ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنْ الإِثْبَاتِ ﴿لا إله﴾ نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ﴿إِلا اللهُ﴾ مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦ -٢٧]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

﴿أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

قال الشارح وفقه الله:

هذه أركان الإسلام الخمسة، لماذا نُسميها أركان، مع أن هناك شرائع كثيرة هي من الإسلام، لماذا نقول: (أركان الإسلام الخمسة)؟

هذه الأركان هي دعائم الإسلام وعليها ينبني الإسلام، ولا يبقى الإسلام مع انعدام هذه الأركان الخمسة أو بعضها، إذا زالت يزول الإسلام بفقدها، إذا زالت كلها يزول الإسلام قولًا واحدًا، وكذلك يزول بفقد الشهادتين قولًا واحدًا، أما بقية الأركان ففيها خلاف والصحيح أيضًا أن من أنكر شيئًا منها يزول الإسلام قولًا واحدًا، وأن مَن فرَّط في شيءٍ منها لم يأت بشيء منها مع اعتقادِهِ بوجوب، مع اعتقاده بكونها أركان، فهناك خلاف القول الراجح في الصلاة أنها مثل الشهادتين من ترك الصلاة تهاونًا حتى يخرج الوقت الراجح أنه كافر.

وهناك خلافٌ في بقية الأركان ليس هذا موضع التفصيل فيه.

المُهم هذه الأركان كأن الإسلام مثل البُنيان ودعائم هذا البنيان خمس، وهي هذه، فلا يثبت البُنيان بدونها، ولذلك سُميت أركان الإسلام.

أركان الإسلام خمسة:

أولًا: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

هنا شهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله، ولكنهما اعتبرتا رُكنًا واحدًا، وهاتان الشهادتان أساس صحة الأعمال وقبولها، وهاتان الشهادتان أساس صحة الأعمال وقبولها، العمل لا يُقبل ولا يكون صحيحًا ولا يكون مُعتدًا به شرعًا إلا بأمرين:

- الإخلاص لله، لا إله إلا الله.

- والمتابعة لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ محمد رسول الله.

إذًا (لا إله إلا الله) معناها: أن العبادة لا يستحقها إلا الله ﷻ، ولا تكون العبادة إلا حسب سنة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ العبادة لا يستحقها إلا الله ﷻ، ولا تكون مُعتدةً شرعًا إلا بالمتابعة للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فهنا توحيد المُرسَل وتوحيد المُرسِل، **المُرسِل**: هو الله ﷻ، **وتوحيد المُرسل**: وهو النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فلا يُزاحمه أحدٌ في طاعته، لا أحد يأتي ويقول: بما أن فلانًا قال كيت وكيت، إذًا هذه العبادة لا، الذي يُحدد هذه الأمور هو النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إذًا هو الطريق الوحيد لنا إلى الله ﷻ وإلى عبادته، لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله.

(شهادة أن لا إله إلا الله) لم يقل: قول: (لا إله إلا الله) بل قال: (شهادة أن لا إله إلا الله) (أشهد) والشهادة فيها معنيان:

- **المعنى الأول**: هو الإعلام والإخبار، مثلما تقول: (أقول).

- **المعنى الثاني**: مواطئةُ ما في قلبك مع ما تقوله، يكون ما في قلبك موافقًا ومواطئًا ومتوافقًا مع ما تقوله. إذا لم يكن هكذا لا يُعتبر شهادةً، إذًا هناك فرقٌ بين القول والشهادة، الشهادة لا تُعتبر شهادةً إلا إذا كان ما في قلبك موافقًا لما تقوله، ولذلك لابد أن تقول: (**أشهد**) ولا يمكن أن تقول: (**أقول**) أشهد أن لا إله إلا الله.

يقول الله ﷻ في بداية سورة المنافقين: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ﴾ [المنافقون:١]، قولهم:﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ﴾[المنافقون:١]، أليس صحيحًا؟ صحيح، ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[المنافقون:١]. مع أن كلامهم صحيح ما قالوا شيئًا خطأً، (قالوا نشهد إنك) وهذا صحيح، فلماذا كذبهم الله ﷻ؟ كذبهم لأنهم قالوا: نشهد، وهذا خلاف الواقع، يقولون: نعم، أما أنهم يشهدون وأما أن ما في قلوبهم متوافقٌ مع ما يقولونه هذا خطأ، فلذلك كذبهم الله ﷻ مع أن كلامهم صحيح.

إذًا التكذيب راجعٌ إلى دعواهم: (نشهد إنك لرسول الله).

إذًا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله هنا (لا إلـه إلا الله) فيهـا ركنـان: نفي وإثبـات، وهـذا سيوضحه المؤلف فيما سيأتي، وكذلك معنى الألوهية سيوضحها المؤلف.

(**فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى**) المؤلف دائمًا عودنا بذكر الأدلة.

(**فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إله إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إله إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [آل عمران، ١٨]).

الله ﷻ هو أعظمُ شاهد شهد أنه (أنه لا إله إلا هـو) وهـذا هـو التوحيـد، فـالله ﷻ أعظـمُ شـاهدٍ يشـهد بـأعظم مشـهودٍ وهـو التوحيـد: (﴿شَـهِدَ اللّـهُ أَنَّـهُ لاَ إلـه إِلاَّ هُـوَ وَالْمَلاَئِكَـةُ﴾)؛ أي: وشـهدت الملائكـة (﴿وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾) أي وأولوا العلم أيضًا شهدوا.

هـذه الآيـة مـن الأدلـة التـي تـدل علـى فضـيلة وعلـى فضـل أهـل العلـم، لأن الله ﷻ قـرن شـهادتهم بشهادته، وهذا مقرونٌ عظيم.

وشهد لهم بأنهم يشهدون بأن الله لا إله إلا هو، وبالتالي من لا يشهدُ بهذا بالتوحيـد الخـالص، فليس من أهل لعلم ولو كانت عمامته من هنا إلى هناك.

(﴿وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾) وهم أولئك الذين يشهدون أن الله لا إله إلا هو.

ومن معاني الشهادة: الاستمرار.

من معاني الشهادة: الإظهار، لابد أن تُظهر وتُخبر وتُعلن عما في نفسك وتُكرر هذا.

(﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إله إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾) من اهـتم بكـل شـيء إلا التوحيـد هـذا لـيس من أهل العلم.

(﴿قَآئِمَا بِالْقِسْطِ لاَ إله إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران، ١٨]) كرر الشهادة.

ومعناها: (**لا معبودٍ بحقٍ إلا الله**)، لا إله إلا الله فيها أربع: (لا) (إله) (إلا) (الله).

(لا) هذه نافية للجنس، إذا قلت: (لا رجلَ في الدّار) معناها: لا أحد من الرجال هناك جنس الرجال لا يوجد في الدار، ولذلك يُقال: (لا النافية للجنس).

(لا إله إلا الله) (لا) النافية للجنس تعمل عمل «إنَّ» إنَّ وأخواتها تدخل على المبتدأ وتنسخ عمل المبتدأ، هذه من النواسخ، فيكون المُبتدأ اسمها والخبر خبرُها، فيكون اسمُ (لا) منصوبًا مثل: (إنَّ) وخبرُها مرفوعًا: (إن زيدًا قائمٌ) وهكذا: (لا إله) (إله) اسم لا، إذًا (لا) تحتاج إلى اسم وإلى خبر، أنت الآن لاحظ (لا إله) إله: اسم، لا: تحتاج إلى اسم وخبر (إله) هذا اسم، والخبر: (**بحقٍ**).

إذا قيل لك: (لا إله بحقٍ إلا الله) من أين جئت بحق؟ هذا خبر، (لا) تحتاج إلى خبر، والخبر غير موجود مُقدَّر، وخبر (لا) في اللغة يُحذف بشرط أن يكون معلومًا لدى المُخاطب، إذا كان خبر لا معلومًا لدى المُخاطب يُحذف، لماذا يُحذف؟ لأن المُخاطب يعلمه.

اختلف الناس الآن في تقدير الخبر، لأن الخبر غير موجود:

بعضهم قالوا: (لا إله موجودٌ إلا الله)، وهذا غير صحيح، هناك آلهة باطلة موجودة، والنزاع مع المشركين ليس في وجودها، لو كان هذا هو الخبر لاعتُرض على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الآلهة موجودة.

وبعضهم يقولون: معنى: (لا إله) الإله معناه: القادر على الاختراع: (لا إله) أي لا قادر على الاختراع (إلا الله)، على هذا هل يبقى نزاع مع المشركين؟ المشركين أيضًا يقولون هذا: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[لقمان:٢٥] فالتدبير لله ﷻ، فلماذا يُمانعون من الإقرار بالشهادتين، ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ﴾، ولذلك ما كانوا يقبلون أن يقولوا: لا إله إلا الله، لأنهم يعلمون أن الاعتراف بلا إله إلا الله معناه: ترك معبوداتهم كلها التبرؤ من معبوداتهم كلها، لذلك أبو لهب أبو طالب عند الموت طلب منه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يقول: لا إله إلا الله، يقول: «**كلمةً أُحاج لك بها عند الله**» مع ذلك أنكر أن يقول هذا.

مما يدل على أن المطلوب منه معلومٌ عنده، وهو يُنازع فيه، لو كان الخبر مما يُقر به هو ما بقي هناك

خلافٌ طويلٌ وعريض بينه وبين النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما يقول: «**قولوا: لا إله إلا الله تُفلحوا**» ولا يقولوه، لماذا؟ لأن هناك شيء يمنعهم، هذا الشيء الذي يمنعهم هو اعتقادُ إفراد الله ﷻ بالعبادة، لأنهم يعتقدون الربوبية لله ﷻ في الجملة، أما العبادة فهُم يرون أن الذين يستحقون العبادة كُثر، ولماذا يستحقون العبادة؟ لجاههم عند الله، لأن أولئك يُقربونهم إلى الله ﷻ.

فلذلك نقول: المؤلف هنا لما يقول: (لا إله) بدل (إله) قال: (**لا معبودَ**)، لأن الألوهية بمعنى: العبودية، (**لا معبودَ**) معبود بدل إله، (**بحقٍ**) وهذا خبر، وبهذا يكتمل معنى: (لا إله إلا الله)؛ أي: لا معبود بحقٍ غير الله ﷻ، هنا نفينا وأثبتنا، نفينا الألوهية لا يستحقها غير الله ﷻ هذا نفي، لا يستحق الألوهية أحدٌ غير الله ﷻ، لا يستحق الألوهية إلا الله ﷻ، وهذا إثبات، لأن الإثبات المُجرَّد لا يمنع المُشاركة أنت لما تقول: الله معبود، هل هذا يمنع المشاركة؟ المشرك يقول: نعم هو معبود أنا أعبده أُصلي له وأحج له، ولكن أيضًا أعبد غيره، هنا النزاع، المشركون ترى يعبدون الله ﷻ ليس النزاع في كونه معبودًا، وليس النزاع في استحقاقه للعبادة، النزاع في استحقاقه فقط للعبادة، الذي يقول: هو معبود ما سوَّى شيء، فالإثبات المُجرد لا يمنع المشاركة.

والنفي المُطلق إلحاد (لا إله) هذا إلحاد، والتوحيد الخالص يتم بالنفي والإثبات، لذلك (**لا إله إلا الله**) فيها نفيٌ وإثبات.

(**لا معبودَ**) كثير من الناس يقولون: **لا إله إلا الله** أي لا رازق إلا الله، لا مُدبر إلا الله، لا قادر على الاختراع إلا الله، وهذا ليس بصحيح.

قلنا أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

وذكرت أن هناك علاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة.

❶ توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يستلزم يتضمن توحيد الربوبية.

إذًا (**لا إله إلا الله**) معناها: أي لا معبود بحقٍ إلا الله، وليس لا رازق إلا الله خطأ، وليس معناه: لا مُدبر إلا الله، وليس معناه: لا قادر على الاختراع إلا الله، لأن الألوهية معناها: العبودية، هي من أَله يأله

إلهةً أي عبوديةً، الذين يقولون: أن الألوهية من معاني السِّيادة، وأن (لا إله إلا الله) معناها: لا آلهة إلا الله، أي لا رازق إلا الله، هذا خطأ، هناك فرق بين الربوبية والألوهية لغةً، الربوبية من معاني السيادة المُلك والتدبير والخلق والرزق، هذه المعاني كلها ترجع إلى الربوبية، أما الألوهية فهي بمعنى العبادة.

يقول أحد الشعراء:

لله در الغانيـــــات المُـــــدَّهي سـبَّحن واسـترجعن مـن تألُّـهِ

أي من عبادتي، وليس معناها من قُدرتي.

التألُّه: التعبُّد، العبودية: الألوهية، أَله يأله إلهةً أي عبدَ يعُبد عبوديةً، أو عبادةً.

لا إله إلا الله: معناها: لا معبود بحقٍ إلا الله، وليس معناها: لا رازق إلا الله، هذا غير وهذا غير.

أما ما علاقة توحيد الألوهية بالربوبية؟ هذه مسألة تختلف أنت لما تقول: (لا معبود بحقٍ إلا الله) معناه: أنك تعترف بربوبيته، إذًا هذا يتضمن هذا، وأنت لما تقول: (لا رب إلا الله) إذا كنت تعترف بهذا يلزمك أن تعترف بكونِهِ مُنفردًا باستحقاق العبادة، هذا يستلزم هذا وهذا يتضمن هذا.

ومعناها: لا معبود بحقٍ إلا الله.

(لا إله) نافيًا جميع ما يُعبد من دون الله، هذا ركن النفي، لا إله إلا الله فيها نفي وإثبات، النفي لا إله نافيًا جميع ما يُعبد من دون الله.

(إلا الله) مُثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في مُلكه.

المؤلف هنا يُشير إلى العلاقة بين نوعي التوحيد: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية. أنا قلت: توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، معناها: أن من يعتقد أن الله ﷻ هو الذي خلقه وهو الذي يرزقه، وهو الذي يُدبر شؤونه وهو الذي أحياه وهو الذي سيميته، ألا يجب عليه ألا يلزمه أن يُفرده بالعبادة، يعتقد هذا الاعتقاد ثم يذهب إلى الميت الفلاني وإلى الزيارة الفلانية، نقول: توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، من يُصلي لله ﷻ، ويعتقد أنه لا يستحق العبادة إلا الله ﷻ، هذا حتمًا مُقرٌ بتوحيد الربوبية بما أنه مُقرٌ بتوحيد الربوبية لذلك اعتقد أن الذي يستحق العبادة هو الله ﷻ فقط، ولذلك من كان موحدًا

توحيد العبودية فيكون حتمًا موحدًا في توحيد الربوبية، ومن كان موحدًا في توحيد الربوبية فلا يلزم أن يكون موحدًا في توحيد العبودية، وهذا حال المشركين، يعتقدون أن المُدبر هو الله ﷻ، يعتقدون أن الله ﷻ هو الذي خلق السماوات والأرض، ويعتقدون أن الله ﷻ هو الذي أحياه وهو الذي يُميته، مع ذلك يُشركون، فلذلك الله ﷻ يذكر أدلة ربوبيته في القرآن كثيرًا، لإلزامهم بإفرادِه بالعبودية، بما أنكم تعتقدون توحيده في الربوبية في الجملة لأن عندهم خلل حتى في توحيد الربوبية بما أنكم تعتقدون توحيده في الربوبية يلزمكم أن توحدوه في العبودية، ولكنهم كانوا يقولون: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص:٥] ، كانوا يقولون: الآلهة كُثر، أما الرَّب فواحد.

بالنظر إلى حال المشركين هل يصح أن تقول: الرب هو المعبود؟ المشركون هم عباقرة اللغة وهم أهل اللغة، إذا قيل لهم: الرب واحد يعترفون، إذا قيل لهم: الإله واحد قالوا: لا، يعني هذا لجهلهم باللغة أو ماذا؟ لأنهم أصحاب لغة أهل لغة، ويعرفون أن هذا الاعتراف بأن الإله واحد سيُلزمهم بأن يتركوا عبادة جميع الأوثان، فما يقوله كثيرٌ من المبتدعة الآن أن الرب والإله بمعنى واحد هذا من الجهل الذي لا مسوغ له، وخاصة إذا نظرت إلى اللغة وإذا نظرت إلى حال المشركين، وإذا نظرت إلى موارد ذكر هذين المادتين في الكتاب والسنة.

(**وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا**) أي لا إله إلا الله (**قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾**) أي مُتخلٍ كل التخلي مما تعبدون، هذا فيه معنى: (لا إله) معناها: أن تتبرأ من جميع الآلهة دون الله ﷻ براءٌ مما تعبدون.

(**﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٧]**) هذا فيه (إلا الله) نفس معنى كلمة التوحيد.

(**﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾**) إبراهيم عليه السلام يُشير إلى التوحيد وإلى دليل التوحيد، لماذا أُفرده بالعبادة؟ لأنه هو الذي فطرني، هو الذي خلقني، وليس أولئك الذين تدّعون أنهم آلهة، لا هو الذي فطرني فإنه سيهدين: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾[الزخرف:٢٨]، أي جعل لا إله إلا الله، ﴿بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[الزخرف:٢٨]، وتعرفون أن الأنبياء والرُّسل بعد إبراهيم عليه السلام كلهم من ذريته، أنبياء بني إسرائيل كلهم من إسحاق، ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ابنه إسماعيل.

يقول الله عز وجل في سورة العنكبوت: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت:٢٧] ، إذًا هنا: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٨﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً﴾ [الزخرف:٢٨] ، إذًا البراءة من المعبودات الباطلة وإفراد العبادة لله عز وجل هذا معنى (كلمة التوحيد).

وقوله: (﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾) أي هي كلمة عدل وإنصاف، لا يختلف فيها رسول ولا كتاب، نستوي نحن وأنتم في فرضيتها ووجوبها علينا وعليكم، ما هي؟ (﴿أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ﴾) الحُكم لله عز وجل، والاعتقاد بأن الحُكم لله عز وجل هذا من توحيد الربوبية، ولكن الامتثال عمل وهو من توحيد الألوهية أنت لما تُحكم الشرع هذا من توحيد الألوهية، أما الاعتقاد بأن الحكم لله عز وجل فهذا من توحيد الربوبية.

(﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]).

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

قال الشارح وفقه الله:

قوله: (وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ) كلمة الشهادة فيها شهادتان:

الشهادة بأنه لا إله إلا هو.

والشهادة الثانية: أن محمدًا رسول الله.

(وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]).

قوله: (﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾) اللام هنا هي الموطئة للقسم.

ودائمًا تصحب (قد) هنا (لقَد) و(لقد) هذا اللفظ يدل على أن هناك قسمًا محذوفًا.

إذًا التقدير يكون: (**والله لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم**)، هذا القسم أخذناه من اللفظ.

(﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾) والقسم هنا من الله ﷻ، والقسم يكون للتأكيد والتعظيم، إذًا الله ﷻ يُخبرنا عن هذه النعمة ويمتن بها علينا، وهي من أعظم النِّعم على المسلم، كون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أُرسل إلينا هذه نعمةٌ عظيمة، فالله ﷻ وصف الذي أرسل إلينا بأوصاف كلها تدل على أن هذه النعمة فعلًا عظيمة جدًا.

الوصف الأول: أنه (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ)، كل ما يوقع أمته في المشقة، فهذا شاقٌ عليه، ما يُريد أن تقع أمته فيما يشق عليها، فيما يوقعها في العنت ما يُريد.

الوصف الثاني: (حَرِيصٌ عَلَيْكُم)؛ أي: بهدايتكم وإنقاذكم من النار ودلالتكم على كل ما فيه خير وإبعادكم عن كل ما فيه ضرر.

بعض هذه الألفاظ أو هذه الأمور سيذكرها الشيخ محمد في الأصل الأخير.

الأصل الأول: (معرفة العبد ربه).

والثاني: (معرفة العبد دينه) وهذا الذي نحن فيه.

والأصل الثالث: هناك سيذكر شيئًا مما أشرنا إليه هنا، يقول هناك: (وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه.

هذا كله من حرصه على المؤمنين: (﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾) أي عطوف عليهم مُحبٌ لهم كل خير، هذه كلها الأوصاف التي وصفه بها ربه جل وعلا، الله ﷻ هو الذي وصفه بهذه الأوصاف مما يدل على عظم هذه النعمة فعلًا.

كيف نشهد، وما معنى شهادتنا أن محمدًا رسول الله؟ ذكر الشيخ أربعة أمور، هذه الأمور لابد أن تتوفر فيمن يشهد لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رسول الله.

أولًا: (طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ)، كل ما يأمر به لابد أن تُطيعه، هذا الأول يدخل في شهادة أن محمدًا رسول الله.

ثانيًا: (وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ).

النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُخبرنا أو أخبرنا عن أمور كثيرة منها أخبار الأمم الماضية، منها أخبار الأمور المستقبلية، ومنها أخبار تتعلق بالله ﷻ بأسمائه وصفاته، هذه كلها أخبار، فيجب عليك أن تُصدقه فيما أخبر، ولا تدخل معه في جدال مثلما تجد مع بعض أهل البدع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُخبرنا عن صفات الله ﷻ يقول: هذه الصفات لا تليق بالله ﷻ.

إذًا ما أخبر به النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو من الغيب ما أخبر به من الغيب فهو وحي من الله ﷻ، نحن ننظر إلى أن إخباره وحيٌ من الله ﷻ.

إذًا كل ما أتى به من الإخبار عن الله ﷻ وأسمائه وصفاته وأفعاله والجنة والنار، وأخبار الأمم وغيرها يجب أن نُصدقه، وهذا معنى كونه رسول، لا تُقدم عليه قول أحد، سواءً كان إمامًا أو غيره، لابد أن تُصدقه في كل ما يُخبرك.

ثالثًا: (وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ)، إذًا كل ما حذر عنه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لابد أن تجتنبه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر:٧]، يقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه**»، الاجتناب لم يُكلف، لم يقُل: اجتنبوا ما استطعتم، الاجتناب ما يُكلف شيء.

«**وإذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم**» الشيء الذي ما تستطيعه لستَ مُكلفًا، سمعت الأذان مثلًا وأنت في البيت ما تستطيع أن تحضر لستَ مُكلفًا، ولكن إذا كنت تستطيع فأنت مأمور أن تُلبي هذا النداء.

أما الاجتناب ما يحتاج إلى مشقة، لذلك: «**إذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه**» كثيرٌ منَّا يقول: والله ما أستطيع ما الذي ما يستطيعه؟ الاجتناب كأنه يحمل شيئًا، هذا من ألاعيب الشيطان على الإنسان كيف ما تستطيع؟!

أيضًا مما يُرسخ هذا الإيمان في قلبك: أن تُعظم أمره ونهيه، ستسفيد من هذا أنك لن تُقدم عليه قول

أحد.

أما إذا لم يكن هذا فأنت تؤول كلام النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لأجل كلام فلان من الأئمة، أقوال الجميع تؤول لأجل كلام النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

يقول شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «**وكلَّما كان الرَّجل أتبع لمحمدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان أعظم توحيدًا لله وإخلاصًا له في الدِّين، وإذا بَعُد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك، فإذا أكثر بُعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع ما لا يظهر في من هو أقربُ منه إلى اتباع الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ**». اهـ

إذًا (**واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ**).

الأمر الرابع: (**وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ**).

عبادة الله ﷻ هي التقرب إليه، ذكرنا فيما سبق أن جميع ما يُقربك إلى الله ﷻ يُسمى عبادة اسمٌ جامعٌ لكل ما يُحبه الله ويرضاه، ولكن كيف تتقرب إلى الله ﷻ؟ وكيف تعبده؟ ما الذي سيُقربك إلى الله ﷻ؟ (**وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ**) وليس على هواك أن هذا بما أنه كيت وكيت فهي عبادة لا ليس على هواك، النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هو الذي يُخبرك أن هذا يُقربك إلى الله ﷻ.

إذًا عبادة الله أو الطريق إلى الله ﷻ واحد، ذكرنا سابقًا قول أو البيت الذي ذكره ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى:

فلواحـــدٍ كُـــن واحـــدًا في واحـــدٍ أعنـــي ســـبيل الحـــق والإيمـــانِ

(فلواحدٍ) أي لله عز وجل.

(كُن واحدًا في واحدٍ) كن واحدًا في قصدك، ولا تُجزئ قصدك تقصد هذا وتقصد هذا لا لا، قصدك لابد أن يتوجه كله لله ﷻ (فلواحدٍ كُن واحدًا)، هذا توحيد المُرسِل، (في واحدٍ) هذا شرحه بنفسه (أعني سبيل الحق والإيمان)، إذًا المُرسِل واحد والمُرسَل واحد.

إذًا شهادة أن لا إله إلا الله هذا توحيد المُرسِل، وأن محمدًا رسول الله هذا توحيد المُرسَل.

كيف استدل الإمام رَحِمَهُٱللَّهُ بهذه الآية على ما ذكره؟ (**وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ**

تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبة: ١٢٨])؟

وجه الدلالة هنا: أن الله ﷻ أخبرنا أنه قد أرسل فلانًا ما دام هو أخبرنا، فنشهد بأنه رسولٌ من عند الله ﷻ: (﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨])، لقد بهذا القسم بهذا التأكيد بهذا التعظيم الله ﷻ ذكر هذا.

(وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]).

قوله: (﴿وَمَا أُمِرُوا﴾) هذا نفي أي لم يؤمروا.

(﴿إِلاَّ﴾) هذا للحصر. هنا حصر وقصر، (﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾) يعني لم يؤمروا إلا بهذا الأمر العبادة، (﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾) هي نفسها عبادة، (﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾) هي نفسها عبادة، إذًا الذي أُمرنا به شيءٌ واحد، ذِكر الصلاة والزكاة هنا من باب ذِكر الخاص بعد العام، وهذا كثير في الكتاب والسنة.

إذًا نحن لم نؤمر إلا بأمرٍ واحد مع أن الأوامر كثيرة، فكيف نُفسر هذا؟ تفسيره سهل نحن قلنا: أن العبادة تشمل الدِّين كلَّه أي شيء تعتقد أنه يُقربك إلى الله ﷻ يدخل في العبادة، فعلًا لم نؤمر إلا لأمرٍ واحد: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، وهذا الأمر الواحد يشمل الدين كله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البينة:٥]، مُخلصين له الدّين ليُعبدوا الله عبادة الله ﷻ لا تكون صحيحةً مُعتدةً بها شرعًا إلا بشرطين:

الشرط الأول: أن يكون خالصًا لله ﷻ: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ﴾ [البينة:٥] أي قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة قاصدين بذلك وجه الله ﷻ فقط.

(﴿حُنَفَاءَ﴾) أي مائلين عن الأديان كلها، (﴿حُنَفَاءَ﴾) تأكيد لمخلصين له.

(﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾) بعدما ذُكر هذا الأمر الوحيد الذي أُمرنا به ذكر الله ﷻ بعض

أفراد هذا الأمر بعض أفراد العبادة، لأن الصلاة أعظم عبادةس بدنية بعد الشهادتين، والزكاة أعظمُ عبادةٍ ماليةٍ، والزكاة والصلاة في الغالب يأتي ذكرهما في القرآن مُقترنين.

(﴿ذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]) دينُ الملة القيّمة، والقيمة معناها: المستقيمة.

إذًا إخلاص الدِّين لله ﷻ عبادته وحده هذا هو الدِّين الصحيح.

أما عبادة الله ﷻ كيفما اتفق بالبدع والخرافات هذا ليس دينًا صحيحًا، وكذلك عبادة الله ﷻ في الوقوع في الشرك هذه ليست عبادة، ومن يلتزم بهذين الشرطين: الإخلاص والمتابعة، فهذا هو الذي يعبد الله ﷻ وعبادته عبادةٌ شرعية مقبولةٌ بإذن الله ﷻ.

(وَدَلِيلُ الصَّلاةِ)، هنا قال: (وتفسير التوحيد) مع أنه فسر التوحيد فيما سبق، لأنه سيذكر هنا عبادة الله ﷻ إفراده بالعبادة، وكون العبادة له فقط هذا هو التوحيد، أليس كذلك؟ لا تعبد إلا إياه عبادتك تكون له، لا تصرف العبادة إلا له، وهذا هو التوحيد وهو توحيد الألوهية، ومن كان عنده توحيد الألوهية كما ذكرنا سابقًا في العلاقة بين أنواع التوحيد فعنده توحيد الربوبية، وعنده أيضًا توحيد الأسماء والصفات لماذا؟ لأن هذا لم يعبد الله ﷻ ولم يُفرده بالعبادة إلا لأنه يعتقد أنه يستحق جميع صفات الكمال، أما الذي يعبد هذا وهذا هذا الذي يذهب إلى القبر لماذا يذهب القبر؟ لأنه يعتقد فيه بعض صفات الكمال التي هي لا تكون إلا لله ﷻ، فمثلًا هو يعتقد أنه لما يذهب إلى هناك أن هذا المقبور يسمعه، وهل ذاك يسمعه ما يسمعه، لو كان حيًا وراء هذا الجدار ما سمعناه، فكيف وهو ميت؟ وكما قال الله ﷻ: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ**﴾ [الأحقاف:٥] ذاك ما يدري.

فالتجاؤه ولجؤه إليه، لأنه يعتقد فيه بعض صفات الكمال التي ليست إلا لله ﷻ، وبالتالي الموحد في الألوهية والعبودية هذا حتمًا موحد توحيد الربوبية والأسماء والصفات، لذلك نقول: أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، أما توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

(وَدَلِيلُ الصَّلاةِ) أي دليل أن الصيام في شهر رمضان أحد أركان الإسلام الخمسة هو ذكر أن الإسلام له خمسة أركان، الآن يذكر لكل ركنٍ الدليل الذي يدل على أن هذا ركن.

(ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]).

(كُتب عليكم الصيام) هذا إخبارٌ من الله ﷻ أنه فرض علينا صيام هذا الشهر، وهذا قد شرحه الله ﷻ في الآية التي بعدها: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة:١٨٥]، ثم ذكر الله ﷻ بعد أن أخبرنا أنه فرض علينا الصيام ذكر بعض الأمور التي تُهون من مشقة هذه العبادة، لأنك إذا قيل لك: لابد أن تُمسك عن كل هذا شهرًا كاملًا وكأنك أمام أمر لا يُستطاع له، الله ﷻ ذكر في نفس الآيات بعض المحببات وبعض الأمور التي تُسهل هذه العبادة منها: أفضلها أن هذا ليس عليكم فقط، كما كُتب على الذين من قبلكم لا تظنوا أن هذا عليكم فقط لا لا، هذا أولًا.

إذًا لماذا ذكر الله ﷻ هذا؟ حتى يُسهل عليك، هذا مفروض عليك وعلى غيرك.

والأمر الثاني: أن هذه العبادة توصلك إلى قمة مراتب الدِّين الذي هو التقوى، سيأتي في الإحسان أن الإحسان مُرادفٌ للتقوى، ورد في القرآن ما يدل على أن الإحسان هو التقوى، إذًا هذه العبادة أداؤها كما أمر الله ﷻ من فوائدها: أنها تُبلغك إلى قمة مراتب الدين لعلكم تتقون.

ثم يقول: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة:١٨٤] قارنها بالسنة كلها شهرٌ من اثني عشر شهرًا.

ثم ذكر أن هذا الشهر أيضًا لم يكتب على الجميع الله ﷻ لم يكتب على الجميع أن يصوموا في جميع الأحوال لا، ذكر الرخص، في نفس السياق ذكر أن هذا الصيام سيكون في ذلك الشهر الذي أُنزل فيه القرآن، كل هذه الأمور ذكرها الله ﷻ من باب التحبيب والتسهيل والتيسير.

يعني كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم، وهذا ليس من باب التاريخ فقط، بعض الناس يظن أن هذا فيه بيان التاريخ كُتب عليكم وعلى من قبلكم، الدلالات كلها تأتي في هذا السياق.

فوائد الصيام: الله ﷻ لو فرض علينا دون أن يذكر هذا كلَّه كان فرضًا علينا رضينا أو لا، فذكرها هذا من مِنن الله ﷻ على بني آدم أنه يتحبب إلى عباده بهذا الشكل، ويذكر لهم هذه الفوائد ويُعدد عليهم هذه المصالح التي لا تكون إلا بهذه العبادة، فقارن هذه الأمور كلها بتلك المشقة التي قد تكون مشقة عابرة، هذا كله قبل أن ننظر إلى الفوائد التي تكون من حيث الصحة، نحنُ الآن برز هذا التوجه أو بدأ يبرز بدأنا نُركز على الفوائد ليست الإيمانية الفوائد الأخرى التي تحصل من العبادات لا لا، ليس هذا هو الأهم في العبادات، نعم هناك فوائد كثيرة فوائد صحية للصوم هذه أمور ثانوية لا نُركز عليها نُبينها بعدما نُبين الأثر الإيماني والشرعي والمقصود بهذه العبادة، نحن الآن نعيش هزيمةً نفسية ما سُبقنا إليها، فلذلك كل شيء نأتي به ونصبه على قالب الحضارة، ما هي الحضارة؟ هذا دين عقيدة، فنقوم بها إيمانًا بالله ﷻ وتقرُّبًا إليه، بعد ذلك تلك الفوائد الثانوية وليست هي الأصل.

(﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾) هذا الحق لله ﷻ حقٌ عظيم لعظيم، هذا فيه تعظيمٌ لهذا الحق.

ثانيًا: فيه إيهام للإخلاص: (﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧]) لا تقصد بحجك غرضًا آخر لا لا، هذا الحج لا يكون إلا لله ﷻ.

(﴿وَلِلَّهِ﴾) تقديم ما حقه التأخير يُفيد الحصر والاختصاص عند أهل البلاغة، وإلا أصل الجملة هذا يكون مؤخر ما دام أن الله ﷻ قدم هذا فهذا فيه بيان أولًا: فرضية هذه العبادة.

ثانيًا: أنها لا تكون إلا لله ﷻ.

(﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾) أيضًا التيسير : (﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾) هذا من باب التيسير، وهذا عامٌ في جميع العبادات، ولكن ذُكر هنا مع أن هذه قاعدة عامة ذُكرت هذه القاعدة هنا لأنه قد يُظن أن هذه العبادة ليست مثل الصلاة والصيام تتكرر، هي فرضٌ على العبد مرة واحدة في السنة، قد يُظن أنها فرضٌ على العبد في جميع الأحوال سواءً استطاع أو لا، لأنها مرة واحدة في السنة لذلك أكد الله ﷻ، فهذه العبادة التي هي فرضٌ في العُمر مرة واحدة مع ذلك نفس القاعدة: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[البقرة:٢٨٦] حتى هذه العبادة التي هي فرضٌ في العُمر مرة واحدة.

(﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]) الذي لا يقبل هذا: (﴿وَمَن كَفَرَ﴾) إذًا هذا كافر، (﴿فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]) هو لو حج ما الذي أفاد الله ﷻ، ولما حَرم نفسه من هذا ما الذي أضر به غيرَهَ؟ فإحسانه لنفسه وضرره على نفسه.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لا زلنا في الأصل الثاني، وهو (**معرفة العبد دينه**).

وذكر المؤلف أن الدِّين له ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: الإسلام.

والمرتبة الثانية: الإيمان، وهو بضعٌ وسبعون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شُعبةٌ من الإيمان.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاَهَا قَوْلُ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؟

قال الشارح وفقه الله:

الإيمان لغةً: التصديق والإقرار.

اصطلاحًا: قولٌ وعملٌ واعتقاد.

هذا إذا ذُكر الإيمان بمفرده، فإنه يشمل الإسلام، وهو كما قلت: قولٌ وعملٌ واعتقاد.

أما إذا ذُكر مع الإسلام، فينصرف إلى الأعمال الباطنة، أو إلى ما يتعلق بالباطن، الإسلام الأعمال الظاهرة، والإيمان الأعمال الباطنة.

وهنا هو مقرون بالإسلام، وبالتالي سبق ما يتعلق بالإسلام، وما يتعلق بالإيمان سيكون بإزاء الأعمال الظاهرة، وهذا الذي يقتضيه اقتران الإسلام بالإيمان واقتران الإيمان بالإسلام هذا يقتضي أن

يكون تعريفه غير الذي ذكره المؤلف هنا، المؤلف هنا عرَّفه بالتعريف الذي يكون له حال انفرادِهِ، لأنه يقول: «**وهو بضعٌ وسبعون شُعبة**» هذا هو الإيمان الذي يشمل الأقوال والأعمال والاعتقاد، وهو في تعريفه ثلاثي: قولٌ وعملٌ واعتقاد، وهذا الذي ذهب إليه المؤلف هنا هو لأن الإيمان مرتبة أعلى من الإسلام، فالإيمان يتضمن الإسلام وزيادة، وإلا في سياق الذكر مراتب الدِّين ينبغي أن يكون تعريفه مُقتصرًا على الأعمال الباطنة.

ما دام أن المؤلف قال: (وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً)، معناه: أنه يُريد الإيمان الذي يشمل الأقوال والأعمال والاعتقادات، ذلك الإيمان هو الذي يُقال عنه: أنه بضعٌ وسبعون شعبة، أما الإيمان حال اقترانه بالإسلام فلا يُراد به إلا الأعمال الباطنة.

يقول: (وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً)، الشُّعبة: هي طائفة الشيء أو كذا من الشيء، وعلى ما ذكر المؤلف هنا وهو مقتبس من الحديث وهو بضعٌ وسبعون شعبة، بضع وسبعون أو بضعٌ وستون، أو العكس، هكذا ورد في الحديث، الحديث أخرجه البخاري بلفظ: (بضعٌ وستون) وورد عند مسلم في رواية أخرى بالشك: «**بضعٌ وستون، أو بضع وسبعون شُعبة**».

إذًا المتيقن كم يكون؟ بضعٌ وستون، أما الزائد فهو مشكوك ورد فيه بالشك لذلك يقول الحافظ ابن حجر: إن المعوَّ على المُتيقن وهو الأقل وهو بضعٌ وستون شُعبة، فأعلاها قول: «لا إله إلا الله» هذا الذي ذكره المؤلف هذا لفظ الحديث: الإيمان بضعٌ وستون شُعبة، أو بضعٌ وستون أو سبعون، هذا لفظ الحديث. (أَعْلاَهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»)، ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا ثلاث شُعب:

شُعبة قولية.

وشُعبة عملية.

وشُعبة قلبية.

أما الشعبة القولية: فأعلاها: قول: لا إله إلا الله، هذه الشعبة هي شعبة قولية، وهذه الشعبة كما في

الحديث هي أعلا الشعب، لأن الشُّعب كلها مبنيةٌ على لا إله إلا الله.

وعلى هذه الشعبة تقيس بقية الأعمال التي تتعلق بالقول، هذا نموذج شُعبة من الشُّعب القولية.

(وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ)، هذه شُعبة من الشُّعب وهو أدنى الشُّعب، وهذه الشعبة تتعلق بالشعب العملية، أعلا الشُّعب العملية الصلاة، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، إذًا هذه شُعبة من شعب الإيمان، والحياء شُعبة من الإيمان، هذا مثالٌ للشعب القلبية، ذكر أعلا الشعب وأدنى الشعب، وذكر شُعبة بين الشعبتين، وهذه الشعبة التي هي مثال للشعب القلبية وهي الحياء هي شعبةٌ عظيمةٌ جدًا.

والحياء: اصطلاحًا غيرزةٌ تحمل المرء على فِعل ما يُجمل ويُزين أو يَجمل ويزين، ويمنعه من فعل ما يُدنس ويَشين.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن الحياء لا يأتي إلا بخير، وهذا في الحديث المتفق عليه.

والحياء أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمُها قدرًا، بل إن الحياء خاصةُ الإنسانية، ورد في الحديث: «**إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**». أخرجه البخاري.

إذًا في الحديث ذِكر الشُّعب شُعبة من الشعب القولية، وشُعبة من الشعب الفعلية وشُعبة من الشعب القلبية مما يدل على أن الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقاد.

هذا الحديث من الأدلة التي تدل على أن الأعمال من الإيمان، وأن الأعمال داخلة في مُسمى الإيمان، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الإيمان بضعٌ وستون شُعبة، أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شُعبةٌ من الإيمان**»، هذا معناه: أن هذه الشُّعب كلها داخلةٌ في الإيمان.

إذًا من يقول: أن الإيمان هو اعتقاد فقط أو الإيمان هو التصديق فقط كما هو مذهب جمهور المتكلمين يُرد عليه بأدلةٍ كثيرةٍ جدًا من القرآن والسنة منها: هذا الحديث.

بالنسبة للشُّعب هذه: «**بضعٌ وسبعون شُعبة**» هناك من العلماء من صنَّف في شُعب الإيمان، منهم الحليمي أو الحُليمي شَيْخُ الْإِسْلَامِ البيهقي توفي سنة أربعمائة وثلاثة له كتاب في «شُعب الإيمان» وهو مطبوع.

تلاه تلميذه الإمام البيهقي توفي سنة أربعمائة وثماني وخمسين، وكتابه أيضًا مطبوع، والغالب على العلماء أنهم يقسمونها أثلاثًا شُعب الإيمان، لأن كما ورد في الحديث: هناك شعب قولية وشُعب عملية وشُعب قلبية، هم يقسمونها أثلاثًا للشُعب القولية نحوًا من خمسٍ وعشرين شُعبة، والشُّعب العملية نحوًا من خمس وعشرين شُعبة، كم صارت؟ خمسين.

ولأعمال القلوب نحوًا من سبع وعشرين شُعبة كم صارت؟ في هذا الحدود.

في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بِضْعٌ وَسَبْعُونَ) البضع من الثلاثة إلى التسعة: (جاءني بضعة رجال) يعني ما بين ثلاثة إلى تسعة يُطلق على أربعة وعلى خمسة وعلى ستة وعلى سبعة، إذًا سبع وسبعين بضعٌ وسبعون شُعبة.

على كل حال: يزيدون أو ينقصون في حدود هذا، وأعظمُ هذه الكتب التي أُلفت في شُعب الإيمان هو «شُعب الإيمان» للإمام البيهقي وهو مطبوع طبعات عديدة في الطبعة الهندية في حدود عشرين مُجلد، وهذا الكتاب كتابٌ عظيم جدًا يذكر مثلًا الحياء ويذكر الأدلة الواردة في هذه الشعبة من الكتاب والسنة والآثار، فهو كتابٌ عظيم.

ما فائدة هذه الشُّعب؟

شخث مثلًا أحاط بهذه الشّعب علمها وعمِل بها إيمانه كلما عمل بهذه الشعب وامتثلها وتمثلها يكون إيمانه أعلا، والإيمان يتفاوت، فهناك إيمانٌ كامل، وهناك إيمانٌ متوسط، أدنى الإيمان.

وبالتالي من أراد أن يزيد إيمانه فلينظر في مثل هذه الكتب حتى يتعلَّم شُعب الإيمان ويعملَ بها، وهي كما قلت: كُتب الحمد لله متوفرة، هذه الفائدة ذكرها عن تقسيم الشعب ومنهج المؤلفين في الشعب هذه ذكرها الشيخ صالح آل الشيخ، وذكر أيضًا أن هذا اجتهاد يختلفون فيه.

(وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ) نحن لما نقول: علم العقيدة أصول العقيدة هي هذه الأركان، فإذا قيل لك: ما هي أصول عقيدتك أو عقيدة الإسلام؟ ماذا تقول؟ كم هي؟ ستة، وكل الطوائف لهم أصول عقيدتهم أهل السنة والجماعة أصول عقيدتهم هذا الذي ورد في حديث جبريل، وهذا الذي ورد في الأدلة التي

سيذكرها المؤلف.

بعض الطوائف أصول عقيدتهم خمسة، مثلًا المعتزلة أصول عقيدتهم خمسة:

- التوحيد، هكذا يقولون، مع أن التوحيد هو التعطيل، التوحيد.

والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبعض الطوائف أصول عقيدتهم أو أصول إيمانهم أربعة:

العدل والتوحيد والإمامة والنبوة ... وهكذا.

ولكن **أهل السنة والجماعة** يتقيدون بالأدلة، لا تجعل بكيفك أصل من الأصول لا، الأصل يكون ما يكون أصلًا عند الشَّارع، ولا يُجعل أصلًا إذا إذا كانت هناك أدلة وهي هذه.

(**وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ**)، الإيمان بالله ﷻ أعظمُ الأركان الستةِ، وعلى هذه الركن أساس بقية الأركان، والإيمان بالله ﷻ يتحقق بتحقيق التوحيد، والتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- ❖ توحيد الربوبية.
- ❖ وتوحيد الألوهية.
- ❖ وتوحيد الأسماء والصفات.

وتحقيق التوحيد هو تحقيق الإيمان بالله ﷻ.

قوله: (**وَمَلائِكَتِهِ**) تؤمن بملائكة الله ﷻ، وبقية الأركان ترجع إلى هذا: (**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ**) كلها مؤسسة على هذا الركن.

قوله: (**وَمَلائِكَتِهِ**) يكفي في الإيمان بالملائكة أن تعتقد أن هناك مخلوقون خلقهم الله ﷻ لتدبير أمرِه الكوني والشرعي، وهم عبادٌ مُكرمون، لا يعصون ما أمرهم الله ﷻ، الله ﷻ أقدرهم على أمورٍ لا نقدر عليها، وهم مُسخرون لعبادته وأيضًا لتدبير أمرِهِ، هذا إجمالًا.

أما التفصيل: فكل ما ورد في الكتاب والسنة عن أسمائهم وعن أفعالهم ووظائفهم مرتبتهم مراتبهم كل ما ورد في الكتاب والسنة إذا حصل لك علمٌ بشيءٍ من هذا تؤمن به.

مثلًا شخص ما يدري أن ملكًا من الملائكة له ستمائة جناح، ما يدري ما وصله العلم، هل تقول: أنه منكرٌ لأصول الإيمان؟ لا، ولكن شخصٌ اطلع على الدليل بعد ذلك أنكر.

(وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ) لابد أن تعتقد أن الله ﷻ قد أنزل كُتبًا على رُسله، وهذه الكتب فيها الهداية وفيها ما يكفي لهدايتهم وسعادتهم في الدَّارين، وهذه الكتب التي أنزلها الله ﷻ كلها حق، هذا إجمالًا، وتؤمن بالكتاب الذي أُنزل على نبينا تؤمن به إيمانًا مُفصلًا، لأنك مُتعبد بكل ما في هذا الكتاب، ولابد أن تعتقد أنه كتاب الله ﷻ أنزله بعلمه وأنه كلامه ألفاظًا وحروفًا ومعاني، لابد أن تعتقد بهذه الأمور كلها.

(وَرُسُلِهِ) لابد أن تعتقد أن الله ﷻ قد أرسل لهداية البشر أرسل رُسلًا وهم المصطفون من عبادِه أكرمهم برسالته ليس لهم من الأمر شيء، إنما هم مُبلغون عن الله ﷻ.

وكذلك الملائكة عبادٌ مُسخرون ليس بيدهم شيء، لا يقدرون على التصرف في شيء إلا بإذن الله ﷻ.

(وَاليَوْمِ الآخِرِ) بالنسبة للرُّسل تعتقد هكذا إجمالًا وتعتقد مُفصلًا فيما يتعلق بآخرهم وخاتمهم وهو نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه مُرسلٌ إلينا، وأن الإسلام الذي جاء به نحن مُكلفون به جُملةً وتفصيلًا.

(وَاليَوْمِ الآخِرِ) لابد أن نعتقد أن هناك يومٌ آخر يُجزى فيه المُحسن على إحسانه والمُسيء على إساءته يُثاب المُحسن على إحسانه، ويُعاقب المُسيء على إساءته، وهناك يومٌ آخر لابد أن يقع وهو اليوم الآخر، وهذا اليوم فيه الحساب والكتاب، وهذا اليوم ما يتعلق باليوم الآخر يبدأ مع الموت، كلما يكون بعد الموت من حالة الاحتضار -نسأل الله أن يلطف بنا- من حالة الاحتضار بعد ذلك ما يكون في القبر، بعد ذلك ما يكون في البعث، في العرصات، وفي الصِّرَاط، بعد ذلك بعد النتيجة هذا كله يدخل في اليوم الآخر، لأن من مات فقد قامت قيامته، لذلك ما يتعلق بعذاب القبر ونعيمه يدخل في هذا الإيمان باليوم الآخر.

وكذلك تلك العلامات التي تدل على قُرب يوم القيامة أشراط الساعة، وهي أشراط صُغرى ووسطى وكُبرى، هذا كله يدخل في الإيمان باليوم الآخر.

(**وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**) الإيمان بالقدر إجمالًا يحصل بأن تعلم وتعتقد أن كل شيءٍ يحصل في هذا العالم قد سبق به القدَر، وأن الله ﷻ علم هذه الأحوال وهذه الأمور وكتبها عنده.

وتفصيلًا: لابد أن تؤمن بأربع مراتب حتى تكون مؤمنًا بالإيمان بالقدر:

العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

لابد أن تؤمن بعلم الله الشامل المُحيط، ولابد أن تؤمن بأن الله ﷻ قد كتب كل شيء ليس هناك شيء يقع إلا وهو مكتوب من حركات وسكنات من العوالم العلوية والسفلية، كل شيء شخص عدد أنفاسه وكل شيء وعدد ذرات هذا الكون وكل شيء مكتوب العلم والكتابة.

المرتبة الثالثة: كل ما يكون في هذا الكون لا يخرج عن مشيئته الكونية، هذه المشيئة الكونية الإرادة الكونية، المشيئة لا تكون إلا كونية، الإرادة تنقسم إلى قسمين:

إرادة كونية.

وإرادة شرعية.

كل ما يحصل لا يخرج عن مشيئته الكونية.

المرتبة الأخيرة: جميع المخلوقات مخلوقون لله ﷻ حتى أعمال الإنسان، أعمالُنا هي أفعالُنا، ولكنها مخلوقة لله ﷻ، لماذا؟ لأنها تكون بالإرادة الجازمة وبالقدرة المخلوقتين لله ﷻ.

أفعال العباد تكون بماذا؟ أنت لما تفعل شيء تُريده وتقوم به بالاستطاعة والقدرة التي أودعها الله ﷻ فيك، أليست القدرة مخلوقة لله ﷻ، والقدرة مخلوقة لله ﷻ، ولذلك أفعالك هي خلقٌ لله ﷻ، ولكنها تُنسب إليك فعلًا هي أفعالك، ولأنها أفعالك تُثاب على حسنها وتُعاقب على سيئها.

العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، هذه المراتب الأربعة لابد أن تؤمن بها حتى تكون مؤمنًا بالقضاء والقدر.

(**ونؤمن بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**)، هل هناك في أفعال الله ﷻ، هل هناك شرٌ في أسماء الله ﷻ؟ هل هناك شرٌ في صفات الله ﷻ؟ الجواب: لا، إذًا ما معنى هنا: (**أن تؤمن بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**)؟ الشر هنا يرجع إلى

الإنسان، ما هو الشَّر؟ كل ما يؤلمك فهو شر، نحن نقول: هذا شر لماذا؟ يزعجك ويؤلمك، كل ما يؤلمك فهو شر، ليس هناك شرٌ في أسماء الله سبحانه وصفاته وأفعالِهِ، ولكن الشر يكون في مخلوقاتِهِ، كيف يكون، أنا أضرب لكم مثال:

بالنسبة للثعبان لا نستطيع أن نقول: أن خلق هذا النوع من المخلوقات شرٌ محض لماذا؟ نحن ما ندري عن المصالح الكثيرة التي تكمن وراء خلق هذا النوع من المخلوقات، مصالح كثيرة ما ندري عنها، العلم الحديث والتجارب أظهرت بعض هذه المصالح وما يخفى أكثر، إذًا خلقه ليس شرًا، فلانٌ من الناس لدغته الثعبان بالنسبة له شر، لأنها آلمته، ونعوذ بالله منها في الدنيا والآخرة.

الشر هنا نسبي يرجع إلى هذا المخلوق، وإلا خلق هذا النوع الثعابين خلقه عمومًا فيه من المصالح ما لا ندري عنها، لذلك الشر ليس في أسماء الله ﷻ وليس في صفاته، وليس في أفعاله، ولكن الشر يكون في مخلوقاته.

بعبارة أخرى: القدر له جانبان:

* جانبٌ يتعلق بالله ﷻ من حيث كونه فِعلًا له، وهو بهذا خيرٌ كلُّه، لأن القدر هو تقدير الله ﷻ وهو فعله، وهو بهذا خيرٌ كله.

* وجانبٌ يتعلق بالمقدور، وتعلقه تعلق المقدور بالعباد، وهو بهذا قد يكون بعضه شرًا بالنسبة لبعض المخلوقين.

هذا معنى: (**وتؤمن بالقَدر خيرِه وشرِّه**).

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

كنا مع المرتبة الثانية من مراتب الدِّين وهي: (الإيمان).

ذكرنا تعريفًا الإيمان لغةً واصطلاحًا، وأن الإيمان له ستة أركان، وتم استعراضها في الدرس الماضي، وتوقفنا عند بداية التدليل على تلك الأركان الستة.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وَدَلِيلُ القَدَرِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ-رُكْنٌ وَاحِدٌ-وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ۞ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية [يونس: ٦١].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ المَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَومٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ، فَقَالَ: الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ

يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ.

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ.

قال الشارح وفقه الله:

في هذه النصوص ذكر الشيخ محمد آيتين أو جزء من الآيتين فيهما ذِكر الأركان الستة.

بالنسبة للآية الأولى: (﴿لَّيْسَ الْبِرَّ﴾) أي ليس البر المقصود من العباد، البر يأتي بمعنى الإيمان، البر والإيمان، والدِّين هذه كلها تأتي لمعانٍ مُتقاربة، والإيمان ذكرت أن له إطلاقان:

إطلاقٌ عام، وإطلاقٌ خاص.

الإيمان لما يُذكر مع الإسلام يكون أخص، ولما يُذكر بمفردهِ يشمل الإسلام، وبهذا المعنى أيضًا البِر وكذلك الدين، البِر يشمل هنا ما يشمله الإيمان.

يقول الله ﷻ: (﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾) اسم ليس يكون مرفوعًا وخبره يكون منصوبًا، فهنا البر منصوب، إذًا يكون خبر (ليسَ) وما بعده يكون اسم ليسَ، (**ليسَ زيدٌ قائمًا**) يعمل عمل (كان) (**كان زيدٌ قائمًا**) هذه من حروف النواسخ تدخل على المبتدأ والخبر وتُغير إعراب المبتدأ والخبر.

إذًا (﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾) البر هنا خبر، والخبر قُدم هنا، ما دام قُدم الخبر إذًا هناك شيء الترتيب لما يُغير يكون هناك معنى مقصود.

يقول الله ﷻ: البر ليس منحصرًا في توليكم وجوهكم قِبل المشرق والمغرب، تولي الوجوه قِبل المشرق والمغرب هذا بِر هذا من الإيمان، نحنُ لما نُصلي نولي وجوهنا إلى القبلة وهذا إيمان، يقول الله ﷻ: ليس هذا هو الإيمان فقط، ولكن البرَّ على المعنى الصحيح: (﴿مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]) من يكون إيمانه بهذه الأمور إيمانًا كاملًا فهذا هو الذي عَمِل

بالبِر.

هُنا ذكر الله ﷻ الإيمان بالله واليوم الآخر، والملائكة والكتب والنبيين والكتاب، الكتاب مُفرد، والكتب التي أُنزلت على الأنبياء والرُّسل كثيرة، الكتب كثيرة والكتاب هنا مُفرد، وهو اسم جنس يشمل جميع الكتب، اسم جنس يكون معناه: معنى الجمع ولكن الصيغة لا تكون صيغة الجمع، والكتاب أي جنس الكتب وهي كثيرة.

إذًا من آمن بالله ﷻ وبهذه الأمور فأعماله هي التي تكون معتدةً شرعًا.

الإيمان بالقدر داخل في الإيمان بالله ﷻ، فلذلك أركان الإيمان بعضهم يقولون: أركان الإيمان خمسة، وبعضهم يقولون: أركان الإيمان ستة، ونحن ماضون على الترتيب الذي ورد في حديث جبريل، سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال له: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيرِه وشرِّه». نحن ماشين على ترتيب حديث جبريل.

ولكن الذي يجعل هذه الأركان خمسة يُدخل القدر في الرَّكن الأول، ما هو القدر؟ القدر كما قال الإمام أحمد قُدرة الله ﷻ، القدر هو تقدير الله ﷻ للأشياء، وكتابتها حسب علمِهِ، ووقعها حسب ما قدرها الله ﷻ، إذًا هو داخلٌ في الركن الأول، ولكن كما قلت: نحن ماشين على ترتيب حديث جبريل، وفيه ذِكر القدر لحالِه، ولذلك ذكر المؤلف هنا دليلًا آخر لهذا الرُّكن: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩])، التنوين هنا للتعميم، و(كُل) أيضًا من صيغ العموم، إذًا كل موجود فهو مخلوقٍ لله ﷻ ليس هناك شيءٌ خارجٌ عن كونِهِ مخلوقًا لله ﷻ: (﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]).

وهذا الذي ذكره الله ﷻ هنا شاملٌ لجميع المخلوقات سواءً كانت في العوالم العلوية وسواءً كانت في العالم السُّفلي، كلها مخلوقةٌ لله ﷻ بقدر، أي أن ما خلقناه مُقدرٌ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ بما سبق به علمنا وجرى به قلمُنا بوقتها ومقدارها وجميع ما اشتملت عليه من الأمور.

إذًا كل ما يحصل يحصل حسب علم الله ﷻ وحسب كتابته.

سبق أن ذكرت أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يتم إلا بالإيمان بأربعة أمور:

- الإيمان بعلم الله الشامل المُحيط.
- والإيمان بعلم كتابته، وأنه كتب كل شيء في اللوح المحفوظ.
- والإيمان بعموم مشيئته، وأن كلما يكون يكون بمشيئته الكونيَّة.
- والإيمان بعموم الخلق، وأن الخلق كُلهم المخلوقات كلها مخلوقةٌ لله ﷻ.

هذه هي المرتبة الثانية: (**وهي مرتبة الإيمان**).

(**المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ**) **من مراتب الدِّين**: (**الإِحْسَانُ**).

المرتبة الأولى: الإسلام.

المرتبة الثانية: الإيمان.

المرتبة الثالثة: الإحسان.

بالنسبة للإحسان هي أضيق المراتب بالنظر إلى أصحابها، ولكن أعم هذه المراتب من جهةِ نفسها.

بالنسبة للمرتبة الأولى: (الإسلام)، الإسلام ثم الإيمان، ثم الإحسان.

الإحسان يدخل فيه الإسلام والإيمان، فأيُّهما أعم من جهةِ نفسها؟ ما دخل فيه غيره هو الأعم، الإحسان يشمل الإيمان والإسلام، ولكن المُحسنين هم أكثر وإلا المؤمنون، والمؤمنون أكثر وإلا المسلمون؟ إذًا هذه المراتب كل مرتبة منها الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان، الإحسان بالنظر إلى نفسِهِ فهو أعمُّ هذه المراتب، وبالنظر إلى أصحابه فهو أضيق هذه المراتب، لأن المحسنون قلَّة، ثم المؤمنون، ثم بالنظر إلى نفسها هي أعم، لأنها تشمل ما دونه، وبالنظر إلى أصحابها ....

الإسلام لابد فيه من إيمانٍ يُصحح به الإسلام، لابد في الإسلام من الحد الأدنى من الإيمان حتى يكون الإيامن صحيحًا، ولكن المُسلم لا يلزم أن يكون مؤمنًا، والمؤمن لا يلزم أن يكون مُحسنًا، لأن المُحسن لا يكون إلا مَن جمع بين كمال الإيمان وكمال الإسلام، من يكون المحسن؟ من جمع بين كمال الإيمان وكمال الإحسان، ولذلك هذه الدرجة هي فوق الدرجات، أتمُها وأكملها وأفضلها

وأعلاها هي درجة الإحسان، لأن الإحسان نهاية الإخلاص، والإخلاص معناه: إيقاع العمل على أكمل وجوهه ظاهرًا وباطنًا، ظاهرًا حسب السنة باطنًا بالإخلاص لله ﷻ، والإحسان يُفسر بالتقوى.

يقول الله ﷻ في بداية سورة لقمان: ﴿الم ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ۝٣ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾[لقمان]، قارن هذا بما ورد في بداية سورة البقرة: ﴿الم ۝١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾[البقرة:٢]، هنا: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾، وهناك: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ هنا: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾[البقرة:٥]، وهناك: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾[لقمان:٥].

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ وهناك هُدى: ﴿هُدًى للمُتقين﴾، إذًا التقوى والإحسان مترادفان، والإحسان والتقوى -كما قلنا- أعلى مرتبة، لماذا هي أعلى مرتبة؟ لأنها تتضمن ما دونها من المراتب، بل تتضمن كمال المرتبتين السابقتين الإسلام والإيمان.

إذًا المسلمون أكثر ثم المؤمنون، لأن المؤمن فيه إسلامٌ وزيادة، ثم المُحسنون، لأن المُحسن فيه إسلامٌ وإيمانٌ وزيادة.

المرتبة الثالثة: (الإحسان). وكما قلنا: الإحسان أعلى المراتب، وأعمُّها من جهةِ نفسها وأخصها من جهةِ أصحابها؛ لأن أصحاب الإيمان أقل، وأصحاب الإيمان أكثر من الإحسان، وأصحاب الإسلام أكثر من الإيمان والإحسان، إذا أخذت هذه الدرجات من أعلاها هكذا.

بالنسبة للإسلام اعكسها أخصُّها من جهةِ نفسها كما أن الإحسان أعمُّها من جهةِ نفسها.

والإيمان أعم من جهةِ نفسه وأخص من جهة أصحابه، ولذلك يُقال: كل محسنٍ مؤمنٌ مُسلم،

وليس كل مؤمنٍ مُحسنًا، وكل مُسلمٍ ليس كل مسلم مؤمنًا، وكل مؤمنٍ مسلم.

ذكر المؤلف أن الإحسان له ركنٌ واحد، فذكرنا أن الإسلام له خمسة أركان، والإيمان له ستة أركان، والإحسان له ركنٌ واحد.

وتعريف هذا الرُّكن: (وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

أن تعبد الله ﷻ كأنك تراه إجلالًا ومهابةً وحياءً ومحبةً وخشيةً.

(وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ) لما تعبد الله ﷻ كأنك تراه من هذه النواحي التي ذكرتُها من حيث الإجلال والمهابة والحياء والمحبة والخشية، فهذه العبادة هي هي الإحسان، وهي الدَّرجة العُليا والقِمَّة في الدِّين، ولا يصل إلى هذه الدَّرجة إلا من كان دائم المُراقبةِ لله ﷻ، هذه الدرجة وهذا المقام مقام الإحسان يعظُم بعظم مراقبة الله ﷻ وتضعف بضعف مراقبته، لا يصل إلى هذه الدرجة إلا الخُلص، ولذلك المُحسنون هم أقلُّ المسلمين يليهم المؤمنون ويليهم المسلمون.

(فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

❖ **الدرجة الأولى**: أن تعبده كأنك تراه، وإن لم يكن قد وصل الإنسان إلى هذه الدَّرجة فلا أقل أن يعبده وهو يتيقن أنه يراه.

أنت لما تعبد الله ﷻ وتعتقد وتوقن أنه الآن يراك فرق بين هذه الحالة وبين الحالة التي نحنُ عليها، هناك شيءٌ من ألا مُبالاة وعدم استحضار مقام الذات الإلهية التي أنت تعبدها، ولذلك الناس يتفاوتون في هذا المقام تفاوتًا عظيمًا حسب الاستحضار، وحسب المراقبة.

(أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ) فرق بين هذا وبين ما يقوله الصوفية: أن تعبد الله وأنك تراه، هناك (كأنك تراه) وليس (وأنك تراه) فالله ﷻ لا يراه أحدٌ في هذه الدُّنيا حتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الراجح من الأقوال أنه لم يره بعيني رأسه، إنما يراه المؤمنون يوم القيامة، ورؤيته يوم القيامة أعظمُ نعيمٍ يُنعم بها المؤمنون، ونسأل الله بأسمائه وصفاته أن نكون منهم.

(﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]).

المعية تنقسم إلى قسمين:

- معية عامة.

- ومعية خاصة.

أما المعية العامة: فهي التي تقتضي الاطلاع والتدبير، هذه المعيَّة أعَم.

والمعية الخاصة: هي التي وردت هنا: (﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨])؛ أي: معهم بحفظه وكلاءته وتأييده.

أما المعيَّة العامة: فالله ﷻ مع الجميع، بمعنى أنه مُطلعٌ عليهم، لا يخفى عليه شيءٌ من أمورهم، وأنه هو الذي يُدبر أمورهم.

أما المعية التي تقتضي التأييد والإحسان والحفظ فهذه معيّة خاصة، (﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]) مُحسنون في عبادتهم ومُحسنون أيضًا بإحسانهم إلى الخلق يشمل هذا وهذا.

ويقول الله ﷻ: (﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾) ذكر هنا اسمين كريمين من أسماء الله ﷻ: (﴿الْعَزِيزِ﴾) العزيز: هو الذي لا يُغالبه أحد، فأنت لما تتوكل على مَن لا يستطيع أن يحفظك ولا يستطيع أن يدفع عنك السوء، فلم تستفد في توكلِه تتوكل على الله ﷻ، وتستحضر أنه عزيز، لا يُغالبه أحد، مع عزته ومع قُدرته هو رحيم، هذا المعنى الجمع بين هذين الاسمين هنا أنسب ما يكون لهذا المَقام تتوكل على الله ﷻ الذي لا يُعجزه شيء، وتتوكل عليه أيضًا؛ لأنه أرحم بعباده من أمهاتهم عليهم، لذلك يقول: (﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾) أي حين تقوم للعبادة، (﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾) أي يراك في صلاتك في حال ركوعك وسجودك وقعودك فيها.

الله ﷻ يرى عباده في جميع الأحوال خصَّ هذه الحالة: (﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾) خصَّها بالذكر لأنها هي حالة الصلاة، خصها بالذكر لفضلها وشرفها، لأن من استحضر فيها قُرب ربِّه خشع وذل

وأكملها، وبتكميلها يكمُل سائر عمله، ويستعين بها على جميع أمور.

(﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾) توكل عليه؛ لأنه هو الذي يسمع، وهو الذي يعلم جميع حركاتك مع رؤيته لك.

وقوله: (وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾) هذا أيضًا من أدلة الإحسان.

هنا: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ هذا كله ذكره دليلًا على الإحسان، لأنه قال في تعريف الإحسان: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

(﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾) أي من عملٍ من الأعمال، (﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ﴾) أي ما تتلوا أي آيةٍ من القرآن، (﴿وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾) أي أي عملٍ النكرة هنا للتعميم، (﴿إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾) أي نحن مُشاهدون ومُطلعون على ذلك كلِّه، ومُطلعون على جميع أحوال العباد في حركاتهم وسكناتهم، (﴿إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية [يونس: ٦١]) أي وقت شروعكم فيه واستمراركم على العملِ به إلى حينٍ انقضائكم منه، كل ذلك فالله ﷻ مُطلع عليكم.

إذًا إذا لم تكن قد وصلت إلى هذه الدرجة، وهي: أن تعبد الله كأنك تراه، فلا أقل أنْ تستحضر رؤيته لك في جميع الأحوال.

(وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ المَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ) هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، هو متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة، وانفرد بروايته الإمام مسلم من رواية عمر بن الخطاب، وهذا الحديث من الأحاديث التي رواها عبد الله بن عمر عن والده عمر بن الخطاب، وهو أول حديثٍ في «صحيح مسلم» من رواية عمر بن الخطاب، وهو متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة.

يقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين طُعن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذي الحجة لأربعين بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين من الهجري.

وفاته: أول سنة أربع وعشرين من الهجرة.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: («**بَيْنَمَا نَحْنُ جلوسٌ**) (بينما) أو (بينا) هذه الكلمات تدل على المفاجأة، أي هذا الذي حصل حصل فجأة بدون ممهدات وبدون أن تكون لها مقدمات.

(**بَيْنَمَا نَحْنُ جلوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ذَاتَ يَومٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ**) (إذ) تدل على المفاجأة، رجلٌ ما من وصفه أنه كان (**شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ**) وهذا الوصف يدل على أنه ليس مُسافرًا لأن المسافر يكون رث الثياب، وتكون حالته حالة، أما هذا الشديد بياض الثياب (**شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ**) كل هذه الأوصاف مدعاةٌ للاستغراب، (**وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ**) لا يعرفه من أهل المدينة أحد، وحالته تدل على أنه لم يأت من السفر أغرب من هذا (**حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ذهب مباشرةً وجلس عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا المقام عادةً لا يفوز به ولا يسعد به إلا المقربون، هذا ذهب مباشرةً وجلس عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس هذا فقط: («**فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ**») الضمير يرجع إلى جبريل («**عَلَى فَخِذَيْهِ**») الضمير يرجع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

طبعًا اختلفوا في قوله: (**وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيه**) (على فخذيه) الضمير يرجع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو إلى هذا الرجل؟ ورد حديث صحيح في «مسند الإمام أحمد» فيه تحديد هذا الضمير: «**ووضع كفيه على فخذي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**» هذا كله كما قلت: يدل على أنَّ الرجل واثق من عملِهِ، وكان كل ما فعله مدعاةً للاستغراب (**وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ**») ناداه باسمه الخاص ولم يُناده بالرسالة، («**أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ، قَالَ**) في بعض النسخ (فقال) الذي قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («**أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**») أخبره عن الإسلام.

في هذا الحديث الإسلام والإيمان مذكوران مقترنين، وأنا ذكرت لكم سابقًا: أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا تفرقا وإذا تفرقا اجتمعا، إذا ذُكر الإسلام لوحده يدخل فيه الإيمان، إذا ذُكر الإيمان لوحده

يدخل فيه الإسلام، أما إذا ذُكر الإيمان والإسلام في موضع واحد فالإسلام يُراد به الأعمال الظاهرة، والإيمان يُراد به الأعمال الباطنة لاحظ هنا: ((«أَنْ تَشْهَدَ») ذكرنا سابقًا أن الشهادة لابد فيها من مواطئة القلبِ لما تتلفظ به لابد من هذا، الفرق بين الشهادة والقول: أن الشهادة لابد فيها من موافقة القلبِ لما تقوله.

ولذلك لا يجوز أن تقول: أقول: لا إله إلا الله، وإنما (أشهد) الشهادة فيها هذا المعنى: (**أن تشهد أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**) الشهادة تكون بالقول، فهذا عمل، (**وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**») هذا الإسلام هكذا أجاب.

قال: (**قَالَ: صَدَقْتَ**) يقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: («**فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ**») عادةً الذي يسأل يكتفي بالجواب، أما أن يقول: صدقت فهذا معناه أنه عالمٌ بالجواب مُصدقًا به، الذي يعلم الجواب هو الذي يقول صدقت أو كذبت، أما الذي ما عنده علم، يتلقى الجواب وانتهينا، فهذا الرجل الغريب لما سأله ثم قال: تعجبنا يسأله ويُصدقه، لأن التصديق شأن من يعلم الجواب.

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) سبق أن ذكرنا أن الشر يرجع إلى الإنسان، ويرجع إلى المقدور، أما القدر ليس فيه شر، لأن القدر تقدير الله ﷻ والقدر هو فعل الله ﷻ، وليس هناك شرٌ لا في أسمائه ولا في صفاته، ولا في أفعالهن ولكن هذا المقدور قد يكون شرًا بالنسبة إلى بعض الناس، وذكرت لكم مثالًا الثعابين هذه نحن ما ندري ما هي الحِكم التي أودعها الله ﷻ فيها ما ندري، علمنا بعضها ولكن ما نجهله أكثر، ولكن إذا لدغ الإنسان، فهذا بالنسبة له شر، لأن الشر هو الألم، الشر هو الألم أو ما يُسبب الألم، فبالنسبة لهذا شخص، ولكن هل خلق هذا النوع من المخلوقات شر هكذا لا، ليس شرًا، لأن فيه من الحِكم ما لا يعلمه إلا الله ﷻ.

(القدر خيره وشره) أي بالنسبة للإنسان، أما بالنسبة إلى من قدَّره فهو خيرٌ محض.

قال: («**قَالَ: صَدَقْتَ**». **قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ

يَرَاكَ») (كأنَّك تراه) أي يغلب عليك مشاهدة هذا بقلبه حتى كأنك تراه بعينك، هذا قمَّة الإخلاص، ومن كان كذلك فإنه يأتي بالعبادة على التمام والكمال.

(«فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ») أي إن لم تستحضر أنك ترى الله ﷻ انتقل إلى المرتبة الثانية، وهي أن تستعشر أن الله ﷻ الآن يراك وهو مُطلعٌ عليك في كل ما تعمل.

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ) المسؤول عنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسائل هو جبريل، يقول: لستُ أعلمَ بذلك منك، أنا وإياك مستويان في الجهل بالجواب، (قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا) أي عن علاماتها التي تسبقها، وهي التي تُسمى أشراط الساعة، أخبرني عن تلك العلامات التي تؤذن بقربها وتُشعر بقربها، (قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا) الأمة: هي الرقيقة من الجواري، (ربَّتها) أي مالكتها وسيدتها، والمعنى أن السراري ستكثر في العرب حتى يوجد أو في المسلمين حتى يوجد أن الأمةَ تلد سيدتها، وفُسر بغير ذلك.

الحاصل: الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير المُربي وضيعًا والسافل عاليًا، («وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ») الذي لا نعال لهم («العُرَاةَ») الذي لا ثياب لهم («العَالَةَ») وهم الفقهراء نراهم («رِعَاءَ الشَّاءِ») أي رعاة الشياة، تراهم ماذا؟ («يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ») أي يتنافسون ويتفاخرون به بعد أن كانوا رعاة وفقراء رعاة أغنام.

ومعنى هذا الحديث: أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تُبسط لهم الدنيا حتى يتباهوا في البُنيان.

يقول ابن دقيق العيد: «إنما خُص رعاء الشاء بالذكر لأنهم أضعف أهل البادية يتطاولون في البُنيان، فلان عنده البُرج كذا وكذا، وفلان لابد لابد، هذا التطاول أي التنافس.

قال: (قَالَ: فمضى) في نسخة قال: («ثُمَّ انْطَلَقَ») فمضى أي مضى هذا الذي سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، («فَلَبِثْنَا مَلِيًّا») أي لبثنا وقتًا طويلًا ونحن ننتظر ماذا يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماذا يُعلق على هذا الذي

حصل؟ فقال: (يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) لأن الرجل غريب لا يعرفه هو وغيره، وهذا فيه بيان الأدب أن من سُئل عما لا يعلم لابد أن يكل العلم إلى عالِمِهِ مُمكن يكون كيت وممكن يكون كيت بعض الناس يتكلف فيه لا، فلا ينبغي أن يُتكلف بما ليس لك به علم، يقول الله ورسوله، قال: (فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ) وجبريل عليه السلام هو أفضل الملائكة وهو السفير بين الله وبين رُسله من البشر، (أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)؛ أي: أتاكم حتى تتعلموا أُسس دينكم، بماذا؟ بتلك الأسئلة، لأن هذه الأسئلة كلها كأنه ينوبنا في سؤال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الأُسس العظيمة وهي مراتب الدِّين.

هذا الحديث يقول ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «**مذهب السَّلَف وأئمة الخلف أن من صدق بهذه الأمور**» أي التي ذُكرت في هذا الحديث **تصديقًا جازمًا لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمنًا حقًا سواءً كان ذلك عن براهين قاطعة أو عن اعتقاداتٍ جازمة** عن براهين قاطعة أي الواحد يستدل بنفسه ويصل إلى هذه الدرجة.

(أو اعتقادات جازمة) تلقيت هذا من الكتاب والسنة دون أن تستدل لها بالأدلة العقلية تصل إلى هذه الدرجة، هو ذكر هذا للرد على المتكلمين الذين يرون أن الاستدلال العقلي هو الذي يوصلك إلى الإيمان هذا مذهبهم ومذهبهم باطل.

ويقول القاضي عياض: «**اشتمل هذا الحديث على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ابتداءً وحالًا ومآلًا، ومن أعمال الجوارح ومن إخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى أن علوم الشريعة كلها راجعةٌ إليه، ومتشعبة منه**».

وهذا الحديث هو من الأحاديث الجامعة ويُعرف بـ(حديث جبريل).

وهناك شروح خاصة بهذا الحديث.

من الشروح المختصرة لهذا الحديث شرحٌ مختصر وجامع ومانع شرح الشيخ العلامة عبد المسن العبَّاد شرح حديث جبريل، وهو شرحٌ مُختصر، ولكنه جامع مانع.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ.

وَلَهُ مِنَ الِعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون نبيًا رسولًا.

نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، ويدعو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۞ وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۞ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر:١-٧]. وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

قال الشارح وفقه الله:

هذا الكتاب -كما تعرفون- اسمه «ثلاثة الأصول»، وفيه بيان وتوضيح تلك الأصول الثلاثة التي يُسأل عنها كل مُكلف في القبر:

- معرفة الرَّب سبحانه.

- ومعرفة دينه.

- ومعرفة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أخذنا الأصلين: معرفة الرب سبحانه، ومعرفة دينه، ونبدأ الأصل الآن في الأصل الثالث: وهو الأصل الأخير: وهو: (معرفة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معرفته أصلٌ عظيمٌ يجب معرفته، ويجب اعتقادُ ما يذكره المؤلف هنا وما أيضًا لم يذكره في محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الواسطة بيننا وبين الله ﷻ، ولا طريق لنا لمعرفة ما يُنجينا من غضب الله وعقابِهِ ويُقربنا من رضا الله وثوابه، إلا لما جاء به نبينا محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**) هذه الجملة دائمًا نذكرها وهي فيها الدعاء أن يُصلي الله ﷻ على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصلاة الله على نبيه هي ثناؤه عليه، وإرادته لرفع ذكره وتقريبه، هذا هو صلاة الله على نبيه، فنحن نسأل الله ﷻ أن يُصلي على نبيه، وهذا السؤال نستفيد منه فائدتين:

فائدة لنا، وفائدة ترجع إلى إيماننا بالنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأداء بعض حقوقِهِ.

محمد هذا الاسم على وزن مُفعَّل مثل مُعظم مُبجل.

ومحمد معناه: كثير الخِصال التي يستحق عليها الحَمْد، سُمي بذلك رجاء أن يكون من أهل خصال الخير التي يكثر من أجلها حمد الناس له عليها.

إذن محمد معناه: هو الذي كثُر حمد الحامدين له مرة بعد مرة، أو هو الذي يستحق أن يُحمد مرةً بعد أخرى.

وأسماء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة:

منها: محمد، ومنها: أحمد، ومنها: الماحي، ومنها: العاقب كما ورد في صحيح البخاري، وأشرفها هذا الاسم محمد، ولذلك أشهرها وأفضلها وأعظمُها هذا الاسم، ولهذا جاء في القرآن بهذا الاسم كما في قوله سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤]، وقوله سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح:٢٩]، فأسماء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل أسماء القرآن وأسماء الله ﷻ في كونها أوصاف باعتبار وأعلام باعتبار، فلا تُضاد العلمية الوصفة محمد له معنى أحمد له معنى، والماحي له معنى، والحاشر له معنى

والعاقب له معنى، كل اسم له معنى، وهذه المعاني كلها في شخصٍ واحد وهو النبي محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لذلك نقول: هي أعلامٌ باعتبار وباعتبار علميتها هي مترادفة، لأنها تدل على ذاتٍ واحدة وهي شخص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وباعتبار كونها أوصافًا هي متباينة، لأن كل اسم له معنى غير معنى الاسم الآخر، هي أوصافٌ باعتبار، وهي باعتبار الوصفية متباينة، وأعلامٌ باعتبار وباعتبار العلمية مترادفة كلها أسماء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مثل أسماء الله ﷻ، أسماء الله ﷻ كثيرة وهي أعلام باعتبار وأوصاف باعتبار، كلها أسماء ربٍ واحد أسماء ذاتٍ واحدة وهي الذات المقدسة، ولكن لكل اسم معنى، فهذا المعنى وهو الكمال الذي يستحقه الله ﷻ مثل: الغفور والسميع والبصير كل اسم له معنى.

وكذلك أسماء القرآن وأسماء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسماء الله ﷻ هذه كلها أوصاف باعتبار وأعلام باعتبار.

(**مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ** ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.) يذكر هنا الشيخ محمد نُبذة مما يجب أن نعرفه عن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكما رأينا في كتابه في «ثلاثة الأصول» ذكر فيه الحد الأدنى الذي يكون به نجاة الإنسان في القبر، هذا الذي ذكره هنا هو الحد الأدنى، وهذا الحد لابد أن نعرفه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعرفته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنتظم أشياء عديدة منها: معرفة اسمه ونسبه وعُمره وبقائه في الدنيا ووفاته ومعرفة ما جاء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعرفةُ ما أُرسل به ومعرفةُ بلدِهِ ومهاجرِهِ، ومعرفةُ ما بُعث به وغير ذلك مما سيذكره المؤلف.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو ابن عبد الله وعبد الله ابن عبد المطلب، وعبد المطلب اسمه شيبة ابن هاشم وهاشم اسمه عمرو، وكما قلت: معرفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنتظم هذه الأمور ولا تعني معرفته الغلو فيه كما نجده عند أصنافٍ من المبتدعة معرفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تكون بالغلو فيه، كما قال بعضهم:

يا أكرمَ الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العممِ

سبحان الله! هذا الوصف لا يليق إلا بالله ﷻ، هذا غلوٌ في النبي ﷺ فمعرفته لا تكون بإعطائه أوصاف الغلو فيه.

من الغلو في النبي ﷺ قول الصوفية: أنه ﷺ كان نورًا قبل أن تُخلق السماوات والأرض، ثم تسلسل نورًا في ظهور آبائه وأجداده حتى وُلد ﷺ، ويقولون: إن جميع آبائه وأمهاته إلى آدم مؤمنون من أهل الجنةِ قطعًا.. هكذا يقولون.

وبينما الصحيح أن أباه مات على الكفر عن أنس رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: «في النار» فلما قفَّى يعني ولَّاه دعاه فقال: «**إن أبي وأباك في النار**» والحديث في «صحيح مسلم»، ولكن المبتدعة اختلقوا حديثًا موضوعًا، وهو أن النبي ﷺ يقول: «**إن الله أحيا أبويه فآمنا**» هذا حديث موضوع.

فلذلك يقولون: إذا قلت: إن هذا الحديث ضعيف وهو موضوع ليس ضعيف، يقولون: هذا الحديث، ومن يقول بضعفه فهو الضعيف عن الحقيقة، مما يدل على أن ما اختلقوه وكذبوا على النبي ﷺ حديثٌ مرفوع، وهذا كله من الغلو في النبي ﷺ، وكما قلت: معرفته لا تكون بالغلو فيه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وهاشم من قريش، طبعًا ما أراد المؤلف أن يُكمل سلسلة النسب، وسلسلة نسبه ﷺ إلى آدم عليه السلام فيه ما هو متفقٌ عليه، وفيه ما هو مختلفٌ فيه، وهاشم من قريش، وكما قلت لكم: هاشم من قريش، وقريش من العرب، وهم من العرب المستعربة، والعرب من ذُرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وإسماعيل بن إبراهيم الخليل هو الذبيح، والنبي ﷺ ابن الذبيحين، لأن والده عبد الله هو أيضًا الذبيح، وقد فداه جد النبي ﷺ بمائة من الإبل، ولم يُدرك النبوة ومات على الكفر، هذا الذبيح، والذبيح الثاني هو إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وقصته معروفة في القرآن.

واليهود يزعمون أن الذبيح هو إسحاق وهذا خطأ، وسياق الآيات في سورة يقول الله ﷻ في سورة

الصافات قصته تبدأ من قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۝٨٣ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤﴾ [الصافات] ... إلى أن قال: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝١٠٢﴾ [الصافات]، ثم لما جاء ذكر إسحاق يقول الله ﷻ بعد قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۝١٠٩ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝١١٠ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝١١١ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١١٢﴾ [الصافات:٩٩-١١٢] بعد ذِكر القصة، مما يدل على أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

وهو ابن إبراهيم الخليل نحن نقول دائمًا: إبراهيم الخليل، لأن إبراهيم عليه السلام خُص بالخُلَّة، وهي مرتبةٌ في المحبة لم يصل إليها إلا الخليلان، إبراهيم عليه السلام وابنه محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والخُلَّة كما قلت: هي ميزة اختُص بها إبراهيم الخليل، ويُشاركه فيها نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أن التكليم ميزة اختُص بها موسى عليه السلام ويُشاركه فيها أيضًا نبينا محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُشاركه في الخلَّة ويُشاركه في التكليم.

ولكن تكليم الله ﷻ لنبيه موسى فيه ميزة لا يُشاركه فيها، وهي: أن الله ﷻ كلمه وهو على هذه البسيطة، أما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكلمه وهو في السماء.

على كل حال: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشاركهما في الخُلة والتكليم.

(عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون نبيًا رسولًا).

ولادته: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُلد سنةَ سبعين بعد الخمسمائة من الميلاد.

وكما ذكر المؤلف عمره كله ثلاثٌ وستون سنة، وزمن نبوته ورسالته ثلاثٌ وعشرون سنة، مكث منها في مكة ثلاثة عشر عامًا، وفي المدينة عشرة أعوام.

منها: أربعون قبل النبوة، وثلاثٌ وعشرون نبيًا رسولًا.

(نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، ويدعو إِلَى التَّوْحِيدِ)،

ذكر في هذه الجملة فوائد:

منها: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيٌ ورسول، لأن بعض الأنبياء هم أنبياء وبعضهم رُسل، ومرتبة الرِّسالة أرفع من مرتبة النبوَّة.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان نبيًا ثم صار رسولًا، وقد اختلفوا في التفريق بين النبي والرسول.

بعضهم قالوا: لا فرق بينهما، والجمهور على أن هناك فرقًا بينهما بين النبي والرسول.

الفرق الذي ذكره أكثر من ذكر هذا الفرق أكثر العلماء أن النبي هو الذي أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ، وأن الرسول هو الذي أُوحي إليه وأُمر بالتبليغ، وبُعث برسالةٍ جديدة، وهذا الفرق فيه إشكال، لأن القول: بأن النبي أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ هذا يُنافي مهمته، كيف أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ؟ إلا إذا أرادوا أنه لم يؤمر بالتبليغ خارج دائرته، لأن من الفروق التي ذُكرت بين النبي والرسول، أن النبي يُرسل إلى مؤمنين برسالة من سبقه يوحى إليه، والرسول: يُرسل برسالةٍ جديدةٍ إلى قومٍ كفار.

يبدو أن الشيخ محمد قد لاحظ هذا الفرق في قوله هنا: (نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾)، فهو يُشير في الأرجح إلى هذا الفرق، لأن (اقرأ) أمرٌ بالقراءة، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[العلق:١] أمره بالقراءة وعلَّمه وسائل القراءة من أهمِّها الاستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[العلق:١-٥]، هذه الآيات فيها أمرٌ بالمعرفة، وفيها ذكرٌ لوسائل المعرفة المادية والمعنوية.

من أهم وسائل المعرفة المادية: القَلم به تُكتب المعلومات، به تُحفظ وتُدوَّن.

على كل حال: ليس فيها أمرٌ بالتبليغ، لذلك يقول: (نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾) ما دام أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ، فهو في مرتبة النبوَّة.

ثم يقول: (وَأُرْسِلَ بـ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾)، لأن المُدثر فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾[المدثر:١-٥] إذن فيها أمرٌ بالتبليغ لاحظتم يبدو أن الشيخ لاحظ هذا

التفريق في هذه الجملة: (نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾).

الرسالة واضحة لغةً، هو رسول لأنه مُرسل من الله ﷻ هو الذي أرسله للوحي.

أما النبوَّة ففيها قراءتان: (النَّبي) و(النَّبيء) قراءتان سبعيتان أشهر من يقرأ (النبي) بدون الهمز عاصم، نحن روايتنا هذه حفص عن عاصم بن أبي النجود، عاصم لم يرو عنه إلا راويان: حفص وشعبة.

والقراءة الأخرى: (النَّبيء) وأشهر من قرأها نافع بن عبد الرحمن المدني.

النبوَّة ومنه النبي هو من الارتفاع سُمي النبي نبيًا من الارتفاع كأنه صار في نبوةٍ من المكان، ولاشك أن الوحي سببٌ لرفعته وعظمته، ومقامه وجاهه عند الله عظيم.

أما النبوءة أما النبيء -بالهمزة- فهو من الإنباء سُمي نبيًا أو نبيئًا، لأن الله ﷻ نبأه بالوحي.

(نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾ وبلده مكة وهاجر إلى المدينة).

عرفنا اسمه وشيئًا من نسبه، ومولده، موطنه الأصلي ومهاجره ومستوطنه، جاء هو نُبئ وأُرسل، طيب جاء بماذا؟ (بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، ويدعو إِلَى التَّوْحِيدِ) النَّذارة هي من الإنذار، والإنذار هو إعلامٌ فيه التخويف، وهذا التخويف وهذا الإعلام يعني إنذارٌ فيه تخويف عن شيء يُمكن تداركه ووقت تداركه طويل، أما الإشعار فهو إعلامٌ فيه تخويف كلاهما إعلان فيه تخويف، والفرق في الوقت، نحن قلنا: الإنذار هو إعلامٌ فيه تخويف عن شيء يُمكن تداركه، وزمن استدراكه أو تداركه طويل.

أما الإشعار فهو إعلامٌ فيه تخويف، ولكن مدة استدراكه قليلة.

كلاهما إعلام، وكلاهما فيه تخويف، لكن الفرق بالنظر إلى المدة.

فما الذي يُناسب هنا الإشعار أو الإنذار؟ الإنذار، لأن العُمر كله وقتٌ لتدارك ما يُمكن تداركه، أما الإعلام فهو مُجرد إيصال العلم.

(بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، ويدعو إِلَى التَّوْحِيدِ)، هذا الترتيب الذي ذكره الشيخ هنا هو ترتيب كلمة الشهادة، وكذلك ما سيستدل به من الآيات تقتضي هذا الترتيب، وإلا كان المفروض أن يقول: (بعثه داعيًا إلى التوحيد ومُنذر عن الشرك)، لأنه لابد أن تعتقد وتوحد، وتحذر من الشرك، ولكن

الترتيب هنا يختلف: (بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، ويدعو إِلَى التَّوْحِيدِ) فهذا ترتيب كلمة الشهادة لا إله إلا الله: (لا إله) نذارة عن الشرك (إلا الله) هذا توحيد.

وكذلك في الآية التي ذكرها هنا: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾) متى حصل منه هذا الذي يُشير إليه الله ﷻ؟ هذا حصل منه في أول أمرِهِ، والمُدثِّر؛ أي: المتدثر بثيابه المُتغشي بها من الرُّعب الذي حصل له من رؤية الملك عند نزول الوحي، إذًا: (﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ﴾) أي قُم من اندثارك، (فَأَنذِرْ)؛ أي: أنذرهم عن الشرك وادعهم إلى التوحيد، وهذه أول آيةٍ أُرسل بها على الفرق الذي أشار إليه الشيخ محمد.

وهذا أول أمرٍ طرق سمعه في حال إرساله بعد كونِهِ رسولًا، وهل سُبق بأمرٍ عام؟ نعم، اقرأ، ولكن هذا قبل أن يكون رسولًا على الفرق الذي ذكره، وإلا هذا الفرق فيه جوانب تُضعف هذا الفرق:

منها: أن النبي كيف أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر:١-٧]) المؤلف يشرح بنفسه يقول: (وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ) ذكرنا الفرق بين الإعلان والإشعار والإنذار.

إذن أول واجب على المُكلف هو (التوحيد)، إذا بلغ الولد أو إذا بلغت البنت فأول واجب عليهم أن يتشهدوا بهذه الشهادة لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، فإن كان قد سبق أن أدوا هذا الواجب فلا يجب أن يُكرروه، وإن لم يكن قد سبق، فلابد أن يتلفظوا بالشهادة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هناك من يقول: أن أول واجب هو الشك.

وبعضهم يقول: أن أول واجب هو النظر.

هذه أقوال المتكلمين، وهي أقوال باطلة ليس عليها دليل.

(﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ) خُص ربك بالتكبير، أخذنا هذه الكلمة (خُص) من

الترتيب، (﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾) تقديم ما حقه التأخير يُفيد الحصر والقصر.

(﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ) إذًا تعظيم الله ﷻ لا يكون باعتقاد الشفاعات الشركية والتوسل الباطل، وإنما يكون بالتوحيد، وبتحقيق التوحيد يتحقق التعظيم الذين يقعون في أنواع من البدع والخرافات ويعتقدون في غير الله ﷻ في الأولياء والأنبياء والرسل يعتقدون فيهم شيئًا من النفع والضُّر يلجؤون إليهم ليُقربوهم إلى الله ﷻ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾[الزمر:٣] ويرون أن توجههم إلى ﷻ مباشرةً هذا من الاستخفاف بجنابه، وأن التوجه إليه يجب أن يكون عن طريقِ مُعظَّم، هذا كله ليس فيه تعظيم لله ﷻ، هذا فيه قياس الله ﷻ على خلقه، هكذا يكون في المخلوقين، فأنت تقيس الله ﷻ على خلقه تقيسه عليهم في علمه وفي قُدرته، الله ﷻ لا يُعظم بالبدع والخرافات يُعظم بالتوحيد.

(﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ) هذا معناه.

والمعنى الآخر: المراد بالثياب هي الثياب، فهذا صحيح وهذا صحيح.

(﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ) والصنم اسمٌ لما عُبد من دون الله ﷻ مما كان على هيئة صورة، والوثن: عام هذا التفريق عام، الشيخ يُفسر الرجز بالأصنام، (﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾) أي اترك الأصنام كيف تتركها؟ (وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا) الذين يعبدونها.

وقيل: أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها وأقوال الشر كلها، فيكون أمرًا بترك الذنوب كلها فيدخل فيه الشركُ وما دون الشِّرك.

(أَخَذَ عَلَى هَذَا) الضمير يرجع إلى ما ذُكر سابقًا الإنذار عن الشرك والدعوة إلى التوحيد.

(أَخَذَ عَلَى هَذَا) يعني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ على هذا النهج في بيان الشرك والإنذار عنه وبيان التوحيد والدعوة إليه عشر سنين وهو يُركز على هذا الأصل، وهو ترسيخ التوحيد والتحذير من الشرك.

(أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ) هذه السنوات العشر التي أمضاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا الأمر الواحد لابد أن نستفيد منه المنهج في الدعوة لابد أن تُركز على التوحيد

التوحيد هو أول واجبٍ وآخر واجب، وهو الذي تُركز عليه بقية الأمور كلها إن لم تكن مبنيةً على التوحيد فلا يُعتد بها شرعًا، الأعمال الصالحة كلها إن لم تكن مبنيةً على التوحيد فلا عبرةَ ولا اعتداد بها شرعًا، ولذلك لابد أن تُركز على التوحيد، بعض الناس يقول: لا حاجة إلى دراسة مثل هذه الكتب، والتوحيد نتعلمه في شهور، ثم لابد أنْ تتفرغ للقضايا الكُبرى، ما هي القضايا الكبرى؟ هذه هي قضية الأمة الكبيرة التوحيد.

(أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْر سنين يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ) في بعض النسخ هنا: (عُرج به إلى السماء ليلة المعراج) في بعض النسخ: (ليلة المعراج).

المعراج: هو السُّلم سُميت ليلة المعراج بوسيلة الصعود السُّلم للصعود، وهي المعراج.

(وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ) والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسري بجسده وروحه جميعًا من المسجد الحرام على البُراق في تلك الليلة أولًا كان الإسراء -وهو مذكورٌ في القرآن-: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الإسراء:١]، هذا هو الإسراء.

أسري بجسده وروحه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يقظةً لا منامًا، ثم صعد به جبريل عليه السلام إلى السماء صعد به على المعراج السُّلم، كلما مر بسماء تلقاه مقربوها حتى جاوزهم إلى سدرة المنتهى.

إذن أولًا: الإسراء، ثم المعراج.

(وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ) في السنة العاشرة من الهجرة.

نكتفي بهذا القدر.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفُرِضَتْ عليه الصَّلوَات الخَمْس، وصَلَّى في مكَّةَ ثلاث سنين، وبعدها أُمر بالهجرةِ إلى المدينة.

وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلام.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلام، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءتْ مَصِيرًا ۞ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۞ فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧- ٩٩]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[العنكبوت: ٥٦].

قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سبب نزول هذه الآية فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ».

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلام، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلام، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

وَتُوُفِّيَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِينُهُ بَاقٍ. وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وأكمل اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]. وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

قال الشارح وفقه الله:

ذكر أيضًا فيما سبق أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عُرج به إلى السماء، وأُسري به من مكة إلى بيت المقدس، ثم عُرج به إلى السماء وذكرنا أن الإسراء والمعراج كان بجسده وروحه.

ثم قال: (وفُرِضَتْ عليه الصَّلوَات الخَمْس) فُرضت عليه الصلوات الخمس، هذا كان في رحلة الإسراء نفسها في رحلة المعراج، فُرضت الصلوات على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى أمته، وهو في المعراج، وهو في السماء، وكان أول ما فُرضت خمسين صلاة، ولم يزلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتردد بين موسى وبين ربِّه حتى وضعها إلى خمس وقال: «هي خمسٌ» أي في العدد «وهي خمسون» أي في الأجر «**الحسنةُ بعشر أمثالها**» متفقٌ عليه.

ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط الأنبياء معه، وأمهم في بيت المقدس ثم ركب البراق ورجع إلى مكَّة من ليلته، وحدثهم عما رآه في مسجده، وهذا كان في السنةِ العاشرة من الهجرة.

(وصَلَّى في مكَّةَ ثلاث سنين) بعدما فُرضت الصلاة عليه بقي بعدها في مكة ثلاث سنوات وبعدها أُمر بالهجرةِ إلى المدينة، أُمر بالهجرة من مكة إلى المدينة، أُمر بمفارقةِ المشركين وأوطانهم حتى يتمكن من إظهار دينِهِ والدعوة إلى الله ﷻ في غير بلادهم.

بمناسبة ذِكر هجرته عرَّف شَيْخُ الْإِسْلَامِ محمد عرف بالهجرة، ما هي الهجرة؟ هل هو ترك بلدٍ دون أي سبب، أو هو ترك بلدٍ لغرض معين؟ ما الذي كان ينقصه في مكة، وما الذي ذهب لأجله إلى المدينة؟

يقول: (وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلام).

تنتقل من بلد الشرك لماذا؟ لأن فيه الشرك إلى بلد الإسلام حتى تستطيع أن تعمل بشرائع الإسلام،

ما هو بلد الشرك؟

بلد الشِّرك الناس يختلفون في وصفه؟ بلد الشرك هي كل بلدٍ يظهر فيها الشرك ويكون غالبًا، بعض الناس يغلو في هذا الباب ويُفرط وبعض الناس يُفرط في هذا الباب، كل بلدٍ يظهر فيها الشرك ويكون غالبًا.

البلاد التي يُرفع فيها الأذان على المآذن ولا أحد يمنعك من إظهار هذه الشريعة وبقية شرائع الإسلام، وليس الشرك ظاهرًا فيها، الظاهر فيها هو الإسلام والتوحيد، فهي بلاد الإسلام.

(وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ).

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ) الهجرة التعريف الذي ذكره الشيخ تعريف عام.

الهجرةُ شرعًا: ترك ما لا يحبه الله ﷻ ويرضاه تركه إلى ما يُحبه ويرضاه، ويدخل فيه هجر الشرك ويدخل فيه ترك محبة غير الله ﷻ ورسوله، وترك بلد الكفر لأن المقام فيها لا يرضاه الله ﷻ ولا يُحبه، ولكن يغلب إطلاقها على ما ذكره الشيخ هنا: (الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام).

والهجرةُ فريضة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، الهجرة حُكمها تختلف باختلاف وضع البلد الذي أنت فيه، فإذا كنت لا تستطيع إظهار شرائع الدين، فالهجرة واجبة، وهي فريضة، أما إذا كنت تستطيع فالهجرة في حقك مستحبة، البلد بلد الشرك، ولكن تستطيع أن تُظهر شعائر الإسلام، فالهجرة في حقك مستحبة، أما إذا كنت لا تستطيع فالهجرةُ في حقك واجبة.

لماذا الهجرة؟ حتى ولو كنت تستطيع أن تُظهر شرائع الدين فالهجرة في حقك مستحبة لماذا؟ لأن معايشة المشركين ومخالطة المشركين فيه ضررٌ على دينك، فإذا كان المسلم في بلدٍ يستطيع أن يُظهر شرائع دينِهِ والبلد بلد الشِّرك، ولم يكن يُتاح له أن يُقدم من الدعوة والحث على تعاليم الدين ما يكون مُقابل مقامه هناك فالهجرة في حقه مستحبة، أما إذا كان يستطيع أن يُظهر شعائر الدين وفي بقائه هناك مصلحة للمسلمين بحيث إذا ترك تلك البلاد لا يجد المسلمون من يُعلمهم أمر دينهم هناك فقد يكون

بقاؤه هناك أفضل بالنظر إلى هذه الجزئية.

وعمومًا البُعد عن المشرك وبلد الشِّرك هذا هو الأصل، يقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أنا بريء من كل مسلم يُقيم بين أظهر المشركين**» الحديث صحيح، قالوا: يا رسول الله، لِم؟ قال: «**حتى لا ترى أن أراهما**» أي حتى تكون بعيدًا عن المشركين، والحديث أخرجه أبو داود والترمذي وهو حديث صحيح.

يقول شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: «**رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيمانًا من غيرهم ممن جرَّد الإسلام**».

فالمُخالطة فيها من الضرر ما لا يخفى، تجد كثيرًا من المسلمين بعدما يُخالطون الكفار تجده قد انطمس الإسلام في قلبه إلى حدٍ، وتجده يعيب على من يلتزم بأوامر الدين يعيبه بالتشدد، وأنه مُتشدد وأنه وأنه... وتجده قد تحوَّل إلى وسيلةٍ من وسائل المنحرفين بدل أن يكون داعيًا إلى الإسلام.

هنا لابد أن نُشير إلى حال من يحرص على الذهاب إلى بلد الكفر لأجل الدُّنيا ومتاع الدُّنيا، كثيرٌ من الناس يكون حريصًا على الذهاب إلى هناك، أنا تحدثت عمن هناك وُلد هناك ينظر في حاله إذا كان في بقائه مصلحةً للإسلام والمسلمين فلينظر إلى هذا، وإلا فالهجرة تبقى مستحبة في حقه.

أما الذي يذهب من هنا إلى هناك، فهذا حاله غريب، كيف تورط نفسك وتُعرض دينك للتلويث، وتُعرض دينك للتغيير، وكيف ترضى أن تكون بين الكفار، وكيف ترضى أن تترك بلاد الإسلام وتذهب إلى هناك؟!

هذا الذي يذهب إلى هناك للعيش هناك، أما الذي يذهب إلى هناك للدعوة فهذا يُقدر وضعه بنفسه، فمن الغريب أن يكون هناك حرصٌ على الذهاب إلى هناك حتى ولو ملكت الدُّنيا بحذافيرها، وتعرض دينك للفتن، فما الذي استفدته؟ لابد أن نُغلب ونُفكر في هذا كثيرًا.

(وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ)، الهجرة هجرتان:

هجرةٌ خاصة.

وهجرةٌ عامة.

أما الهجرة الخاصة: فهي الهجرة من مكة إلى المدينة، وفيها قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا هجرةَ بعد الفتح» هذه الهجرة التي كانت فرضًا وواجبًا على المسلمين، الهجرة من مكة إلى المدينة هذا الوجوب انتهى بعد فتح مكة: «**لا هجرةَ بعد الفتح**».

أما الهجرة العامة فهي التي يتحدث عنها الشيخ هنا بقوله: (**وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾**) (ظالمي أنفسهم) هم ظلموا أنفسهم، ولكن ما هو نوع الظلم هنا؟ الله ﷻ هنا يتحدث عن الظلم بترك الهجرة.

(**﴿قَالُواْ﴾**) لهؤلاء: (**﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾**) أي لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة؟ هذا استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة؟ (**﴿قَالُواْ﴾**) مجيبين (**﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾**) أي كنا عاجزين عن الهجرة لا نقدر على الخروج من البلد، ولا نقدر على الذهاب في الأرض، وهم غير صادقين في ذلك.

لذلك تقول الملائكة: (**﴿قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾**) وهذا قول الملائكة وقولهم فيه عتابٌ لهم، (**﴿قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾**) الاستفهام هنا للإنكار، وضابط الاستفهام لما يكون للإنكار أن يكون ما بعده باطلًا إذا أُزيلت الهمزة، هنا: (**﴿قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً﴾**) الهمزة هنا للاستفهام، (ألم تكن) قلنا: أن الاستفهام هنا للإنكار، وأنت إذا أزلت الهمزة ما الذي يُبقى؟ لم تكن أرض الله واسعة كأنك تقول: أن أرض الله ﷻ ليست واسعة، وهذا باطل ليس كذلك، إذا أزلت الهمزة ما بعده يكون باطلًا.

﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠] الهمزة هنا للإنكار، أنت إذا عزلت الهمزة ما الذي يبقى؟ في الله شك، وهذا كفر، إذن، إذا أزلت الهمزة وكان ما بعده باطلًا فاعلم أن الهمزة للاستنكار والإنكار.

هنا (**﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً﴾**) ليس فيها مجرد استفهام يعني هم لا يستفهمونه لا، الاستفهام

هنا للإنكار عليهم.

(﴿فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءتْ مَصِيرًا﴾) هل هم كفروا بسبب عدم الهجرة؟ عدم الهجرة ليس كفرًا، وهذا سيأتي طبعًا هنا: (﴿فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءتْ مَصِيرًا﴾) هم دخلوا جهنم بسبب تركهم للهجرة، لأنهم تركوا واجب الهجرة، وارتكبوا كبيرةً من الكبائر، وهذه الكبيرة عبارة عن ترك الهجرة مع وجوبها، ولكن هل دخلوا جهنم لأنهم كفار؟ لا، والفرق بين هذا وهذا: أنه إذا دخل جهنم لكفره لا يخرج منها، أما إذا دخل جهنم لارتكابه كبيرةً من الكبائر، فهذا سيخرج منها ومآله الجنة.

ونسأل الله أن يُدخلنا الجنة من البداية نسأل الله أن يكون دخولنا الجنة دخولًا أوليًا، ونسأله بعفوه وكرمه ورحمته أن يُنجينا من النار.

فهُنا دخولهم للنار ليس للكفر، وإنما لارتكابهم كبيرةً من الكبائر، وهذه الكبيرة هي عدمُ الهجرة تركهم الهجرة هذا سيأتي في الآية التي سيذكر بعدها.

(﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ﴾) فهؤلاء لا يلحقهم هذا الحُكم، (﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾) لا يستطيعون أن يُهاجروا، (﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾) هؤلاء الذين لم يستطيعوا أن يُهاجروا ويتركوا بلد الكفر، ويذهبوا إلى بلد الإسلام، بما أنهم لم يستطيعوا فالله ﷻ يعفو عنهم.

يلحق بهم في زماننا هذا: من لا يستطيع الهجرةَ لأجل معوقات التأشيرات، قد لا يكون سهلًا بالنسبة لك أن تهاجر، فإذا كان هناك مانع من الموانع منعه من الذهاب أو من ترك بلد الكفر سواءً كان عائقًا يتعلق بالتأشيرات أو غيرَه، فله هذا: ﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء:٩٩].

إذًا الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، ولا زِلنا نستغرب من هذه الهجرة التي نراها عند كثيرٍ من الناس من بلد الإسلام إلى بلد الكفر.

ذكر العلماء أن الذهاب إلى بلاد الكفر في الأصل لا يجوز، ولكن إذا احتجت، فالسفر إلى بلاد

الكفار يجوز بشروط:

من الشروط: أن يكون الرجل عنده علم يمنعه مما يورد عليه من الشبهات، لأنه قد يقع في الكفر.

من الشروط: أن يكون عنده دينٌ يمنعه من الشهوات.

من الشروط: أن يتمكن من إظهار دينه والقيام بعبادة ربه، وأن يحذر كل الحذر من موالاة المشركين.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[العنكبوت: ٥٦]).

قوله: (قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ) توفي سنة خمسمائة وثلاثين وهو من أعلام المُحدثين صاحب شرح كتاب السُّنة مطبوع في ستة عشر مجلدًا، والبغوي نسبةً إلى قرية (بغ).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سببُ نزولِ هذِهِ الآية فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ») مع أنهم ما هاجروا، وكانت الهجرة واجبة عليهم مع ذلك ناداهم باسم الإيمان، وهم قد ارتكبوا كبيرة ترك الهجرة، مما يدل على أن ترك الهجرة مع وجوبها لا يسلب الإيمان، فترك الهجرة ليس كفرًا ولا شركًا بل هو معصيةٌ من المعاصي، بل هو كبيرة من الكبائر، وكونها كبيرة ليس مما يُهون من شأنها، لأنها هي سبب لدخول جهنم، (فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) إلا أن تركها ليس كفرًا.

(وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»).

الهجرة مستمرةٌ كما قال المؤلف إلى أن تقوم الساعة.

وفي قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»).

طلوع الشمس من مغربها هذا من علامات الساعة الكُبرى، **وعلامات الساعة تنقسم إلى ثلاثة**

أقسام:

- صغرى وقد بدأت من زمان ومن هذه العلامات موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه بدأت.
- وعلامات وسطى: وتستمر إلى بداية العلامات الكبرى.
- وعلامات الكبرى التي تؤذن بخراب هذا العالم، وتؤذن بقرب الساعة.

وهي كثيرة منها: طلوع الشمس من مغربها، طلوع الشمس من مغرب الشمس، هذا يدل على أن الساعة قد اقتربت جدًا.

ومع طلوع الشمس من مغربها انتهى زمن التوبة، وانقطع زمن التوبة، والهجرةُ مستمرةٌ إلى ذلك الوقت، لأن بعد طلوع الشمس لا يُقبل أي عمل، لا تُقبل التوبة، وبالتالي حتى ولو هاجر لا يُقبل منه.

والحديث أخرجه أبو داود وأحمد والدارمي وهو حديثٌ صحيح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ**)، كان قد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أُمر بالصلاة في السنة العاشرة وهو في مكَّة، وقبل أن يؤمر بالصلاة ما الذي انشغل به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ذكره المؤلف فيما سبق: الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك وقال: (**أخذَ على هذا عشر سنين يدعو إلى التَّوحيد**) بعد عشر سنوات فُرضت الصلوات، ولما ذهب إلى المدينة (**أُمر ببقية شرائع الإسلام، مِثلِ: الزَّكَاةِ**) فُرضت في السنة الثانية من الهجرة.

وقوله: (**وَالصَّوْمِ**) فُرض في السنة الثانية من الهجرة.

وقوله: (**وَالْحَجِّ**) الراجح أن الحج فُرض في السنة التاسعة من الهجرة.

وقوله: (**وَالأَذَانِ**) شُرع في أول العهد المدني.

وقوله: (**وَالْجِهَادِ**) فقد كان هناك تدرج في فرضه.

وفُرض أيضًا (**وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ**)، حتى تحريم المحرمات كان في المدينة تحريم المحرمات من الزنا والخمر والربا وغيرها وشرائع الإسلام الظاهرة،

وكذلك تحريم المحرمات هذا كله فُرض في المدينة.

وقوله: (**أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ**) أي على الدعوة إلى شرائع الإسلام، وعلى تطبيق الإسلام، عشر سنين في مكة على التوحيد فقط، بعدها فُرضت الصلاة وفي المدينة فُرضت بقية الشرائع، وأخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا عشر سنين، وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه، صلاته سبحانه على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، وإيرادة زيادة مرتبته، هذه هي صلاة الله ﷻ على النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصلاتُنا عليه: دعاؤنا وطلبنا من الله ﷻ أن يُصلي عليه، أي يُثني عليه في الملأ عليه ويُزيد من مكانته ومرتبته.

(**وَتُوُفِّيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ**) (هذا) الإشارة إلى هذا الذي بينه في الكتاب بعقائده بشرائعه بما ذكره في السيرة، هذا كله هو الدين.

وقوله: (**وَهَذَا دِينُهُ لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ**)، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينتقل إلى الملأ الأعلى إلا بعد أنْ دل الأمةَ على كل خير، وحذر الأمة من كل شر.

يقول أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ما تركَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طائرًا يُقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا**» الحديث أخرجه أحمد.

وقال رجلٌ من المشركين لسلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**قال له مُتحكمًا: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة**» يعني يتدخل في كل شيء، قال: «**أجل، علمنا حتى هذا، لقد نهانا أن نستقبل القبلةَ لغائط أو بول، أو نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم**» أخرجه مسلم.

قوله: (**لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ**).

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان كما وصفه ربه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة:١٢٨] أي ما يوقعكم في العنت هذا صعبٌ عليه، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[التوبة:١٢٨] سبحان الله! الله ﷻ وصفه بهذه الأوصاف، وفيها أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان حريصًا جدًا على المؤمنين، لذلك يقول المؤلف: (**لا خَيْرَ إلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إلا حَذَّرَهَا مِنْهُ**).

في حديث عبد الله بن عمرو مما يدل على حرص النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على أمته، في حديث عبد الله بن عمرو أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تلا قول الله ﷻ في إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[إبراهيم:٣٦] هذا قول إبراهيم عليه السلام.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ أي الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[إبراهيم:٣٦].

وقال عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[المائدة:١١٨]، بعد هذا رفع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يديه وقال، سبحان الله يدل على مدى حرص النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على أمته، «**اللهم أمتي أمتي**» وبكى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ طبعًا الحديث في صحيح مسلم، فقال الله ﷻ: «**يا جبريل، اذهب إلى محمد، وربك أعلم**» الله ﷻ أعلم به، «**اذهب إلى محمد، فسله ما يُبكيك؟**» هذا يدل على عظم مكانة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عند ربه، لما بكى أرسل جبريل كلفه أن يذهب إليه ويسأله ما يُبكيك يا محمد؟ هذا يدل على عظم مكانة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عند ربه سبحانه، فسله ما يُبكيك، فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، يا محمد، ما يبكيك؟ فأخبره صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بما قال، وهو أعلم، أخبره أنه يبكي خوفًا على أمته وحرصًا عليهم وخوفًا عليهم، فقال الله ﷻ: «**يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك**» والحديث في صحيح مسلم، ولذلك ينبغي أن يبتعد المرء عن الشرك ويبتعد عن اللجوء إلى المخلوقين، وعن الاستشفاع والاستغاثة والاستعانة بهم حتى يسلم له توحيده ويكون أهلًا لشفاعة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ومن رأفته بأمته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه ادخر دعاءه وشفاعته لأمته يوم القيامة.

يقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لكل نبيٍ قد دعا بها، وإني ادَّخرتُ دعوتي شفاعةً لأمتي**» لكل نبيٍ دعوة مستجابة دعاءهم مستجاب في أغلب الأحوال، ولكن دعوة لكل نبي هذه الدعوة الاستجابة مضمونة.

تصوَّر عندك دعوة مستجابة، وهذه الدعوة في عمرك وتختار أعزَّ ما لديه يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما الذي مر عليه في حياته؟! مع هذا كلِّه ادَّخر هذه الدَّعوة لأمته.

يقول: «**فجعلتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة**» متفقٌ عليه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نسأل الله أن يشفعه فينا.

المؤلف يقول: (**لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ**)، ما هو رأس الخير الذي دلنا عليه، وما هو رأس الشر الذي حذرنا منه؟ والخير الذي دل عليه أساسه وأوله التوحيد وجميع ما يُحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر منه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه.

سبق أن درسنا رسالة من الرسائل التي أُلحقت بثلاثة الأصول، والرسالة هذه كانت مختصرة، وفيها بيان أعظم أمرٍ في الدين وأخطر شيءٍ في هذا الدين، أعظم أمرٍ في هذا الدين وأخطر أمرٍ فيه هو الشرك.

بعض الناس يكون داعيًا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ فعلًا يكون قد نذر نفسه للدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ولكن آخر ما يُفكر فيه التوحيد، لأنه يرى أن الدعوة إلى التوحيد وخاصةً التفصيل في المسائل يرى أنها تُفرق الأمة، قد ذكرنا في مناسبة نسيت أين ذكرنا، ذكرنا أن تفصيل في هذه المسائل هذا الذي يجعل الناس يعترضون عليك، لما تذكر أن هذا إفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بجميع أنواع العبادة، هذا هو التوحيد، وصرف شيءٍ من أنواع العبادة لغير الله عَزَّ وَجَلَّ شرك دعاء الله غير شرك، الاستعاذة بغير الله عَزَّ وَجَلَّ شرك، لما تُفصل هنا يأتي الاعتراض.

أما إذا كنت تتحدث عن فضائل التوحيد إجمالًا اذهب إلى أي مزار، واخطب هناك عن فضائل التوحيد لا أحد يعترض عليك، لأنه يظن أنه في التوحيد، يظن أنه وهو يطوف حول القبر يظن أنه لا زال على التوحيد، أما إذا قلت: أن هذا الذي تُمارسه ترى هذا يُخالف، ويتنافى مع التوحيد هنا يأتي.

يقول: (**بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**) النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل كان وضعه مثل الأنبياء والرُّسل قبله، الأنبياء والرسل قبل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت تُبعث إلى أقوامها خاصة، يقول المؤلف: لا، نبينا محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه الله إلى الناس كافة.

(وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ) بُعث إلى جميع الناس بل بُعث إلى الجن والإنس، (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]).

وقالت الجن: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف:٣١] ؛ أي: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرسل إليهم، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرسل إلى الثقلين إلى جميع الثقلين الجن والإنس.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، «والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصرانيٌ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار». أخرجه مسلم.

نسمع في هذه الأيام الدعوة إلى الإبراهيمية، وأن كل من يتوجه إلى الله ﷻ فله أن يختار السبيل الذي يوصله إلى الله ﷻ.

سبحان الله! هذا كفر، السبيل إلى الله ﷻ بعد بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو فقط، لذلك يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصرانيٌ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**».

واليهود والنصارى كلهم كفار، ولا يجوز أن تُشكك في هذه المُسلمات التي بدأ سبحان الله التشكيك فيها في هذا العصر، لأن الهزيمة النفسية قد وصلت إلى حدٍ أن بعض المسلمين سبحان الله! عندهم من الهزيمة النفسية ما تستغرب.

(وأكمل اللهُ بِهِ الدِّينَ) فمن أراد التقرب إلى الله ﷻ فلابد من اتباع سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يتم له ذلك.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

فلواحـــدٍ كُـــن واحـــدًا في واحـــدٍ أعنـــي ســـبيل الحـــق الإيمـــانِ

فلواحدٍ كن واحدًا الذي هو الله ﷻ، فلواحدٍ أي للواحد لله ﷻ كن واحدًا أي في إرادتك (في واحدٍ)

أي في سبيلٍ واحد السبيل واحد، الله ﷻ واحد، واجعل إرادتك واحدة لا تتبعثر بين الآلهة أحيانًا تذهب إلى هذا القبر وأحيانًا تذهب إلى هذا المزار، وأحيانًا لا لا لا، كن واحدًا في إرادتك لا تتوجه إلا إلى الله ﷻ -أعني سبيل الحق والإيمان-.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣])، الله ﷻ يُخبرنا هنا أنه أكمل لنا الدين فلا يحتاج إلى تكميل، وأتم علينا النعمة وهذا إيذانٌ منه سبحانه أنه ما دام أتمها فسينعم علينا بدوامها واتصالها، وأنه لن يسلبها منهم بعد أن أعطاهموها، بل يُتمها لهم بالدوام في هذه الدار وفي دار القرار.

إذًا أخبرنا بأن دينه قد أتمه: (﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣])، والواجب أن نرضى لأنفسنا ما رضيه لنا رب العالمين، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت:٣٣]، كثير من المسلمين يستحي أو بعض المسلمين يستحي أن يقول: أنا مسلم، ولكن مسلم ولكن، اعتز بدينك، وقُل معززًا مُكرمًا أنك مسلم، وأن الله ﷻ أنعم عليك بهذه النعمة، وهذه النعمة قد حُرمها كثير، والله ﷻ له الفضل وله الكرم، والحمد لله على هذه النعمة العظيمة التي حُرمها ملايين الناس.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفُرِضَتْ عليه الصَّلوَات الخَمْس، وصَلَّى في مكَّةَ ثلاث سنين، وبعدها أُمر بالهجرةِ إلى المدينة.

وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلام.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلام، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءتْ مَصِيرًا ۞ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۞ فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧- ٩٩]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[العنكبوت: ٥٦].

قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سبب نزول هذه الآية فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ».

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلام، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلام، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

وَتُوُفِّيَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِينُهُ بَاقٍ. وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وأكمل اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]. وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

قال الشارح وفقه الله:

ذكر أيضًا فيما سبق أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عُرج به إلى السماء، وأُسري به من مكة إلى بيت المقدس، ثم عُرج به إلى السماء وذكرنا أن الإسراء والمعراج كان بجسده وروحه.

ثم قال: (وفُرِضَتْ عليه الصَّلوَات الخَمْس) فُرضت عليه الصلوات الخمس، هذا كان في رحلة الإسراء نفسها في رحلة المعراج، فُرضت الصلوات على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى أمته، وهو في المعراج، وهو في السماء، وكان أول ما فُرضت خمسين صلاة، ولم يزلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتردد بين موسى وبين ربِّه حتى وضعها إلى خمس وقال: «هي خمسٌ» أي في العدد «وهي خمسون» أي في الأجر «الحسنةُ بعشر أمثالها» متفقٌ عليه.

ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط الأنبياء معه، وأمهم في بيت المقدس ثم ركب البراق ورجع إلى مكَّة من ليلته، وحدثهم عما رآه في مسجده، وهذا كان في السنةِ العاشرة من الهجرة.

(وصَلَّى في مكَّةَ ثلاث سنين) بعدما فُرضت الصلاة عليه بقي بعدها في مكة ثلاث سنوات وبعدها أُمر بالهجرةِ إلى المدينة، أُمر بالهجرة من مكة إلى المدينة، أُمر بمفارقةِ المشركين وأوطانهم حتى يتمكن من إظهار دينِهِ والدعوة إلى الله ﷻ في غير بلادهم.

بمناسبة ذِكر هجرته عرَّف شَيْخُ الْإِسْلَامِ محمد عرف بالهجرة، ما هي الهجرة؟ هل هو ترك بلدٍ دون أي سبب، أو هو ترك بلدٍ لغرض معين؟ ما الذي كان ينقصه في مكة، وما الذي ذهب لأجله إلى المدينة؟

يقول: (وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلام).

تنتقل من بلد الشرك لماذا؟ لأن فيه الشرك إلى بلد الإسلام حتى تستطيع أن تعمل بشرائع الإسلام،

ما هو بلد الشرك؟

بلد الشِّرك الناس يختلفون في وصفه؟ بلد الشرك هي كل بلدٍ يظهر فيها الشرك ويكون غالبًا، بعض الناس يغلو في هذا الباب ويُفرط وبعض الناس يُفرط في هذا الباب، كل بلدٍ يظهر فيها الشرك ويكون غالبًا.

البلاد التي يُرفع فيها الأذان على المآذن ولا أحد يمنعك من إظهار هذه الشريعة وبقية شرائع الإسلام، وليس الشرك ظاهرًا فيها، الظاهر فيها هو الإسلام والتوحيد، فهي بلاد الإسلام.

(**وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ**).

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ) الهجرة التعريف الذي ذكره الشيخ تعريف عام.

الهجرةُ شرعًا: ترك ما لا يحبه الله ﷻ ويرضاه تركه إلى ما يُحبه ويرضاه، ويدخل فيه هجر الشرك ويدخل فيه ترك محبة غير الله ﷻ ورسوله، وترك بلد الكفر لأن المقام فيها لا يرضاه الله ﷻ ولا يُحبه، ولكن يغلب إطلاقها على ما ذكره الشيخ هنا: (**الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام**).

والهجرةُ فريضة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، الهجرة حُكمها تختلف باختلاف وضع البلد الذي أنت فيه، فإذا كنت لا تستطيع إظهار شرائع الدين، فالهجرة واجبة، وهي فريضة، أما إذا كنت تستطيع فالهجرة في حقك مستحبة، البلد بلد الشرك، ولكن تستطيع أن تُظهر شعائر الإسلام، فالهجرة في حقك مستحبة، أما إذا كنت لا تستطيع فالهجرةُ في حقك واجبة.

لماذا الهجرة؟ حتى ولو كنت تستطيع أن تُظهر شرائع الدين فالهجرة في حقك مستحبة لماذا؟ لأن معايشة المشركين ومخالطة المشركين فيه ضررٌ على دينك، فإذا كان المسلم في بلدٍ يستطيع أن يُظهر شرائع دينِهِ والبلد بلد الشِّرك، ولم يكن يُتاح له أن يُقدم من الدعوة والحث على تعاليم الدين ما يكون مُقابل مقامه هناك فالهجرة في حقه مستحبة، أما إذا كان يستطيع أن يُظهر شعائر الدين وفي بقائه هناك مصلحة للمسلمين بحيث إذا ترك تلك البلاد لا يجد المسلمون من يُعلمهم أمر دينهم هناك فقد يكون

بقاؤه هناك أفضل بالنظر إلى هذه الجزئية.

وعمومًا البُعد عن المشرك وبلد الشِّرك هذا هو الأصل، يقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أنا بريء من كل مسلم يُقيم بين أظهر المشركين**» الحديث صحيح، قالوا: يا رسول الله، لِم؟ قال: «**حتى لا ترى أن أراهما**» أي حتى تكون بعيدًا عن المشركين، والحديث أخرجه أبو داود والترمذي وهو حديث صحيح.

يقول شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: «**رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيمانًا من غيرهم ممن جرَّد الإسلام**».

فالمُخالطة فيها من الضرر ما لا يخفى، تجد كثيرًا من المسلمين بعدما يُخالطون الكفار تجده قد انطمس الإسلام في قلبه إلى حدٍ، وتجده يعيب على من يلتزم بأوامر الدين يعيبه بالتشدد، وأنه مُتشدد وأنه وأنه... وتجده قد تحوَّل إلى وسيلةٍ من وسائل المنحرفين بدل أن يكون داعيًا إلى الإسلام.

هنا لابد أن نُشير إلى حال من يحرص على الذهاب إلى بلد الكفر لأجل الدُّنيا ومتاع الدُّنيا، كثيرٌ من الناس يكون حريصًا على الذهاب إلى هناك، أنا تحدثت عمن هناك وُلد هناك ينظر في حاله إذا كان في بقائه مصلحةً للإسلام والمسلمين فلينظر إلى هذا، وإلا فالهجرة تبقى مستحبة في حقه.

أما الذي يذهب من هنا إلى هناك، فهذا حاله غريب، كيف تورط نفسك وتُعرض دينك للتلويث، وتُعرض دينك للتغيير، وكيف ترضى أن تكون بين الكفار، وكيف ترضى أن تترك بلاد الإسلام وتذهب إلى هناك؟!

هذا الذي يذهب إلى هناك للعيش هناك، أما الذي يذهب إلى هناك للدعوة فهذا يُقدر وضعه بنفسه، فمن الغريب أن يكون هناك حرصٌ على الذهاب إلى هناك حتى ولو ملكت الدُّنيا بحذافيرها، وتعرض دينك للفتن، فما الذي استفدته؟ لابد أن نُغلب ونُفكر في هذا كثيرًا.

(وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ)، الهجرة هجرتان:

- هجرةٌ خاصة.
- وهجرةٌ عامة.

أما الهجرة الخاصة: فهي الهجرة من مكة إلى المدينة، وفيها قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا هجرةَ بعد الفتح» هذه الهجرة التي كانت فرضًا وواجبًا على المسلمين، الهجرة من مكة إلى المدينة هذا الوجوب انتهى بعد فتح مكة: «**لا هجرةَ بعد الفتح**».

أما الهجرة العامة فهي التي يتحدث عنها الشيخ هنا بقوله: (**وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾**) (ظالمي أنفسهم) هم ظلموا أنفسهم، ولكن ما هو نوع الظلم هنا؟ الله ﷻ هنا يتحدث عن الظلم بترك الهجرة.

(**﴿قَالُواْ﴾**) لهؤلاء: (**﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾**) أي لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة؟ هذا استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة؟ (**﴿قَالُواْ﴾**) مجيبين (**﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾**) أي كنا عاجزين عن الهجرة لا نقدر على الخروج من البلد، ولا نقدر على الذهاب في الأرض، وهم غير صادقين في ذلك.

لذلك تقول الملائكة: (**﴿قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾**) وهذا قول الملائكة وقولهم فيه عتابٌ لهم، (**﴿قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾**) الاستفهام هنا للإنكار، وضابط الاستفهام لما يكون للإنكار أن يكون ما بعده باطلًا إذا أُزيلت الهمزة، هنا: (**﴿قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً﴾**) الهمزة هنا للاستفهام، (ألم تكن) قلنا: أن الاستفهام هنا للإنكار، وأنت إذا أزلت الهمزة ما الذي يُبقى؟ لم تكن أرض الله واسعة كأنك تقول: أن أرض الله ﷻ ليست واسعة، وهذا باطل ليس كذلك، إذا أزلت الهمزة ما بعده يكون باطلًا.

﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[إبراهيم:١٠] الهمزة هنا للإنكار، أنت إذا عزلت الهمزة ما الذي يبقى؟ في الله شك، وهذا كفر، إذن، إذا أزلت الهمزة وكان ما بعده باطلًا فاعلم أن الهمزة للاستنكار والإنكار.

هنا (**﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً﴾**) ليس فيها مجرد استفهام يعني هم لا يستفهمونه لا، الاستفهام

هنا للإنكار عليهم.

(﴿فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءتْ مَصِيرًا﴾) هل هم كفروا بسبب عدم الهجرة؟ عدم الهجرة ليس كفرًا، وهذا سيأتي طبعًا هنا: (﴿فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءتْ مَصِيرًا﴾) هم دخلوا جهنم بسبب تركهم للهجرة، لأنهم تركوا واجب الهجرة، وارتكبوا كبيرةً من الكبائر، وهذه الكبيرة عبارة عن ترك الهجرة مع وجوبها، ولكن هل دخلوا جهنم لأنهم كفار؟ لا، والفرق بين هذا وهذا: أنه إذا دخل جهنم لكفره لا يخرج منها، أما إذا دخل جهنم لارتكابه كبيرةً من الكبائر، فهذا سيخرج منها ومآله الجنة.

ونسأل الله أن يُدخلنا الجنة من البداية نسأل الله أن يكون دخولنا الجنة دخولًا أوليًا، ونسأله بعفوه وكرمه ورحمته أن يُنجينا من النار.

فهُنا دخولهم للنار ليس للكفر، وإنما لارتكابهم كبيرةً من الكبائر، وهذه الكبيرة هي عدمُ الهجرة تركهم الهجرة هذا سيأتي في الآية التي سيذكر بعدها.

(﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ﴾) فهؤلاء لا يلحقهم هذا الحُكم، (﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾) لا يستطيعون أن يُهاجروا، (﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾) هؤلاء الذين لم يستطيعوا أن يُهاجروا ويتركوا بلد الكفر، ويذهبوا إلى بلد الإسلام، بما أنهم لم يستطيعوا فالله ﷻ يعفو عنهم.

يلحق بهم في زماننا هذا: من لا يستطيع الهجرةَ لأجل معوقات التأشيرات، قد لا يكون سهلًا بالنسبة لك أن تهاجر، فإذا كان هناك مانع من الموانع منعه من الذهاب أو من ترك بلد الكفر سواءً كان عائقًا يتعلق بالتأشيرات أو غيرَه، فله هذا: ﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء:٩٩].

إذًا الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، ولا زِلنا نستغرب من هذه الهجرة التي نراها عند كثيرٍ من الناس من بلد الإسلام إلى بلد الكفر.

ذكر العلماء أن الذهاب إلى بلاد الكفر في الأصل لا يجوز، ولكن إذا احتجت، فالسفر إلى بلاد

الكفار يجوز بشروط:

من الشروط: أن يكون الرجل عنده علم يمنعه مما يورد عليه من الشبهات، لأنه قد يقع في الكفر.

من الشروط: أن يكون عنده دينٌ يمنعه من الشهوات.

من الشروط: أن يتمكن من إظهار دينه والقيام بعبادة ربه، وأن يحذر كل الحذر من موالاة المشركين.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[العنكبوت: ٥٦]).

قوله: (قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ) توفي سنة خمسمائة وثلاثين وهو من أعلام المُحدثين صاحب شرح كتاب السُّنة مطبوع في ستة عشر مجلدًا، والبغوي نسبةً إلى قرية (بغ).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سببُ نزولِ هذِهِ الآية فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ») مع أنهم ما هاجروا، وكانت الهجرة واجبة عليهم مع ذلك ناداهم باسم الإيمان، وهم قد ارتكبوا كبيرة ترك الهجرة، مما يدل على أن ترك الهجرة مع وجوبها لا يسلب الإيمان، فترك الهجرة ليس كفرًا ولا شركًا بل هو معصيةٌ من المعاصي، بل هو كبيرة من الكبائر، وكونها كبيرة ليس مما يُهون من شأنها، لأنها هي سبب لدخول جهنم، (فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) إلا أن تركها ليس كفرًا.

(وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»).

الهجرة مستمرةٌ كما قال المؤلف إلى أن تقوم الساعة.

وفي قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»).

طلوع الشمس من مغربها هذا من علامات الساعة الكُبرى، **وعلامات الساعة تنقسم إلى ثلاثة**

أقسام:

- صغرى وقد بدأت من زمان ومن هذه العلامات موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه بدأت.
- وعلامات وسطى: وتستمر إلى بداية العلامات الكبرى.
- وعلامات الكبرى التي تؤذن بخراب هذا العالم، وتؤذن بقرب الساعة.

وهي كثيرة منها: طلوع الشمس من مغربها، طلوع الشمس من مغرب الشمس، هذا يدل على أن الساعة قد اقتربت جدًا.

ومع طلوع الشمس من مغربها انتهى زمن التوبة، وانقطع زمن التوبة، والهجرةُ مستمرةٌ إلى ذلك الوقت، لأن بعد طلوع الشمس لا يُقبل أي عمل، لا تُقبل التوبة، وبالتالي حتى ولو هاجر لا يُقبل منه.

والحديث أخرجه أبو داود وأحمد والدارمي وهو حديثٌ صحيح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ**)، كان قد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أُمر بالصلاة في السنة العاشرة وهو في مكَّة، وقبل أن يؤمر بالصلاة ما الذي انشغل به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ذكره المؤلف فيما سبق: الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك وقال: (**أخذَ على هذا عشر سنين يدعو إلى التَّوحيد**) بعد عشر سنوات فُرضت الصلوات، ولما ذهب إلى المدينة (**أُمر ببقية شرائع الإسلام، مِثلِ: الزَّكَاةِ**) فُرضت في السنة الثانية من الهجرة.

وقوله: (**وَالصَّوْمِ**) فُرض في السنة الثانية من الهجرة.

وقوله: (**وَالْحَجِّ**) الراجح أن الحج فُرض في السنة التاسعة من الهجرة.

وقوله: (**وَالأَذَانِ**) شُرع في أول العهد المدني.

وقوله: (**وَالْجِهَادِ**) فقد كان هناك تدرج في فرضه.

وفُرض أيضًا (**وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ**)، حتى تحريم المحرمات كان في المدينة تحريم المحرمات من الزنا والخمر والربا وغيرها وشرائع الإسلام الظاهرة،

وكذلك تحريم المحرمات هذا كله فُرض في المدينة.

وقوله: (**أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ**) أي على الدعوة إلى شرائع الإسلام، وعلى تطبيق الإسلام، عشر سنين في مكة على التوحيد فقط، بعدها فُرضت الصلاة وفي المدينة فُرضت بقية الشرائع، وأخذ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على هذا عشر سنين، وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه، صلاته سبحانه على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، وإيرادة زيادة مرتبته، هذه هي صلاة الله ﷻ على النبي محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وصلاتُنا عليه: دعاؤنا وطلبنا من الله ﷻ أن يُصلي عليه، أي يُثني عليه في الملأ عليه ويُزيد من مكانته ومرتبته.

(**وَتُوُفِّيَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ**) (هذا) الإشارة إلى هذا الذي بينه في الكتاب بعقائده بشرائعه بما ذكره في السيرة، هذا كله هو الدين.

وقوله: (**وَهَذَا دِينُهُ لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ**)، النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم ينتقل إلى الملأ الأعلى إلا بعد أنْ دل الأمةَ على كل خير، وحذر الأمة من كل شر.

يقول أبو ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**ما تركَ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ طائرًا يُقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا**» الحديث أخرجه أحمد.

وقال رجلٌ من المشركين لسلمان الفارسي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**قال له مُتحكمًا: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة**» يعني يتدخل في كل شيء، قال: «**أجل، علمنا حتى هذا، لقد نهانا أن نستقبل القبلةَ لغائط أو بول، أو نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم**» أخرجه مسلم.

قوله: (**لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ**).

والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان كما وصفه ربه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة:١٢٨] أي ما يوقعكم في العنت هذا صعبٌ عليه، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[التوبة:١٢٨] سبحان الله! الله ﷻ وصفه بهذه الأوصاف، وفيها أن النبي ﷺ كان حريصًا جدًا على المؤمنين، لذلك يقول المؤلف: (**لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ**).

في حديث عبد الله بن عمرو مما يدل على حرص النبي ﷺ على أمته، في حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ تلا قول الله ﷻ في إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[إبراهيم:٣٦] هذا قول إبراهيم عليه السلام.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ أي الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[إبراهيم:٣٦].

وقال عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[المائدة:١١٨]، بعد هذا رفع النبي ﷺ يديه وقال، سبحان الله يدل على مدى حرص النبي ﷺ على أمته، «**اللهم أمتي أمتي**» وبكى ﷺ طبعًا الحديث في صحيح مسلم، فقال الله ﷻ: «**يا جبريل، اذهب إلى محمد، وربك أعلم**» الله ﷻ أعلم به، «**اذهب إلى محمد، فسله ما يُبكيك؟**» هذا يدل على عظم مكانة النبي ﷺ عند ربه، لما بكى أرسل جبريل كلفه أن يذهب إليه ويسأله ما يُبكيك يا محمد؟ هذا يدل على عظم مكانة النبي ﷺ عند ربه سبحانه، فسله ما يُبكيك، فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، يا محمد، ما يبكيك؟ فأخبره ﷺ بما قال، وهو أعلم، أخبره أنه يبكي خوفًا على أمته وحرصًا عليهم وخوفًا عليهم، فقال الله ﷻ: «**يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك**» والحديث في صحيح مسلم، ولذلك ينبغي أن يبتعد المرء عن الشرك ويبتعد عن اللجوء إلى المخلوقين، وعن الاستشفاع والاستغاثة والاستعانة بهم حتى يسلم له توحيده ويكون أهلًا لشفاعة النبي ﷺ.

ومن رأفته بأمته ﷺ أنه ادخر دعاءه وشفاعته لأمته يوم القيامة.

يقول النبي ﷺ: «**لكل نبيٍ قد دعا بها، وإني ادَّخرتُ دعوتي شفاعةً لأمتي**» لكل نبيٍ دعوة مستجابة دعاءهم مستجاب في أغلب الأحوال، ولكن دعوة لكل نبي هذه الدعوة الاستجابة مضمونة.

تصوَّر عندك دعوة مستجابة، وهذه الدعوة في عمرك وتختار أعزَّ ما لديه يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما الذي مر عليه في حياته؟! مع هذا كلِّه ادَّخر هذه الدَّعوة لأمته.

يقول: «**فجعلتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة**» متفقٌ عليه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نسأل الله أن يشفعه فينا.

المؤلف يقول: (**لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ**)، ما هو رأس الخير الذي دلنا عليه، وما هو رأس الشر الذي حذرنا منه؟ والخير الذي دل عليه أساسه وأوله التوحيد وجميع ما يُحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر منه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه.

سبق أن درسنا رسالة من الرسائل التي أُلحقت بثلاثة الأصول، والرسالة هذه كانت مختصرة، وفيها بيان أعظم أمرٍ في الدين وأخطر شيءٍ في هذا الدين، أعظم أمرٍ في هذا الدين وأخطر أمرٍ فيه هو الشرك.

بعض الناس يكون داعيًا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ فعلًا يكون قد نذر نفسه للدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ولكن آخر ما يُفكر فيه التوحيد، لأنه يرى أن الدعوة إلى التوحيد وخاصةً التفصيل في المسائل يرى أنها تُفرق الأمة، قد ذكرنا في مناسبة نسيت أين ذكرنا، ذكرنا أن تفصيل في هذه المسائل هذا الذي يجعل الناس يعترضون عليك، لما تذكر أن هذا إفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بجميع أنواع العبادة، هذا هو التوحيد، وصرف شيءٍ من أنواع العبادة لغير الله عَزَّ وَجَلَّ شرك دعاء الله غير شرك، الاستعاذة بغير الله عَزَّ وَجَلَّ شرك، لما تُفصل هنا يأتي الاعتراض.

أما إذا كنت تتحدث عن فضائل التوحيد إجمالًا اذهب إلى أي مزار، واخطب هناك عن فضائل التوحيد لا أحد يعترض عليك، لأنه يظن أنه في التوحيد، يظن أنه وهو يطوف حول القبر يظن أنه لا زال على التوحيد، أما إذا قلت: أن هذا الذي تُمارسه ترى هذا يُخالف، ويتنافى مع التوحيد هنا يأتي.

يقول: (**بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**) النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل كان وضعه مثل الأنبياء والرُّسل قبله، الأنبياء والرسل قبل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت تُبعث إلى أقوامها خاصة، يقول المؤلف: لا، نبينا محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه الله إلى الناس كافة.

(وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ) بُعث إلى جميع الناس بل بُعث إلى الجن والإنس، (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]).

وقالت الجن: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف:٣١] ؛ أي: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرسل إليهم، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرسل إلى الثقلين إلى جميع الثقلين الجن والإنس.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، «**والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصرانيٌ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**». أخرجه مسلم.

نسمع في هذه الأيام الدعوة إلى الإبراهيمية، وأن كل من يتوجه إلى الله ﷻ فله أن يختار السبيل الذي يوصله إلى الله ﷻ.

سبحان الله! هذا كفر، السبيل إلى الله ﷻ بعد بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو فقط، لذلك يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصرانيٌ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**».

واليهود والنصارى كلهم كفار، ولا يجوز أن تُشكك في هذه المُسلمات التي بدأ سبحان الله التشكيك فيها في هذا العصر، لأن الهزيمة النفسية قد وصلت إلى حدٍ أن بعض المسلمين سبحان الله! عندهم من الهزيمة النفسية ما تستغرب.

(وأكمل اللهُ بِهِ الدِّينَ) فمن أراد التقرب إلى الله ﷻ فلابد من اتباع سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يتم له ذلك.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

فلواحـــدٍ كُـــن واحـــدًا في واحـــدٍ أعنـــي ســـبيل الحـــق الإيمـــانِ

فلواحدٍ كن واحدًا الذي هو الله ﷻ، فلواحدٍ أي للواحد لله ﷻ كن واحدًا أي في إرادتك (في واحدٍ)

أي في سبيلٍ واحد السبيل واحد، الله ﷻ واحد، واجعل إرادتك واحدة لا تتبعثر بين الآلهة أحيانًا تذهب إلى هذا القبر وأحيانًا تذهب إلى هذا المزار، وأحيانًا لا لا لا، كن واحدًا في إرادتك لا تتوجه إلا إلى الله ﷻ -أعني سبيل الحق والإيمان-.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣])، الله ﷻ يُخبرنا هنا أنه أكمل لنا الدين فلا يحتاج إلى تكميل، وأتم علينا النعمة وهذا إيذانٌ منه سبحانه أنه ما دام أتمها فسينعم علينا بدوامها واتصالها، وأنه لن يسلبها منهم بعد أن أعطاهموها، بل يُتمها لهم بالدوام في هذه الدار وفي دار القرار.

إذًا أخبرنا بأن دينه قد أتمه: (﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣])، والواجب أن نرضى لأنفسنا ما رضيه لنا رب العالمين، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت:٣٣]، كثير من المسلمين يستحي أو بعض المسلمين يستحي أن يقول: أنا مسلم، ولكن مسلم ولكن، اعتز بدينك، وقُل معززًا مُكرمًا أنك مسلم، وأن الله ﷻ أنعم عليك بهذه النعمة، وهذه النعمة قد حُرمها كثير، والله ﷻ له الفضل وله الكرم، والحمد لله على هذه النعمة العظيمة التي حُرمها ملايين الناس.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.